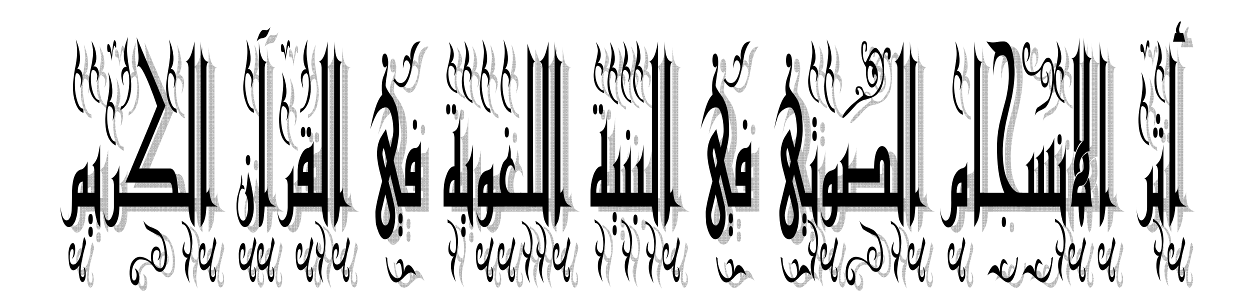
جامعــة أم درمـــان الإسلاميـــة

كليـــة الـــدراســـات العليـــا

كليـــة اللغـــــة العربيـــة

قسم الدراسات النحوية واللغوية

رسالة دكتوراه بعنوان:



إعداد الباحثة: فدوى محمد حسَّان

بإشراف: أ.د. بكري محمد الحاج

شكـــر وتقديـــر

أتقدم بالشكر الجزيل وعظيم الامتنان إلى أستاذي أ. د. بكري محمد الحاج، لتفضله بالإشراف على رسالتي، وما قدَّمه من نصائح وتوجيهات وملاحظات قيمة، أرشدتني إلى الطريق الصحيحة بأسلوبه الذكي، الذي كان يلمح من خلاله إلى المطلوب بشكل غير مباشر، فيدفعني من ورائه إلى البحث الجادّ والعمل الدؤوب.

كما أتقدم بخالص شكري وتقديري إلى العلماء الأفاضل أعضاء " لجنة المناقشة "؛ لإعطائي جزءًا من وقتهم الثمين، وقبولهم الاطلاع على رسالتي، وتقديم الملاحظات القيمة عليها، التي سيتم العمل بها إن شاء الله تعالى، وجعل الله عملهم الجهادي هذا في ميزان حسناتهم.

ولا أنسى في النهاية أن أشكر زوجي الذي شجَّعني على اتخاذ القرار الحازم، ودفعني إلى هذه الخطوة، وذلل لي الكثير من الصعاب أثناء البحث والدراسة، فشكرًا له، وشكرًا لكم جميعًا.

المقدمة

الحمد لله ذي الجلال والإكرام، نور السماوات والأرض، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد...

فإن ظاهرة "الانسجام الصوتي" في اللغة العربية موضوع تجسَّد في الواقع العمليّ للغة نطقًا، واستخدامًا، فاللغة بناء منظَّم محكم، لا بد له من سر يُخفي وراءه عبقرية هذا النظام، وينبغي لنا – نحن الباحثين – أن نكشف عن هذا السر؛ ليكون ذلك مدخلاً أساسيًّا لفهم اللغة.

لقد كان القدماء على وعيٍ بعلم الأصوات، حيث إننا نجد في مصنفاتهم بعض الإشارات والتلميحات المتناثرة هنا وهناك، أو لاحقة على الدراسات الصرفية والنحوية، تدل على حسهم المرهف، وإدراكهم القيمة الصوتية للأصوات اللغوية.

وأول من خاض في هذا المجال العالم الجليل الخليل بن أحمد الفراهيديّ، فقد رتَّب معجمه (العين) ترتيبًا صوتيًّا، ثم ذكر صفات الأصوات اللغوية، وبيَّن الفرق بين الأصوات المتقاربة المخرج، ووضح الصوامت المستحسنة من المستقبحة، ثم جاء بعده تلميذه سيبويه، فأكمل ما بدأه أستاذه في المجال الصوتيّ، وخصَّص أبوابًا من كتابه للمباحث الصوتية، كما تحدث عن كثير من القضايا الصوتية في ثنايا الأبواب الأخرى، ثم جاء العلامة ابن جني، الذي كان له بصمة واضحة في هذا المجال، فقد صنف كتابين مهمين في علم الأصوات اللغوية هما: "سر صناعة الإعراب"، و"الخصائص".

وتعرض أصحاب المعاجم اللغوية لبعض القضايا الصوتية في مقدمات معاجمهم أو في ثنايا المادة اللغوية، يضاف إلى ذلك عناية بعضهم بترتيب الألفاظ ترتيبًا صوتيًّا، كما أسهم علماء البلاغة والبيان بقسط من الدراسات الصوتية، وذلك عند إشاراتهم إلى تنافر الأصوات وائتلافها، ومن خلال تعريفهم لشروط الفصاحة، وتحدثهم حول حُسن البيان.

أما علماء التجويد والقراءات القرآنية، فكان لهم الحظ الوافر في تلك الدراسات الصوتية، حيث أصبح كل كتاب أو نظم لعلم التجويد يبدؤه صاحبه بمخارج الأصوات اللغوية وبيان صفاتها، كما فعل ابن الجزريّ في كتابه "النشر في القراءات العشر".

نلاحظ أن العلماء القدماء في معرض حديثهم عن تآلف أصوات الكلمة واختيار بعضها البعض، لم يستخدموا مصطلح "الانسجام"، وأول من استخدم هذا المصطلح –حسب علمي– ابن أبي الإصبع ت (٦٥٤ هـ)، في كتابه: "تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن"، إلا أنه قصد به انسجام الكلام مع بعضه البعض في الجملة، وليس انسجام أصوات الكلمة الواحدة.

أمَّا في العصر الحديث فقد خطت الدراسات الصوتية خطوات واسعة منذ بدايات القرن العشرين، وحظيت باهتمام العلماء والباحثين، فبعد ظهور الكثير من الآلات والمخترعات الحديثة، أدى ذلك إلى الوصول لنتائج دقيقة، وحقائق صوتية جديدة.

ومن أبرز علماء الأصوات المحدثين د. إبراهيم أنيس، الذي تحدَّث في كتابه القيم "الأصوات اللغوية" عن مخارج الأصوات وصفاتها، ووضح بعض القوانين الصوتية كالمماثلة والمخالفة، ود. رمضان عبد التواب فقد قدَّم كتابين عظيمين في هذا المجال هما: "التطور اللغوي" و "بحوث ومقالات في اللغة" له فيهما آراء وتفسيرات صوتية قيمة لكثير من الظواهر في العربية أنارت لي الطريق أثناء هذه الدراسة.

ومن المحدثين أيضًا د. كمال بشر في كتابه "علم اللغة العام (الأصوات)"، ود. تمام حسان في كتبه القيمة "مناهج البحث في اللغة" و"اللغة العربية معناها ومبناها" و "الأصول"، ود. محمود السعران في كتابه "علم اللغة"، ود. أحمد مختار عمر في كتابه "دراسة الصوت اللغوي".

وهناك كتب مترجمة لعلماء أصوات محدثين استفدت منها، مثل: "أسس علم اللغة" لماريوباي، و"العربية الفصحى" لهنري فليش، و"التطور النحوي" لبراجشتراسر، و"التشكيل الصوتي في اللغة العربية" للدكتور سلمان العاني.

ومن أهم الدراسات العلمية التي استفدت منها ومن أسلوبها في طرح المادة العلمية وترتيب مادة الدراسة، رسالة ماجستير للأستاذة لطيفة النجار بعنوان "دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها"، ومن رسائل الدكتوراه رسالة د. غالب فاضل المطلبي بعنوان "في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية"، ورسالة د. طاهر سليمان حمودة بعنوان "ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي"، ورسالة د. أحمد عفيفي بعنوان "ظاهرة التخفيف في النحو العربي".

وما هو جديد في هذه الدراسة بعد الاطلاع على جهود القدماء والمحدثين، أنني قمت باستقراء كتب القدماء وما ورد فيها من مسائل صرفية ونحوية تم فيها العدول عن الأصل لتحقيق "الانسجام الصوتيّ"، مستخدمة المنهج الوصفي التفسيري، فهذه الدراسة شاملة لجميع المباحث، وليست مجرد أمثلة متناثرة، ثم قمت بتصنيف المادة المجموعة على أساس ما حلَّ بها من تغيير، إلى مباحث خاصة في الإبدال، والإعلال، والإدغام... صحيح أن هذه المباحث قديمة، ولكن الجديد هو التفسير، فقد حاولت جاهدةً تفسير هذا التغيير من وجهة نظر علم الأصوات الحديث، فهذه الدراسة رؤية جديدة لكثير من المباحث التي لم يخضها أحد من

المحدثين، وخاصة المباحث النحوية، وفي كل ذلك استشهدت بآيات من الذكر الحكيم قدر المستطاع، فبلغ عددها ما يقارب الخمسمئة آية قرآنية، من خلال ما يربو على تسعين سورة.

وقد جاءت هذه الدراسة في ثلاثة أبواب هي:

الباب الأول: (أصوات اللغة العربية)، وفي هذا الباب عرضت لجهود القدماء والمحدثين في تحديدهم لمخارج الأصوات وصفاتها، ولم أقتصر على آراء المحدثين، حتى أُبرز فضل القدماء وأسبقيتهم في هذا المجال، وحتى تكون هذه الدراسة شاملة لمن أراد الاطلاع عليها، ومواصلة المسير في هذا النوع من الدراسة، وقد قسمت هذا الباب إلى أربعة فصول، هي:

الفصل الأول: الأصوات اللغوية، تحدثت في هذا الفصل عن تعريف الصوت اللغوي، وبينت جهاز النطق الإنساني مع رسم توضيحي له، ووضحت كيفية حدوث الصوت اللغوي، ثم ذكرت تصنيف الأصوات اللغوية في العربية إلى صامتة وصائتة، والأساس الذي تم الاعتماد عليه في هذا التصنيف.

الفصل الثاني: الأصوات الصامتة، تحدَّثت فيه عن مخارج الأصوات الصامتة، ثم وضحت صفاتها من خلال النظر إلى كيفية خروج الهواء حال النطق بالصامت، أو اهتزاز الوترين الصوتيين أو عدم اهتزازهما، أو من خلال ارتفاع مؤخرة اللسان أو انخفاضها في أثناء النطق، وأنهيت الفصل بجدول يوضح مخارج الأصوات الصامتة وصفاتها.

الفصل الثالث: الأصوات الصائتة، تحدَّثت فيه عن مفهوم الأصوات الصائتة عند القدماء والمحدثين، وبَّينت صفاتها، ثم وضحت تصنيفها من خلال النظر إلى الجزء المرتفع من اللسان، أو النظر إلى درجة العلو التي يرتفع إليها اللسان، أو إلى أوضاع الشفتين، موضحة مواضع الأصوات الصائتة بالنسبة للسان من خلال رسم توضيحي.

الفصل الرابع: الانسجام الصوتي وفق قانوني المماثلة والمخالفة الصوتية، تحدَّثت فيه عن بعض القوانين الصوتية التي تحدث للكلمة نتيجة لتجاور أصوات معينة في الكلمة، فتحدثت عن قانون المماثلة: تعريفه، ومظاهره، وأنواعه. ثم تحدثت عن نقيضه وهو قانون المخالفة: تعريفه، وأنواعه، فهذان القانونان رغم أنهما عكس بعضهما البعض، إلا أنهما يمثلان بالنسبة لظاهرة "الانسجام الصوتي" كوجهي العملة الواحدة.

الباب الثاني: (الانسجام الصوتي على المستوى الصرفي)، بعض المباحث في هذا الباب صوتية، إلا أنَّني أدرجتها هنا لأنه يوجد فيها بالإضافة إلى الجانب الصوتيّ جانب صرفيّ، وقد قسمت هذا الباب إلى تسعة فصول، هي:

الفصل الأول: البنية الصرفية في اللغة العربية، تحدَّثت فيه عن البنية الصرفية المستكرهة والبنية الصرفية المستعملة في اللغة العربية، ووضحت المقصود بالأصل في البنية الصرفية، ثم بينت الأسباب التي تؤدي إلى العدول عن الأصل، ذاكرةً أهم مظاهره مع رسم تخطيطيّ يوضح هذه المظاهر.

الفصل الثاني: الابتداء، وعنيت به الابتداء بهمزة الوصل، **و**تحدثت فيه عن مواضعها، ومواضع حذفها، وبيَّنت حركتها واختلافها من موضع إلى آخر.

الفصل الثالث: الإعلال، وعنيت به أصوات العلة ملحقةً بها الهمزة، وتحدثت فيه عن الإعلال بالقلب، والإعلال بالنقل، والإعلال بالحذف، وطبيعة المادة المجموعة حول الإعلال أملت عليَّ أن يكون هذا الفصل أكبر من بقية الفصول الصرفية، كما أن ظاهر التقسيم لهذا الفصل يوحي بالتقارب بينه وبين عمل الصرفيين، إلا أن المختلف هو التفسير الذي قدمته على أساس صوتي.

الفصل الرابع: الإبدال، وعنيت به إبدال بقية الأصوات عدا أصوات العلة والهمزة، من مثل إبدال تاء "افتعل"، وفاء "افتعل"، وتاء "تفعَّل" و"تفاعل"، وإبدال فاء بعض الأسماء أو لامها تاءً، وإبدال الواو ميماً، والياء هاءً، وإبدال الهاء همزة، وإبدال أحد الصوامت المتماثلة ياءً.

الفصل الخامس: الإدغام، عرَّفت فيه الإدغام وبيَّنت أنواعه وحالاته.

الفصل السادس: الحذف، وعنيت به حذف أي صوت عدا أصوات العلة والهمزة، من مثل: حذف التاء من صيغ الأفعال التي على وزن (تتفعَّل)، و(تتفاعل)، و(تتفعلل)، وحذفها من (استطاع ويستطيع)، وحذف تاء العوض من نهاية المصدر، وحذف التاء من نهاية الاسم المنسوب إليه، والاسم المجموع جمع مؤنث سالماً، وتحدثت عن حذف النون الساكنة من مضارع كان، وحذف التنوين من المعرَّف بـــ(أل) والممنوع من الصرف، والحذف من الاسم الخماسي عند التصغير وجمع التكسير، وحذف عين الفعل المضعَّف.

الفصل السابع: القلب المكانيّ، تحدثت فيه عن مفهومه وأسبابه، وأنواعه.

الفصل الثامن: التوافق الحركيّ، وضَّحت المقصود به، ثم قسمته إلى قسمين، هما: توافق الصوائت القصيرة مع الصوامت ومع أصوات العلة، وتوافق الصوائت القصيرة مع الصوائت القصيرة، وهذا الأخير مقسم إلى نوعين من التوافق: توافق تراجعيّ، وتوافق تقدميّ.

الفصل التاسع: تركيب الأدوات، وتحدثت فيه عن الأدوات التي تم عند تركيبها إبدال النون لامًا، والأدوات التي تم فيها إبدال النون ميمًا.

الباب الثالث: (الانسجام الصوتي على المستوى النحوي)، ويشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول: الإعراب التقديريّ، وهو مقسم إلى مبحثين، هما:

المبحث الأول: الإعراب التقديريّ للتعذر، وهذا يكون في الأفعال المنتهية بالألف، والأسماء المقصورة، والأسماء المضافة إلى ياء المتكلم.

المبحث الثاني: الإعراب التقديريّ للثقل، وهذا يكون في الأفعال المنتهية بالواو أو الياء، والأسماء المنقوصة، وجمع المذكر السالم المضاف إلى ياء المتكلم، والأسماء الستة المعتلة الآخر المضافة إلى ياء المتكلم.

الفصل الثاني: إبدال العلامة الإعرابية، ويشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأول: إبدال الحركات بالحركات، ويتم ذلك في الفعل الماضي عند إسناده إلى ضمائر الرفع المتحركة، أوعند إسناده إلى واو الجماعة، ويحدث أيضًا في الفعل المضارع المسند إلى نون النسوة أو المؤكد بالنون، كما يحدث في جمع المؤنث السالم الذي ينصب بالكسرة بدلاً من الفتحة، وفي الممنوع من الصرف الذي يجر بالفتحة بدلاً من الكسرة.

المبحث الثاني: إبدال الحروف بالحركات، ويحدث ذلك في المثنى وجمع المذكر السالم والأسماء الستة التي حلت الصوائت الطويلة – كعلامة إعرابية – بديلاً عن الحركات، كما يحدث في الأفعال الخمسة التي حلت النون – كعلامة إعرابية – بديلاً عن الحركات.

المبحث الثالث: إبدال الساكن لالتقائه بالساكن، وضعت هذه المجموعة في مبحث خاص بها ولم أضمها للمبحث الأول من هذا الفصل لسببين، هما:

١ – لأن المادة المجموعة حول هذا المبحث كبيرة، ولو ضممتها للمبحث الأول فإنه سيصبح كبيرًا جدًّا بالنسبة للمبحث الثاني.

٢ – لأن تحريك الساكن هنا – في الأغلب الأعم – كان لفظًا وكتابةً، في حين بقيت العلامة الإعرابية على الأصل، فهو يختلف في مضمونه عن المبحث الأول، رغم أنهما في الظاهر تم فيهما إبدال العلامة الإعرابية بأخرى.

وقسَّمت المادة المجموعة في هذا المبحث تصاعديًّا من الحركة الأخف إلى الأثقل، فجاء في ثلاث مجموعات، هي: كلمات تم تحريك الساكن فيها بالفتح، وكلمات تم تحريك الساكن فيها بالكسر، وكلمات تم تحريك الساكن فيها بالضم، مبينة أسباب ذلك التحريك.

الفصل الثالث: الحذف على المستوى النحوي، ويشتمل على ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأول: حذف التنوين، ويحدث هذا على المستوى النحوي في الاسم المفرد المضاف،

وفي العلم الموصوف بابن، والعلم المنادى، والاسم المركب تركيبًا مزجيًّا، واسم لا النافية للجنس، والاسم المنون عند التقائه بالساكن يحذف التنوين لفظًا لا كتابةً.

المبحث الثاني: حذف النون، ويحدث ذلك في المثنى وجمع المذكر السالم عند الإضافة، والأفعال الخمسة في حالة النصب والجزم، وفي حالة إسناده إلى ياء المتكلم أو توكيده بالنون، وفعل الأمر المسند إلى ألف الاثنين، أو واو الجماعة، أو ياء المخاطبة، كما يجوز حذف النون من إنَّ وأخواتها عند اتصالها بياء المتكلم مسبوقة بنون الوقاية، أو عن اتصالها بـــ(نا) المتكلمين، كما تحذف نون التوكيد الخفيفة عند التقائها بالساكن.

المبحث الثالث: حذف صوت العلة، ويحدث ذلك في الفعل الماضي المعتل الآخر المسند إلى واو الجماعة، أو المتصل بتاء التأنيث الساكنة، كما يحدث في الفعل المضارع المعتل الآخر في حالة الجزم، وفي فعل الأمر المعتل الآخر، كما يحذف صوت العلة من نهاية الفعل – لفظًا لا كتابةً – إذا وليه ساكن، وتحذف الياء من نهاية الاسم المنقوص النكرة في حالتي الرفع والجر، وتحذف الألف من نهاية الاسم المقصور النكرة رفعًا ونصبًا وجرًّا.

الفصل الرابع: التوافق الحركيّ في القرآن الكريم، آثرت في هذه الدراسة أن أخصَّ القرآن الكريم بهذا الفصل لأوضح فيه حرصه على "الانسجام الصوتيّ"، والذي تجلى – بالذات – في حفاظه على موسيقى الفواصل، وقسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأول: الحذف، وهو نوعان: حذف صامت، وحذف صائت.

المبحث الثاني: الزيادة، وهو نوعان: زيادة صامت، وزيادة صائت.

المبحث الثالث: الجر بالمجاورة، ورغم أن هذا المبحث ليس له علاقة بموسيقى الفواصل، فهو غالبًا ما يحدث في درج الآية الكريمة، إلا أنني أضفته لأنه جزء من "الانسجام الصوتيّ".

وبعد لعلي بهذه الدراسة قد قدمت صورة واضحة عن ظاهرة "الانسجام الصوتيّ" في اللغة العربية متمثلةً في القرآن الكريم، ولي الشرف الكبير في خدمة القرآن الكريم والكشف عن بعض أسراره، من انتظام أصواته وتآلفها وانسجامها.

ومهما حاولت أن أظهر عملي هذا على أكمل وجه، لن أبلغ ذلك، فالكمال لله وحده الذي يصعد إليه الكلم الطيب والعمل الصالح، فأرجو العلي القدير أن يحتسب بحثي هذا طيبًا وعملي صالحًا، فيتقبله قبولاً حسنًا، والله من وراء القصد، والحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه.

الباب الأول
أصوات اللغة العربية

- ❖ الفصل الأول: الأصوات اللغوية
- ❖ الفصل الثاني: الأصوات الصامتة
- ❖ الفصل الثالث: الأصوات الصائتة
- ❖ الفصل الرابع: الانسجام الصوتيّ وفق قانوني المماثلة والمخالفة الصوتية

الفصل الأول
الأصوات اللغوية

- ❖ المبحث الأول: الصوت اللغويّ
- ❖ المبحث الثاني: جهاز النطق الإنسانيّ
- ❖ المبحث الثالث: كيفية حدوث الصوت اللغويّ
- ❖ المبحث الرابع: تصنيف الأصوات العربية

أولاً: الصوت اللغويّ

عرَّف الجاحظ ت (٢٥٥ هـ) الصوتَ اللغويَّ فقال: هو " آلة النطق، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف. ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف "[١].

أما ابن جني ت (٣٩٢ هـ) فقد عرَّفه بقوله: هو " عَرَض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته..."[٢].

ويعرِّفه د. كمال بشر بقوله: هو " أثر سمعي يصدر طواعية واختياراً عن تلك الأعضاء المسماه تجاوزاً أعضاء النطق. والملاحظ أن هذا الأثر يظهر في صورة ذبذبات معدلة وموائمة لما يصاحبها من حركات الفم بأعضائه المختلفة. ويتطلب الصوت اللغوي وضع أعضاء النطق في أوضاع معينة محددة، أو تحريك هذه الأعضاء بطرق معينة محددة أيضاً ومعنى ذلك أن المتكلم لابد أن يبذل مجهوداً ما كي يحصل على الأصوات اللغوية "[٣].

ونرى د. تمام حسان لا يبتعد في تعريفه للصوت اللغوي عمَّا قرره د. بشر، حيث يقول: إنه "حين يتكلم المتكلم نلاحظ أنه يقوم بحركات خاصة بفكه الأسفل وشفتيه ولسانه، ونلاحظ كذلك أن أثراً سمعياً معيناً يصل إلى آذاننا فنفهم أنه مرتبط بهذه الحركات التي في فم المتكلم. هذا الأثر السمعي لا يبدو في مظهر ذبذبة مستمرة طويلة غير معدّلة، كالتي نسمعها من صفارة الإنذار أو من صفارة القطار، وإنما هي معدلة بمقدار ما يصاحبها من حركات الفم "[٤].

ويختصر د. مناف مهدي محمد تعريفيّ د. بشر و د. حسان للصوت اللغوي بقوله: هو " أثر سمعي يصدر إراديًّا عن أعضاء النطق، وهو يتطلب أوضاعاً محددة وحركات معينة لهذه الأعضاء "[٥].

مما سبق يتبين أنه ليس كل صوت صادر عن جهاز النطق الإنساني يعدُّ صوتًا لغويًّا، فمن الممكن أن يصدر عنه صوت التحذير أو الخوف أو الألم أو النحيب، إلا أن هذه الأصوات لا تعد أصواتًا لغوية، فالصوت اللغوي لا يخرج من جهاز النطق مسترسلاً دون عوارض، بل يتم تعديله بقدر ما يصاحبه من حركات الفم، فيتحول إلى صوت مفهوم يتصل بآخر فتتكون كلمة ذات مدلول خاص، تتصل هي الأخرى بغيرها فتكون جملة ذات معنى ورسالة محددة.

---

[١] - البيان والتبيين: ٥٨/١
[٢] - سر صناعة الإعراب: ١٩/١
[٣] - علم اللغة العام (الأصوات): ٦٤
[٤] - مناهج البحث في اللغة: ٧١
[٥] - علم الأصوات اللغوية: ٢٧

فالنباح الذي يصدره كلب عندما تعدو الذئاب على القطيع ليحذر به الراعي، ما هو إلا مجرد ضجيج يصدره كرد فعل لمثير أمامه، بينما الجُمل التي يصدرها الراعي ليحذر بها الرعاة الآخرين، فهي مكونة من مجموعة أصوات لغوية متصلة مع بعضها بشكل متسق مفهوم مستمد من اللغة الإنسانية المتعارف عليها بين أبناء الشعب الواحد.

وقد أشار ماريوباي إلى هذا الأمر بقوله: " ليكون الصوت لغويًا – بالمعنى العام – فإن الأصوات الصادرة عن الجهاز النطقي يجب أن تكون ذات معنى؛ وتنقل رسالة محددة معينة من عقل إنسان إلى آخر "[١].

ثانيًا: جهاز النطق الإنساني

يصف د. محمود السعران جهاز النطق الإنساني: بأنه " يشبه آلة موسيقية، أو هو أكمل آلة موسيقية من حيث المرونة، ومن حيث الإمكانيات أعني – أي د. السعران – من حيث القدرة على إخراج أنواع من الأصوات لا حدَّ لها. وإذا كنَّا نسمي جانباً من أعضاء الإنسان بجهاز النطق الإنساني فهذه تسمية من وجهة نظر علماء الأصوات اللغوية. وإلا فإن الفم، والأنف، واللسان، والحلق، والرئتين، وسائر الأعضاء التي تشترك في تكوين أصوات اللغة، تؤدي وظائف ربما كانت أهم من ذلك لحياة الإنسان، فهي ضرورية بالنسبة للتنفس، وضرورية بالنسبة للأكل، فمن الناحية البيولوجية ليس لدى الإنسان (جهاز نطق) "[٢].

معنى ذلك أن تسمية جهاز النطق بهذا الاسم من باب التوسُّع والمجاز، وفي الحقيقة أن عمل هذا الجهاز لا يقتصر على إصدار الأصوات اللغوية فحسب، بل إن له وظائف أخرى قد تكون أهم من إصدار الكلام، إذ إن بعض أجزائه تسهم في عملية التنفس مثل: الرئتين، والأنف، وبعضها تسهم في عملية مضغ الطعام وبلعه، مثل: الأسنان، واللسان، فالإنسان يستطيع أن يعيش من غير الكلام، ولكنه لا يستطيع أن يعيش من غير التنفس والأكل.

وأعضاء جهاز النطق هذه منها ما هو ثابت ومنها ما هو متحرك، فيرى د. كمال بشر أن "معظمها ثابت لا يتحرك وقليل منها قابل للحركة "[٣]، في حين يرى د. تمام حسان أن هذا الكلام غير دقيق، فالأعضاء المتحركة ليست قليلة، فهي: الشفتان، واللسان من طرفه إلى ما يشمل لسان المزمار، والفك السفلي، والطبق بما فيه اللهاة، والحنجرة، والوتران الصوتيان، والرئتان، والحجاب الحاجز، وبعض العضلات البطنية[٤]، بينما الأعضاء الثابتة هي: الأسنان، واللثة، والغار،

---

[١] - أسس علم اللغة: ٣٨
[٢] - علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي): ٩٨
[٣] - علم اللغة العام (الأصوات): ٦٤ - ٦٥
[٤] - مناهج البحث في اللغة: ٧٢- ٧٣

والتجويف الأنفي، والقصبة الهوائية، والحلق[1].

وفيما يلي تفصيلٌ لأعضاء جهاز النطق الإنساني:

١-الرئتان

لكل إنسان رئتان اثنتان، والرئة " جسم مطاط قابل للتمدد والانكماش، ولكنه لا يستطيع الحركة بذاته، ومن ثم فهو في حاجة إلى محرك يدفعه للتمدد أو الانكماش. وهذا المحرك هو الحجاب الحاجز من ناحية، والقفص الصدري من ناحية أخرى "[2].

وعملية التمدد والانكماش التي أشار إليها د. أحمد مختار عمر هي عبارة عن عمليتي الشهيق والزفير، واللتان من خلالهما يتم استبدال الأكسجين الموجود في هواء الشهيق بغاز ثاني أكسيد الكربون الذي يطرحه الجسم عن طريق الزفير.

وأثناء عملية الزفير هذه يخرج تيار الهواء الذي يحدث الأصوات اللغوية – عندما يريد الإنسان التكلم – فيمر في الحلق إلى الفم أو الأنف بِحُرِّية أو يعترضه عارض في الفم، فتنشأ من ذلك أنواع مختلفة من الأصوات اللغوية[3].

٢-القصبة الهوائية

هي عبارة عن أنبوبة مكونة من غضاريف على شكل حلقات غير مكتملة من الخلف متصل بعضها ببعض بواسطة نسيج غشائيّ مخاطيّ، وقطر القصبة الهوائية يتراوح بين ٢سم و٢.٥ سم، وطولها حوالى ١١ سم، وتنقسم من أسفلها إلى فرعين رئيسين هما الشعبتين اللتين تدخلان إلى الرئتين[4].

ووظيفة القصبة الهوائية الأساسية هي دخول الهواء خلالها إلى الرئتين ذهابًا وإيابًا[5]، وقد أثبتت البحوث الحديثة أنها تُستغل في بعض الأحيان كفراغ رنان ذي أثر بيِّن في درجة الصوت، ولا سيما إذا كان الصوت عميقًا[6].

٣-الحنجرة

تقع الحنجرة أسفل الفراغ الحلقي، وتكوِّن الجزء الأعلى من القصبة الهوائية، وهي عبـــارة

---

[1] - علم الأصوات اللغوية: د. مناف مهدي محمد، ٢٩
[2] - دراسة الصوت اللغوي: د. أحمد مختار عمر، ١٠٠
[3] - الأصوات اللغوية: د. محمد علي الخولي، ١٩
[4] - دراسة الصوت اللغوي: د. أحمد مختار عمر، ١٠٠
[5] - أصوات اللغة العربية: د. عبد الغفار حامد هلال، ٤٨
[6] - الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، ١٧

عن حجرة متسعة نوعًا ما، ومُكوَّنة من ثلاثة غضاريف الأول أو العلوي منها " ناقص الاستدارة من خلف وعريض بارز من الأمام ويعرف الجزء البارز منه بتفاحة آدم "[1]، فهو عند الرجال أكثر بروزًا منه عند النساء.

" أما الغضروف الثاني فهو كامل الاستدارة؛ والثالث مكون من قطعتين موضوعتين فوق الغضروف الثاني من الخلف "[2]، قادرتين على الحركة بمساعدة نظام من العضلات متحكم فيهما، ويمكنهما أن تنزلقا وأن تستديرا وأن تتأرجحا[3].

ويمكن للحنجرة أن تتحرك إلى فوق وتحت وأمام وخلف، والحركة إلى أعلى وأسفل هامة جدًّا في النطق لأنها تغير من شكل حجرة الرنين وحجمها، فتؤثر على نوع الرنين الحنجريّ[4].

٤ –الوتران الصوتيان

" هما رباطان مرنان يشبهان الشفتين، يمتدان أفقيًّا من الخلف إلى الأمام حيث يلتقيان عند ذلك البروز الذي نسميه بتفاحة آدم "[5].

والوتران الصوتيان عند الرجل أطول وأغلظ منهما عند المرأة، لهذا فهما يتذبذبان عند الرجل أقل منهما عند المرأة، حيث يبلغ متوسط الذبذبات في الثانية ١٠٠–١٥٠ ذبذبة عند الرجل مقابل ٢٠٠–٣٠٠ ذبذبة عند المرأة[6].

ويسمى الفراغ بين الوترين الصوتيين بالمزمار، وقد ينفرج الوتران أو ينقبضان حتى يلمس أحدهما الآخر، فينغلق ممر الهواء نهائيًّا، وقد يقترب أحدهما من الآخر لدرجة تسمح بمرور الهواء ولكن بشدة وعسر ومن ثمَّ يتذبذبان ويصدران نغمة موسيقية[7].

معنى ذلك أن الوترين الصوتيين لهما قدرة على الحركة وعلى اتخاذ أوضاع مختلفة تؤثر في الأصوات اللغوية، وأهم هذه الأوضاع هي[8]:

أ – الوضع الخاص بالتنفس، وذلك ما يحدث عند إصدار الأصوات المهموسة.
ب – وضعهما حالة تكوين " نغمة موسيقية " وذلك ما يحدث عند إصدار الأصوات المجهورة.
ج – وضعهما حالة " الوشوشة ".

---

[1] - الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، ١٧
[2] - السابق: الصفحة نفسها
[3] - دراسة الصوت اللغوي: د. أحمد مختار عمر، ١٠١
[4] - السابق : ١٠٢
[5] - الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، ١٧
[6] - دراسة الصوت اللغوي: د. أحمد مختار عمر، ١٠٢
[7] - علم اللغة العام (الأصوات): د. كمال بشر، ٦٥
[8] - السابق: ٦٨ - ٦٩ ، وانظر علم اللغة: د. محمود السعران، ١٣٦- ١٣٨ ، والمدخل إلى علم اللغة: د. رمضان عبد التواب، ٢٧

د – وضعهما حالة تكوين " همزة القطع ".

مع استبعاد وضع الوترين الصوتيين في حالة " الوشوشة "، فإنه سوف يتم – بعون الله تعالى– الحديث عمَّا تبقى من الأوضاع بشيء من التفصيل.

٥ –لسان المزمار

يسميه بعض المحدثين من علماء اللغة بـــ " الغلصمة "[١]، وهو عبارة عن نسيج غضروفي مثلث الشكل أقرب ما يكون إلى ورقة الشجر[٢]، ووظيفته الأساسية أن يكون بمثابة صمام يحمي طريق التنفس في أثناء عملية البلع[٣].

ويرى بعض علماء الأصوات أنه لا دخل للسان المزمار في عملية النطق، إلا أن البعض الآخر يؤكد دوره في التأثير على نوع الحركات، حيث يُجذب إلى الخلف عند النطق بالفتحة والضمة، ويُجذب إلى الأمام عند النطق بالكسرة[٤]. كما يقوم لسان المزمار بإغلاق الحنجرة أو فتحها حسب ما تقتضي الأصوات الصادرة[٥].

٦ –الحلق

هو الجزء الذي بين الحنجرة والفم، وهو فضلاً عن كونه مخرجاً لأصوات لغوية خاصة، فإنه يُستغل بصفة عامة كفراغ رنان يُضخم بعض الأصوات بعد صدورها من الحنجرة[٦].

٧ –اللسان

وهو أهم أعضاء النطق، ولأهميته سميت اللغات به، فيقال عن اللغة العربية " اللسان العربيّ "[٧]، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾[٨]، أي بلغة قومه.

ويحتوي اللسان على عدد كبير من العضلات التي تمكنه من التحرك، والامتداد، والانكماش، والتلوي إلى أعلى وإلى الخلف[٩]، وهذه السهولة في الحركة والاتصال بنقاط مختلفة في الفم أدت إلى إنتاج عدد كبير من الأصوات اللغوية.

[١] - علم اللغة: د. محمود السعران، ١٣٥
[٢] - أصوات اللغة العربية: د. عبد الغفار حامد هلال، ٥١
[٣] - الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، ١٧
[٤] - الأصوات اللغوية: د. عبد القادر عبد الجليل، ٣١
[٥] - أصوات اللغة العربية: د. عبد الغفار حامد هلال، ٥١
[٦] - الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، ١٨
[٧] - علم اللغة العام (الأصوات): د. كمال بشر، ٦٩
[٨] - سورة إبراهيم: الآية، ٤٣
[٩] - المدخل إلى علم اللغة: د. رمضان عبد التواب، ٢٦

ويقسم علماء الأصوات اللسان إلى عدة أقسام أهمها[1]:

أ – أقصى اللسان أو مؤخره، وهو الجزء المقابل للحنك اللين أو ما يسمى بأقصى الحنك.

ب – وسط اللسان أو مقدمه، وهو الجزء الذي يقابل الحنك الصلب أو ما يسمى بوسط الحنك.

ج – طرف اللسان، وهو الجزء الذي يقابل اللثة.

وهناك جزء من اللسان يطلق عليه أصل اللسان، وهو الذي يشكل الحائط الأمامي للحلق، ومع أن هذا الجزء من اللسان لا يشار إليه على أنه عضو نطقي إلا نادرًا؛ فإنه يؤثر في إنتاج الأصوات عن طريق تغيير شكل تجويف الحلق وحجمه[2].

٨ – الحنك

ويسمى أيضًا الحنك الأعلى أو سقف الحنك أو سقف الفم، وهذا العضو يتصل به اللسان في أوضاع مختلفة، ومع كل وضع من هذه الأوضاع تخرج أصوات مختلفة، ويقسم علماء الأصوات الحنك إلى الأقسام الآتية[3]:

أ – مقدم الحنك أو اللثة بما في ذلك أصول الأسنان العليا.

ب – وسط الحنك أو الحنك الصلب، ويسميه البعض بالغار.

ج – أقصى الحنك أو الحنك اللين، ويسميه البعض بالطبق.

والطبق قابل للحركة، حيث " يمكن رفعه رفعًا كاملاً حتى يعقد اتصالاً مع الجانب الخلفي لفراغ الحلق، ويغلق تبعًا لهذا الطريق إلى الأنف، ولذا فهو الذي يحدد ما إذا كان الصوت أنفيًّا (حين يسمح للهواء بالمرور خلال الأنف) أو فمويًّا (حين يمر الهواء خلال الفم فقط) "[4].

٩ – اللهاة

اللهاة عضو لحميّ صغير يتدلى من الطرف الخلفيّ للحنك، ويقع خلف الطبق، وإذا لامستها مؤخرة اللسان نشأ صوت القاف، أما وظيفتها الأصلية فهي سد طريق التنفس عند عملية بلع الطعام والشراب[5].

---

[1] - علم اللغة العام (الأصوات): د. كمال بشر، ٦٩ ، وقد ذكر د. بشر أجزاء أخرى للسان هي: نهايته أو ذلقه، وعدها جزءًا من طرف اللسان، وهناك جزء آخر يسمى أصل اللسان.

[2] - دراسة الصوت اللغوي: د. أحمد مختار عمر، ١٠٧

[3] - انظر علم اللغة العام (الأصوات): د. كمال بشر، ٧٠ ، وعلم اللغة: د. محمود السعران، ١٣٣- ١٣٤

[4] - دراسة الصوت اللغوي: د. أحمد مختار عمر، ١٠٦

[5] - الأصوات اللغوية: د. محمد علي الخولي، ٢٦

١٠ –الأنف

هو مجموعة من الفراغات تأخذ شكل قنوات وجيوب أنفية، ومع ثباتها تستعمل كفراغ رنَّان[١]، كما أنه واحد من ممرين يمر فيهما تيار النفس في أثناء النطق، فقد يمر التيار من التجويف الفموي، أو من التجويف الأنفي[٢].

١١ –الأسنان

وهي من أعضاء النطق الثابتة، وهناك أسنان عليا، وأسنان سفلى، والأسنان تتخذ مواضع يعتمد عليها اللسان عند نطق بعض الأصوات[٣]، كما تقع الأسنان العليا فوق الشفة السفلى في نطق صوت الفاء[٤].

١٢ –الشفتان

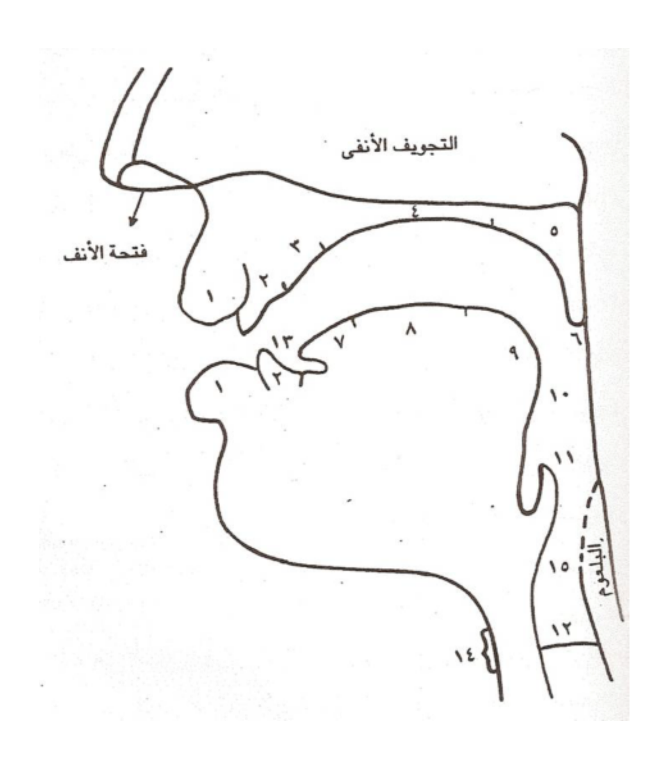
الشفتان من أعضاء النطق المتحركة، وتتخذان أوضاعًا مختلفة عند نطق الأصوات المختلفة؛ ومن الممكن ملاحظة هذه الأوضاع بيسر وسهولة، حيث تنطبق الشفتان فلا تسمحان للهواء بالخروج مدة من الزمن، ثمَّ تنفرجان فيندفع الهواء محدثًا صوتًا انفجاريًّا هو الباء، وتستدير الشفتان كما يحدث عند نطق " الضمة "، وتتخذان وضعًا مخالفًا في نطق الكسرة، وقد تنفتح الشفتان حتى يتباعد ما بينهما إلى أقصى درجة، ويلاحظ أن فتح الشفتين ذو درجات مختلفة؛ واختلاف درجة فتحهما يؤثر في طبيعة الصوت المنطوق[٥].

ويذكر د. إبراهيم أنيس أن الأصوات اللغوية في اللغة العربية لا تستخدم الشفتين كثيرًا بالمقارنة مع اللغات الأخرى، فيقول: " وتختلف عادات المتكلمين في استغلال حركة الشفتين والانتفاع بها. فمن الشعوب من تتميز عادات النطق لديهم بكثرة الحركة في الشفتين، ومنهم من يقتصدون في هذا، كالعرب بوجه عام، أو الناطقين باللغة العربية "[٦].

ونورد فيما يلي رسمًا توضيحيًّا لجهاز النطق بأعضائه الأساسية، مصحوبةً بأسمائها المذكورة سابقًا[٧].

---

[١] - أصوات اللغة العربية: د. عبد الغفار حامد هلال، ٥٨
[٢] - الأصوات اللغوية: د. محمد علي الخولي، ٢٦
[٣]- علم اللغة: د. محمود السعران، ١٤٠
[٤] - علم اللغة العام (الأصوات): د. كمال بشر، ٧١
[٥] - علم اللغة: د. محمود السعران، ١٣٩- ١٤٠
[٦] - الأصوات اللغوية: ١٨- ١٩
[٧] - انظر علم الأصوات: د. كمال بشر، ١٣٣



١ – الشفتان

٢ – الأسنان

٣ – أصول الأسنان (ومقدم الحنك)

٤ – الحنك الصلب (وسط الحنك)

٥ – الحنك اللين (أقصى الحنك)

٦ – اللهاة

٧ – طرف اللسان

٨ – مقدمة اللسان (وسط اللسان)

٩ – مؤخرة اللسان

١٠ – الحلق

١١ – لسان المزمار

١٢ – موقع الوترين الصوتيين

١٣ – ذلق اللسان (نهايته)

١٤ – منطقة الحنجرة (من الأمام)

١٥ – القصبة الهوائية

ثالثًا: كيفية حدوث الصوت اللغويّ

عندما يستعد الإنسان للكلام العاديّ، يستنشق الهواء فيمتلئ صدره به قليلاً، وإذا أخذ في التكلم فإن عضلات البطن تتقلص قبل النطق بأول مقطع صوتيّ، ثمَّ تتقلص عضلات القفص الصدريّ بحركات سريعة تدفع الهواء إلى أعلى عبر الأعضاء المنتجة للأصوات، وتواصل عضلات البطن تقلصها في حركة بطيئة مضبوطة إلى أن ينتهي الإنســـان من الجملة الأولى، فإذا فرغ منها فإن

عملية الشهيق تملأ الصدر ثانية وبسرعة استعدادًا للنطق بالجملة التالية وهكذا[١].

وتختلف العملية الكلامية عن التنفس العاديّ، في أن الثاني يتم بصورة صامتة في العادة؛ لتحرك تيار الهواء دون عوائق، أما العملية النطقية فلا يمر الهواء معها حرًّا طليقًا، وإنما يصادفه في اندفاعه إلى الخارج أنواعٌ من الضغط والكبح والتعويق[٢].

ويوضح ماريوباي كيفية إنتاج الأصوات اللغوية بقوله: " فالرئتان lungs تقومان بوظيفة المنفاخ الذي يوفر التيار الهوائي الذي يعتبر المادة الخام لإنتاج الأصوات اللغوية. هذا التيار الهوائي يتجه إلى أعلى خلال القصبة الهوائية wind pipe ويواجه تضاريس مختلفة من التقبضات والانسدادات. وبمجرد أن يغادر الهواء الأوتار الصوتية vocal cords والحنجرة larynx يمكن له أن يتجه إما إلى الفم أو إلى الأنف اللذين يقومان بوظيفة حجرتي رنين resonating chamber "[٣].

ويوضح د. رمضان عبد التواب عملية إنتاج الصوت اللغويّ بقوله: " إن الهواء الخارج من الرئتين، إما أن يصادف مجراه مسدودًا سدًّا تامًّا، عند أية نقطة في الجهاز النطقي ما بين الحنجرة والشفتين. وإما أن يصادف في طريقه تضييقًا في المجرى، لا سدًّا فيه، بحيث يسمح هذا التضييق للهواء بالمرور، ولكن هذا الهواء يحتك بنقطة التضييق هذه "[٤].

معنى ذلك أن الصوت اللغويّ يحدث عند عملية الزفير، وذلك في أثناء خروج الهواء من الرئتين لابد من أن يعترضه عضو أو عضوان من أعضاء النطق يتحكمان في مروره فيمنعانه من المرور منعًا تامًّا ثم ينفتح الانسداد بشكل مفاجئ، وربما يواجه الهواءَ تضييقٌ لا انسداد فيخرج محتكًّا بالأعضاء التي تم عندها التضييق، كما أن الهواء في عملية الزفير يخرج بشكل دفعات هوائية كل دفعة تكون مقطعًا صوتيًّا.

نلاحظ أن كيفية خروج الهواء تحدد صفات الأصوات الخارجة من مواضعها، كما أن العوائق التي يمر بها الهواء لها دور في تحديد تلك الصفات؛ والتي سنتعرف إليها لاحقًا بشيء من التفصيل.

---

[١] - دراسة الصوت اللغوي: د. أحمد مختار عمر، ١١١
[٢] - السابق: ١١٢
[٣] - أسس علم اللغة: ٧٧
[٤] - المدخل إلى علم اللغة: ٢٨

رابعًا: تصنيف الأصوات العربية

يصنف العلماء المحدثون الأصوات اللغوية في اللغة العربية إلى قسمين كبيرين، هما[1]:

١ – الأصوات الصامتة أو الساكنة.

٢ – الأصوات الصائتة أو الحركات أو أصوات العلة أو أصوات اللين.

وأساس هذا التقسيم قائم على طبيعة الأصوات وخواصها، وذلك بتركيز الاهتمام على خاصيتين مهمتين هما[2]:

أ – وضع الوترين الصوتيين عند النطق.

ب – طريقة مرور الهواء من الحلق والفم أو الأنف.

ويوضح د. إبراهيم أنيس الفرق بين الأصوات الصامتة والأصوات الصائتة فيقول: " فالصفة التي تجمع بين كل أصوات اللين (Vowels) هي أنه عند النطق بها يندفع الهواء من الرئتين مارًا بالحنجرة، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم في ممر ليس فيه حوائل تعترضه فتضيق مجراه كما يحدث مع الأصوات الرخوة، أو تحبس النفس ولا تسمح له بالمرور كما يحدث مع الأصوات الشديدة. فالصفة التي تختص بها أصوات اللين هي كيفية مرور الهواء في الحلق والفم وخلو مجراه من حوائل وموانع "[3].

إن هذا الاندفاع في الهواء عند نطق الأصوات الصائتة دون أن يعترضها عارض في الحلق أو الفم هو الذي أكسبها قوة الوضوح السمعي مقارنة بوضوح الأصوات الصامتة، وهذه الصفة –الوضوح السمعي– هي التي بنيت عليها التفرقة بين الصوامت والصوائت[4].

أما الصوت الصامت فهو: " الصوت المجهور أو المهموس الذي يحدث أثناء النطق به اعتراض أو عائق في مجرى الهواء، سواء أكان الاعتراض كاملاً كما في نطق صوت مثل الدال، أو كان الاعتراض اعتراضًا جزئيًّا من شأنه أن يسمح بمرور الهواء ولكن بصورة ينتج عنها احتكاك مسموع. ويدخل في الأصوات الصامتة تلك الأصوات التي لا يمر الهواء أثناء النطق بها من الفم، وإنما يمر من الأنف كالنون والميم، وكذلك الأصوات التي ينحرف هواؤها فلا يخرج من وسط الفم وإنما يخرج من جانبيه أو أحدهما كاللام "[5].

يمكننا مما سبق استنتاج ما يلي[6]:

---

[1] - انظر الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، ٢٦ ، وعلم اللغة العام (الأصوات): د. كمال بشر، ٧٣ ، والمدخل إلى علم اللغة: د. رمضان عبد التواب، ٤٢ ، وعلم اللغة: د. محمود السعران، ١٤٨

[2] - علم اللغة العام (الأصوات): د. كمال بشر، ٧٣

[3] - الأصوات اللغوية: ٢٦

[4] - السابق: ٢٧

[5] - علم اللغة العام (الأصوات): د. كمال بشر، ٧٤

[6] - انظر السابق: ٧٤ - ٧٥

١ – الصوائت كلها مجهورة في الكلام العاديّ، أما الأصوات الصامتة فمنها ما هو مجهور ومنها ما هو مهموس.

٢ – كل صوت حصل اعتراض تام في مجرى الهواء حال النطق به فهو صوت صامـــت، مثل: الباء، والدال.

٣ – كل صوت حصل اعتراض جزئيّ في مجرى هوائه، محدثًا احتكاكًا من أي نوع حال النطق به يعد صوتًا صامتًا، مثل: السين، والشين، والصاد.

٤ – كل صوت لا يمر الهواء حال النطق به من الفم فهو صوت صامت، مثل: الميم، والنون.

٥ – كل صوت ينحرف هواؤه فيخرج من جانبي الفم أو من أحدهما فهو صوت صامت كاللام.

٦ – كل صوت غير مجهور (مهموس) صوت صامت.

بتطبيق التعريفات التي أوردناها سابقًا، يتضح أن الأصوات الصامتة هي ما اصطلح العلماء القدماء على تسميته بالحروف، وهي: أ، ب، ت، ث... أما الأصوات الصائتة فهي الفتحة، والكسرة، والضمة، ومن الممكن أن تطول فتصبح الألف، والياء (كما في كريم) والواو (كما في صبور).

الفصل الثاني

الأصوات الصامتة

❖ المبحث الأول: مخارج الأصوات الصامتة

❖ المبحث الثاني: صفات الأصوات الصامتة

أولاً: مخارج الأصوات الصامتة

المخرج هو مكان النطق[١]، وهو المكان الذي ينحبس عنده الهواء أو يضيق مجراه عند النطق بالصوت، وقد وزَّع علماء الأصوات المحدثون مخارج الأصوات الصامتة الرئيسة على عشرة مخارج على النحو التالي[٢] :

١ – **الشفتان**: ويسمى الصوت الخارج منهما **شفويًّا** أو **شفتانيًّا**، وعند النطق تقفل الشفتان أو تستديران، والأصوات الصادرة من هذا المخرج هي: الباء، والميم، والواو.

٢ – الشفة السفلى مع الأسنان العليا: ويسمى الصوت الخارج منهما **شفويًّا أسنانيًّا**، وينطق بتضييق مجرى الهواء عند اتصال الشفة السفلى بالأسنان العليا، والصوت الصادر منه هو الفاء.

٣ – الأسنان: ويسمى الصوت الخارج من هذا الموضع **أسنانيًّا**، وينطق عند اتصال طرف اللسان بالأسنان العليا، والأصوات الصادرة منه هي: الذال، والظاء، والثاء[٣].

٤ – الأسنان مع اللثة: ويسمى الصوت الخارج منهما **أسنانيًّا لثويًّا**، ويخرج الصوت عند اتصال طرف اللسان مع الأسنان العليا، ومقدمة اللسان باللثة (وهي أصول الثنايا) وهذا المخرج من أغنى المخارج بالأصوات الصامتة وهي: الدال، والضاد، والتاء، والطاء، والزاي، والسين، والصاد.

٥ – اللثة: ويسمى الصوت الخارج منها **لثويًّا**، ويخرج الصوت عند اتصال طرف اللسان باللثة، والأصوات الصادرة منها هي: اللام، والراء، والنون[٤].

٦ – الغار: ويسمى الصوت الخارج منه **غاريًّا**، ويخرج الصوت عند اتصال مقدمة اللسان بالجزء الصلب المحزز الذي يلي اللثة، والأصوات الصادرة منه هي: الشين، والجيم، والياء[٥].

٧ – الطبق: ويسمى الصوت الخارج منه **طبقيًّا**، ويخرج الصوت عند اتصال مؤخرة اللسان بالطبق (وهو الجزء الرخو من مؤخر سقف الحنك) والأصوات الصادرة منه هي: الكاف، والغين، والخاء.

---

[١] - مناهج البحث في اللغة: د. تمام حسان، ١١٠

[٢] - انظر السابق: ١١٠ - ١١١ ، حدد المخارج ولم يحدد الأصوات لكل مخرج، إلا أنها محددة في الجدول ص ١٥٦ ، وانظر المدخل إلى علم اللغة: د. رمضان عبد التواب، ٢٨

[٣] - أصوات المخرج الثالث والرابع والخامس جمعها د. إبراهيم أنيس في كتابه الأصوات اللغوية تحت عنوان واحد هو " المجموعة الكبرى من الأصوات المتقاربة المخارج " (انظر ص ٤٦)، ثم قسمها إلى أربع مجموعات، هي: ١- الذال، والثاء، والظاء (انظر ص ٤٧) ٢ - الدال، والضاد، والتاء، والطاء (انظر ص ٤٨) ٣- اللام، والراء، والنون (انظر ص ٦٤) ٤- السين، والزاي، والصاد (انظر ص ٧٥)

[٤] - المخرجان الرابع والخامس متقاربان جدًّا، لذلك عدَّ د.كمال بشر اللام والنون من الأصوات الأسنانية اللثوية، والزاي، والسين، والصاد من الأصوات اللثوية، انظر علم اللغة العام (الأصوات): ٨٩

[٥] - قسم د. كمال بشر هذا المخرج إلى مخرجين، الأول أسماه لثويًّا حنكيًّا، ويخرج منه الجيم، والشين، والثاني أسماه وسط حنكيّ، ويخرج منه الياء، وبذلك تكون مخارج الأصوات الصامتة عنده أحد عشر مخرجاً، انظر علم اللغة العام (الأصوات): ٩٠

٨ – **اللهاة:** ويسمى الصوت الخارج منها **لهويًّا**، ويخرج الصوت عند اتصال مؤخرة اللسان باللهاة، والصوت الصادر هو القاف.

٩ – **الحلق:** ويسمى الصوت الخارج منه **حلقيًّا**، ويخرج الصوت عند تضييق منطقة الحلق ويخرج منه صوتان، هما: العين، والحاء.

١٠ – **الحنجرة:** ويسمى الصوت الخارج منها **حنجريًّا**، ويخرج الصوت عند إقفال الوترين الصوتيين أو تضييقهما في قاعدة الحنجرة، والأصوات الصادرة من هذا المخرج صوتان، هما: الهمزة، والهاء[١].

نلاحظ مما سبق أن اللسان كان عاملاً مشتركًا في إخراج معظم الأصوات الصامتة، فهو مرة يوضع بين الأسنان، أو يتصل باللثة، أو بالغار، ومرة أخرى ترتفع مؤخرته لتتصل باللهاة، أو بالطبق أو لتضييق ذلك المخرج، إلا أنه لا توجد أصوات تخرج منه وحده.

وقد تحدث علماؤنا القدماء عن الأصوات الصامتة، وأول من خاض في هذا المجال الخليل بن أحمد الفراهيديّ ت (١٧٥ هـ) في معجمه "العين" حيث رتَّب مادته على حسب مخارج (الحروف)، ثم رتَّب فصوله على النحو التالي[٢]:
ع خ هـ خ غ/ ق ك/ ج ش ض/ ص س ز/ ط د ت/ ظ ذ ث/ ر ل ن/ ف ب م/ و ا ي/ الهمزة.

لن أعلق على هذا التقسيم؛ لأنه يوجد فيه اختلاف كبير بينه وبين تقسيم المحدثين للأصوات الصامتة. أما سيبويه ت (١٨٠ هـ) فقد رتَّب مخارج الأصوات الصامتة على النحو التالي[٣]:
ء هـ ا/ ع ح/ غ خ/ ق/ ك/ ج ش ي/ ض/ ن/ ل ر/ ط د ت/ ز س ص/ ظ ذ ث/ ف/ ب م و.

وقد تأثر بسيبويه كل من جاء بعده، وأخذوا يرددون عباراته ومصطلحاته، أما ابن جني ت(٣٩٢ هـ) فقد وضع كتابًا مستقلاً في علم الأصوات هو " سر صناعة الإعراب "، ونفضل أن نأخذ بما جاء به ابن جني مثالاً للمقارنة – على الرغم من الدقة النسبية التي توصل إليها العالم الجليل سيبويه – وذلك لأن ابن جني قد تفوق على سيبويه في هذا المجال، بالإضافة إلى أن ما أتى به سيبويه هو الأساس الذي بنى عليه ابن جني عمله، فلابد أن يكون قد استفاد منه وزاد عليه بفضل دقته ورهافة حسه، لذا سنعرض تجربة ابن جني في هذا المجال موضحين الفرق بينه وبين

---

[١] - يجمع د. إبراهيم أنيس الكاف، والقاف في مخرج واحد يسميه أصوات أقصى الحنك، ثم يجمع الغين، والخاء، والعين، والحاء، والهاء، والهمزة في مخرج واحد يسميه الأصوات الحلقية، انظر الأصوات اللغوية: ٨٤- ٨٨
[٢] - العين: الخليل بن أحمد، ٤/١
[٣] - الكتاب: سيبويه، ٤٣٣/٤

ما توصل إليه المحدثون من علماء الأصوات.

يشبه ابن جني مجرى النَّفَس في أثناء النطق بالمزمار، كما يشبه مدارج الأصوات الصامتة ومخارجها بفتحات هذا المزمار، التي يضع الزامر أصابعه عليها فتخرج أصوات مختلفة، أو يشبه مجرى النفس بوتر العود، وأثر الأصابع على الأوتار وما ينتج جرَّاء ذلك من أصوات مختلفة، فيقول: " شبه بعضهم الحلق والفم بالناي، فإن الصوت يخرج فيه مستطيلاً أملس ساذجًا، كما يجري الصوت في الألف غُفْلاً بغير صنعة، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة، وراوح بين عَمَلِه، اختلفت الأصوات، وسُمع لكل خَرْق منها صوت لا يشبه صاحبه، فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة. ونظير ذلك أيضًا وَتَر العود، فإن الضارب إذا ضربه وهو مُرْسَل سمعتَ له صوتًا، فإن حَصَر آخر الوتر ببعض أصابع يسراه أدّى صوتًا آخر، فإن أدناها قليلاً سمعتَ غير الاثنين، ثم كذلك كلما أدنى أصبعه من أول الوتر تشكلت لك أصداء مختلفة... فالوتر في هذا التمثيل كالحلق، والخَفْقة بالمِضْراب عليه كأول الصوت من أقصى الحلق، وجريان الصوت فيه غُفْلاً غير محصور كجريان الصوت في الألف الساكنة، وما يعترضه من الضغط والحصر بالأصابع كالذي يعرض للصوت في مخارج الحروف[١]من المقاطع، واختلاف الأصوات هناك كاختلافها هنا. وإنما أردنا بهذا التمثيل الإصابة والتقريب "[٢].

حقًّا لقد أصبت أيها العالم الجليل، وقربت بما لا يدع مجالاً للشك أو الخلط، ووضحت المسألة بما ينم عن إحساس الموسيقار المرهف والحاذق الملهم.

ثمَّ يحدد ابن جني مخارج الأصوات الصامتة فيقول[٣]: اعلم أن مخارج هذه الحروف ستة عشر. ثلاثة منها في الحلق:

١ – أولها من أسفله وأقصاه مخرج الهمزة والألف والهاء.

٢ – من وسط الحلق مخرج العين والحاء.

٣ – ومما فوق ذلك مع أول الفم مخرج الغين والخاء.

٤ – ومما فوق ذلك من أقصى اللسان مخرج القاف.

٥ – ومن أسفل من ذلك وأدنى إلى مقدم الفم مخرج الكاف.

٦ – من وسط اللسان، بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء.

٧ – ومن أول حافة اللسان. وما يليها من الأضراس مخرج الضاد.

٨ – ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طـرف اللسان، من بينها وبين ما يليها من الحنـك

---

[١] - لاحظ هنا أن ابن جني يستخدم مصطلح " الحروف " بدلاً من " الأصوات الصامتة " وهذا مغاير لاستخدام المحدثين له.

[٢] - سر صناعة الإعراب: ٢١/١

[٣] - السابق: ٥٤/١ - ٥٦

الأعلى، فما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية، مخرج اللام.

٩ – ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون.

١٠ – ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج الراء.

١١ – ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء.

١٢ – ومما بين الثنايا وطرف اللسان مخرج الصاد والزاي والسين.

١٣ – ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء.

١٤ – ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العُلا مخرج الفاء.

١٥ – ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو.

١٦ – ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة. هذا المخرج للنون إضافي يمكن الاستغناء عنه والاكتفاء بالمخرج التاسع.

نلاحظ أن ابن جني تأثر بطريقة الخليل بن أحمد في ترتيب مخارج الأصوات الصامتة تصاعديًّا من أقصى الحلق إلى الشفتين، وحتى تسهل علينا المقارنة مع ترتيب المحدثين لها، سوف نعكس هذا الترتيب على النحو التالي:

ب، م، و / ف / ظ، ذ، ث / ص، ز، س / ط، د، ت / ر / ن / ل / ض / ج، ش، ي / ك /ق/ غ، خ / ع، ح / ء، ا، هـ.

ولنتذكر تقسيم المحدثين لمخارج الأصوات الصامتة نورده مرة أخرى على النحو التالي:

ب، م، و / ف / ذ، ظ، ث / د، ض، ت، ط، ز، س، ص / ل، ر، ن / ش، ج، ي / ك، غ، خ / ق / ع، ح / ء، هـ.

إن نظرة سريعة إلى الترتيبين السابقين للأصوات الصامتة نلاحظ ما يأتي:

١ – مجال الاتفاق بين المحدثين وابن جني أوسع من مجال الاختلاف، ويكفي هذا العالم الجليل فخرًا أنه قد توصل إلى هذه النتائج الدقيقة من خلال قوة ملاحظته، ورهافة حسه، وذكائه الفذ، فلم تكن في عصره تلك الأجهزة والأدوات التي استعان بها المحدثون من علماء الأصوات في عصرنا الحالي.

٢ – كثير من نقاط الاختلاف عائد إلى شدة التقارب والتداخل بين مخارج النطق، فليس هناك حدود فاصلة فصلاً تامًّا بين بعض هذه المخارج، لذلك يمكن أن نغض الطرف عنها ونهمل الخوض فيها، خصوصاً أن هناك من المحدثين من اختلط عليهم الأمر أيضًا في بعض المخارج المتقاربة، أو لهم آراء خاصة بهم مختلفة عن آراء الآخرين، ولا ضير في ذلك إن كانت جميعها تدور في فلك الصواب.

٣ – نلاحظ في المخرج الأول والثاني والثالث أن ابن جني يتحدث عن الأصوات الصامتة التي أسماها بالحروف الحلقية، فهو ربما أطلق مصطلح "الحلق" على تلك المنطقة التي تشمل:

أ – الحنجرة، وتقابل عنده أسفل الحلق.

ب – الحلق، وتقابل عنده أوسط الحلق.

ج – أقصى الحنك، وتقابل عنده أقصى الحنك. فإذا ما اعتبرنا هذا الافتراض صحيحًا فإن ابن جني على صواب، وإلا كان موضع الهمزة خطأ.

٤ – أكثر الأصوات الصامتة وضوحاً في اختلاف مخرجها عند المحدثين عنها عند ابن جني هي: الضاد، والقاف، والألف.

وفيما يلي الرد على هذا الاختلاف:

بالنسبة **للألف** فموقعها هنا مع الهمزة والهاء خطأ واضح؛ لأنها من الأصوات الصائتة وليست من الأصوات الصامتة، والصوائت لا مخرج لها، بل يخرج الهواء في أثناء النطق بها حرًّا طليقًا دون عائق يسد مجراه.

أما عن الاختلاف في تحديد مخرجي الضاد، والقاف فهذا راجع إلى أحد احتمالين:

الاحتمال الأول: ربما أخطأ ابن جني في تحديد مخرج الضاد والقاف، وهذا الأمر مستبعد، خصوصًا إذا علمنا أنه يوجد ما يماثل ضاد ابن جني وقافه في بعض اللهجات العامية كما في العراق والكويت والسودان[١].

الاحتمال الثاني: أن يكون قد حدث لهذين الصوتين تطور في أيامنا هذه، وأن ابن جني قد وصف ضادًا وقافًا غير التي ننطق بهما اليوم، فبالنسبة **للضاد** ما يؤيد هذا الرأي أن ابن جني وصفها في أماكن أخرى من كتابه " سر صناعة الإعراب " بأوصاف مختلفة عن ضادنا اليوم حيث يقول: " إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت من الجانب الأيسر "[٢]، أي أن الهواء يخرج من أحد جانبي الفم (أو كليهما)، فهي إذًا جانبية كاللام، ولو حاولنا أن ننطق الضاد بهذه المواصفات فسنجد صعوبة بالغة، يكاد يستعصي علينا الأمر.

كما أن ابن جني يقول في موضع آخر عن هذه الضاد العصية النطق: " ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سينًا، والظاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام؛ لأنه ليس من موضعها شيء غيرها تزول الضاد إذا عدمت الإطباق إليه "[٣].

---

[١] - انظر علم اللغة العام (الأصوات): د. كمال بشر، ١٠٧ تحدث عن الضاد، وفي ص ١١١ تحدث عن القاف.

[٢] - سر صناعة الإعراب: ٥٦/١ ، وانظر الكتاب: سيبويه، ٤٣٢/٤ ، ويفهم من وصف سيبويه لنطق الضاد أنها من الممكن أن تخرج من جانبي الفم أيضاً.

[٣] - سر صناعة الإعراب: ٦٨/١ ، وانظر الكتاب: سيبويه، ٤٣٦/٤

نرى أن ابن جني قد نسب الضاد إلى موضع لا يشترك معها غيرها فيه، وهذا يخالف رأي المحدثين في الضاد حيث يشترك معها في المخرج صوت التاء، والدال، والطاء، والزاي، والسين، والصاد، كما أن ابن جني جعل النظير المفخم للدال هو الطاء، بينما المحدثون يرون أن الضاد هو النظير المفخم للدال، والطاء هو النظير المفخم للتاء[١].

ولبرجشتراسر رأي في الضاد القديمة، يوافق الرأي الذي قدمناه هنا حيث يقول: " فالضاد العتيقة حرف غريب جدًّا، غير موجود حسبما أعرف في لغة من اللغات، إلا العربية؛ ولذلك كانوا يكنون عن العرب بالناطقين بالضاد. ويغلب على ظني أن النطق العتيق للضاد، لا يوجد الآن عند أحد من العرب غير أن للضاد نطقًا قريبًا منه جدًّا عند أهل حضرموت، وهو كاللام المطبقة "[٢].

أما **القاف** التي عدَّها ابن جني حنكية قصية وهي عندنا لهوية، فمن المحتمل أن القاف القديمة كانت تشبه ذلك الصوت الذي يمكن تسميته بـــ "الجاف" أو ما يشبه الكاف الفارسية، وهو شبيه بالجيم القاهرية[٣].

ثانيًا: صفات الأصوات الصامتة

يمكن معرفة صفات الأصوات الصامتة من خلال النظر إليها من ثلاث زوايا، هي[٤]:

أولاً : كيفية خروج الهواء والعوائق التي تواجهه في أثناء النطق.

ثانيًا: اهتزاز الوترين الصوتيين أو عدم اهتزازهما في أثناء النطق.

ثالثًا: ارتفاع مؤخرة اللسان أو انخفاضها في أثناء النطق.

وسنتعرف على كل حالة من الحالات السابقة على النحو الآتي:

أولاً : كيفية خروج الهواء

بالنظر إلى الطريقة التي يتم بها خروج الهواء عند النطق بالصوت الصامت في مخرج ما، يتضح لدينا الحالات الآتية[٥]:

١ – قد يصادف تيارَ الهواء الخارج من الرئتين عائقٌ فيمنعه من المرور عند مخرج معين، ثم يزول هذا العائق بسرعة، فيندفع الهواء بشدة محدثًا انفجارًا، وتسمى الأصوات الخارجة بهذه

[١] - انظر علم اللغة العام (الأصوات): د. كمال بشر، ١٠٥

[٢] - التطور النحويّ: ١٨- ١٩

[٣] - علم اللغة العام (الأصوات): د. كمال بشر، ١١٠

[٤] - انظر مناهج البحث في اللغة: د.تمام حسان، ١١٢

[٥] - انظر السابق: ١١٢ - ١١٣ ، والمدخل إلى علم اللغة: د. رمضان عبد التواب، ٣٣ - ٣٦ ، ويقسم د. كمال بشر الأصوات الصامتة من هذه الزاوية إلى سبع مجموعات هي: ١- الوقفيات الانفجارية، وهي الأصوات الشديدة نفسها ٢- الأصوات الاحتكاكية وهي الأصوات الرخوة نفسها ٣- الوقفيات الاحتكاكية وهي المركبة ٤- أصوات التكرار وهي الراء ٥- الأصوات الجانبية وهي اللام ٦- الأصوات الأنفية وهي الميم والنون ٧- أنصاف الحركات وهي الواو والياء، انظر علم الأصوات: ٢١٢ - ٢١٤

الصورة شديدةً أو انفجاريةً أو وقفيةً، وهي: الباء، والتاء، والدال، والضاد، والطاء، والكاف، والقاف، والهمزة.

٢ – قد يصادف تيارَ الهواء تضييقٌ لا انسداد، وهذا التضييق يسمح للهواء بالمرور من ذلك الموضع، فيحتك الهواء بنقطة التضييق، وتسمى الأصوات الخارجة بهذه الصورة رخوةً أو احتكاكيةً أو استمراريةً، وهي: الفاء، والثاء، والذال، والظاء، والزاي، والسين، والصاد، والشين، والخاء، والغين، والحاء، والعين، والهاء.

٣ – قد يصادف تيارَ الهواء عائقٌ يمنعه من المرور، ثم يزول هذا العائق ببطء، أي أن العضوين المتصلين اللذين منعا خروج الهواء لا ينفصلان سريعًا كما في الأصوات الشديدة، بل ينفصلان ببطء مع حصول التضييق الشبيه بالتضييق الحاصل في الأصوات الرخوة، فهذا الصوت يجمع بين الشدة والرخاوة؛ لأنه يبدأ شديدًا وينتهي رخوًا، ويسمى بالصوت المركب أو المزدوج أو المزجيّ أو نصف الوقفيّ أو المعطش، وهو صوت الجيم.

٤ – قد يترك مجرى الهواء كما هو دون إقفال أو تضييق، فلا يحدث احتكاك أو انحباس في موضع النطق، بل يحدث انحراف لمجرى الهواء وذلك لأن تيار الهواء يتجنب المرور بنقطة السد أو التضييق كما هو الحال في نطق صوت اللام الذي يسمى صوتًا جانبيًّا. أو أن يكون موضع التضييق غير ذي استقرار كما هو الحال عند نطق صوت الراء الذي يسمى مكررًا، أو أن تيار الهواء لا يستمر خروجه من الفم، وإنما يغير مجراه ويمر من الأنف كما هو الحال في نطق صوتي الميم والنون اللذين يسميان بالأنفيين.

تسمى الأصوات الخارجة في الحالة الرابعة بالأصوات المتوسطة؛ لأنها ليست شديدة ولا رخوة، كما تسمى أيضًا بالأصوات المائعة أو السائلة[١].

وقد زاد د. تمام حسان عليها الواو والياء لتصبح عنده ستة أصوات، هي: اللام، والراء، والميم، والنون، والواو، والياء[٢].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن اللام والراء والنون تشبه الواو والياء في نسبة وضوحهما الصوتي، وأنها من أوضح الأصوات الصامتة في السمع[٣]، وسنجد في الفصول القادمة أن هذه الأصوات الثلاثة – في بعض الظواهر الصوتية – ستعامل معاملة الياء والواو.

خلاصة القول إن أنواع الأصوات الصامتة من حيث طريقة النطق أربعة، هي:

١ – الأصوات الشديدة، وعددها ثمانية أصوات، هي: ب، ت، د، ض، ط، ك، ق، ء.

---

[١] - المدخل إلى علم اللغة: د. رمضان عبد التواب، ٣٦

[٢] - مناهج البحث في اللغة: ١١٣

[٣] - الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، ٦٤

٢ – الأصوات الرخوة، وعددها ثلاثة عشر صوتًا، هي: ف، ذ، ظ، ث، ز، س، ص، ش، ع، خ، غ، ح، هـ.

٣ – الصوت المركب وهو الجيم.

٤ – الأصوات المتوسطة، وعددها ستة أصوات هي: ل، ر، م، ن، و، ي.

وكما توقفنا سابقًا عند ابن جني للتعرف إلى تحديده لمخارج الأصوات الصامتة، نتوقف عنده الآن لنتعرف إلى تقسيماته للأصوات الصامتة من حيث الشدة والرخاوة، فنجده يقول: " ومعنى الشديد: أنه الحرف الذي يمنع الصوت من أن يجري فيه؛ ألا ترى أنك لو قلت: الحقّ، والشَّطّ، ثم رمت مدّ صوتك في القاف والطاء لكان ذلك ممتنعًا. والرِّخو: هو الذي يجري فيه الصوت؛ ألا ترى أنك تقول: المَسّ، والرَّشّ، والشحّ، ونحو ذلك فتمدّ الصوت جاريًا مع السين والشين والحاء"[1].

نجد أن تعريف ابن جني للصوت الشديد والصوت الرخو، يشابه تعريف المحدثين لهما، فـ "منع الصوت من أن يجري" هو نفسه الانحباس المؤقت الذي نحسه في أثناء نطق الصوت الشديد لحظة قصيرة بسبب التقاء العضوين ثمَّ انفراجهما فجأة، وتسرب الهواء وعدم انحباسه مع الصوت الرخو هو نفسه ما عبر عنه ابن جني بـ " جريان الصوت ".

ثم يحدد ابن جني الأصوات الشديدة والأصوات الرخوة بقوله: " فالشديدة ثمانية أحرف، وهي: الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والدال، والتاء، والباء، ويجمعها في اللفظ (أَجَدْتَ طَبَقَك) و(أجدك طَبَقت). والحروف التي بين الشديدة والرِّخوة ثمانية أيضًا، وهي: الألف، والعين، والياء، واللام، والنون، والراء، والميم، والواو، ويجمعها في اللفظ: (لم يَرْوِ عَنًّا)، وإن شئت قلت: (لم يُرَوِّعْنا)، وإن شئت قلت: (لم يَرْعَوْنا). وما سوى هذه الحروف والتي قبلها هي الرخوة "[2].

أي أن ابن جني يقسم الأصوات الصامتة من حيث الشدة والرخاوة إلى ثلاثة أقسام، هي:

١ – الأصوات الشديدة، وعددها ثمانية وهي: ب، ت، د، ط، ج، ك، ق، ء.

٢ – الأصوات الرخوة، وعددها ثلاثة عشر وهي: ف، ث، ذ، ظ، ز، س، ش، ص، ض، خ، غ، ح، هـ.

٣ – الأصوات التي بين الشديدة والرخوة، وعددها ثمانية وهي: ا، ع، ي، ل، ر، ن، م، و.

عند مقارنة تقسيم ابن جني هذا بتقسيم المحدثين للأصوات من حيث طريقة مرور الهواء، نلاحظ الاختلاف في النقاط الآتية:

١ – عدَّ ابن جني (الجيم) من الأصوات الشديدة، بينما عدَّها المحدثون من الأصوات المركبة.

---

[1] - سر صناعة الإعراب: ٦٨/١

[2] - السابق: ٦٧/١ - ٦٨

٢ – عدَّ ابن جني (الضاد) من الأصوات الرخوة، بينما عدَّها المحدثون من الأصوات الشديدة.
٣ – عدَّ ابن جني (العين) من الأصوات التي بين الشديدة والرخوة، بينما عدَّها المحدثون من الأصوات الرخوة.
٤ – عدَّ ابن جني (الألف) من الأصوات التي بين الشديدة والرخوة، بينما لم يدخلها المحدثون في الحسبان.

وفيما يلي الرد على آراء ابن جني:

الألف: تعدُّ الألف من الأصوات الصائتة وليست من الأصوات الصامتة، وللأصوات الصائتة صفات خاصة بها تختلف عن صفات الأصوات الصامتة، سنتعرف إليها في الفصل القادم إن شاء الله تعالى.

الضاد: كنا قد توصلنا سابقًا عند الحديث عن مخرج الضاد أن الضاد القديمة تختلف عن الضاد الحديثة، فليس غريباً أن توصف الآن بالرخوة، مما يزيد الاختلاف ويعمقه.

الجيم: الاحتمال الأول: ربما وصف ابن جني الجيم التي تشبه الجيم القاهرية التي تنطق كالكاف، إلا أن هذا الاحتمال ضعيف، لأن سيبويه قد عدَّ هذه الجيم من الحروف المستقبحة[١].

الاحتمال الثاني: من الممكن أن يكون ابن جني قد نظر إلى الجزء الأول من نطق الجيم وهو الجزء الذي ينحبس فيه الهواء في بداية النطق، وأهمل – أو لم يلتفت – إلى الجزء الثاني وهو الانتقال من الانحباس إلى الاحتكاك[٢].

العين: يعدُّها المحدثون أقل الأصوات الاحتكاكية احتكاكًا[٣]، ولعل هذا ما دعا ابن جني إلى عدَّها من الأصوات المتوسطة، إلا أنها تختلف عن الأصوات المتوسطة، فــ " الأصوات المتوسطة تشترك جميعها في خصائص ليست موجودة في نطق العين. وأوضح هذه الخصائص حرية مرور الهواء في المجرى الأنفي أو المجرى الفموي، دون سد طريقه أو عرقلة سيره بالتضييق عند نقطة ما. وقد اتضح بصورة الأشعة أن في نطق العين تضييقاً كبيراً للحلق "[٤]، لذلك تعدُّ العين من الأصوات الرخوة لا المتوسطة.

---

[١] ـ الكتاب: سيبويه، ٤/٤٣٢
[٢] ـ علم اللغة العام (الأصوات): د. كمال بشر، ١٢٦
[٣] ـ انظر السابق: ١٢١
[٤] ـ مناهج البحث في اللغة: د. تمام حسان، ١٣٠

ثانيًا: وضع الوترين الصوتيين

تقسم الأصوات الصامتة على هذا الأساس إلى قسمين هما:

القسم الأول: قد يقترب الوتران الصوتيان بعضهما من بعض في أثناء النطق، فيضيق الفراغ بينهما بحيث يسمح بمرور الهواء مع إحداث اهتزازات وذبذبات في الوترين الصوتيين، تسمى هذه الأصوات بالأصوات المجهورة، وهي: الباء، والجيم، والدال، والذال، والراء، والزاي، والضاد، والظاء، والعين، والغين، واللام، والميم، والنون، والواو (كما في ولد)، والياء(كما في يترك)[١].

القسم الثاني: قد ينفرج الوتران الصوتيان بعضهما عن بعض في أثناء مرور الهواء من الرئتين بحيث يسمحان له بالخروج دون أن يقابله أي اعتراض أو اهتزاز من قبل الوترين الصوتيين، وتسمى هذه الأصوات بالأصوات المهموسة، وهي[٢]: التاء، والثاء، والحاء، والخاء، والسين، والشين، والصاد، والطاء، والفاء، والقاف، والكاف، والهاء، والهمزة[٣].

أي أن الأصوات الصامتة من حيث وضع الوترين الصوتيين يمكن تقسيمها إلى:

أ – الأصوات المجهورة، وعددها خمسة عشر صوتًا، هي: ب، ج، د، ذ، ر، ز، ض، ظ، ع، غ، ل، م، ن، و، ي.

ب – الأصوات المهموسة، وعددها ثلاثة عشر صوتًا، هي: ت، ث، ح، خ، س، ش، ص، ط، ف، ق، ك، هـ، ء.

أما علماء الأصوات القدماء، فقد عرفوا الجهر والهمس، وتحدثوا عن الأصوات المجهورة والأصوات المهموسة، إلا أنهم لم يشيروا إلى وضع الوترين الصوتيين، ويبدو أنهم لم يكونوا على علم بهما، فمعرفتهما تحتاج إلى معونة علم التشريح الذي – على ما يبدو – لم يكن معروفًا في ذلك الوقت.

وقد عرَّف ابن جني الصوت المجهور بأنه: " حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النَّفَس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت "[٤].

ويوضح د. إبراهيم أنيس المقصود بإشباع الاعتماد الذي أورده سيبويه في تعريفه للصوت المجهور، والذي اقتبسه ابن جني حرفيًّا في التعريف السابق، فيقول عن سيبويه: إنه " يصف

[١] - علم اللغة العام (الأصوات): د. كمال بشر، ٨٧ - ٨٨

[٢] - السابق: ٨٧

[٣] - بعض المحدثين عدَّ الهمزة لا مهموسة ولا مجهورة ، انظر الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، ٩١ ، وعلم اللغة العام (الأصوات): د. كمال بشر، ٨٨

[٤] - سر صناعة الإعراب: ٦٧/١

المجهور بأنه صوت متمكن مشبع فيه وضوح وفيه قوة، وتلك هي الصفة التي يشير إليها الأوروبيون بقولهم " Sonority ". فالمجهور أوضح في السمع من نظيره المهموس، لا نزاع في هذا، وليس للاعتماد معنى في كلام سيبويه سوى عملية إصدار الصوت، تلك العملية التي تلازم النفس منذ خروجه من الرئتين إلى انطلاقه إلى الهواء الخارجي "[1].

يتضح أن المقصود بإشباع الاعتماد هو قوة تأثير الهواء المندفع من الرئتين على أعضاء النطق أثناء مروره في مجراه من الحنجرة حتى مخرج الصوت، وهذا يؤكد أن الصوت المجهور صوت واضح لما يصحبه من عملية صوتية قوية، يكون فيها ضغط الهواء قوياً في موضع النطق بالصوت المجهور.

ثم يعرف ابن جني الصوت المهموس بأنه صوت: " أُضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النَّفَس "[2]، فالصوت المهموس يصحبه هواء ضعيف الضغط لا يؤثر تأثيرًا قويًّا أثناء سيره في مجراه[3].

واضح من تعريف ابن جني للصوت المهموس أنه يوجد به اعتماد ولكنه أضعف بالمقارنة مع الاعتماد الموجود في الصوت المجهور، وهذا يوافق رأي المحدثين إذ يقول د. حسام البهنساوي: "كما أن الهمس لا يعني السكون التام للأوتار الصوتية، ولكن يحدث توتر بنسبة ضئيلة للغاية، لا تكاد تحس "[4]، إلا أن ابن جني ومن قبله سيبويه برهافة حسهما قد أحسا بهذه النسبة الضئيلة من التوتر.

إذًا الصوت المهموس صوتٌ ضَعُفَ ضغط الهواء معه في موضع النطق لذا جرى النفس بسهولة ويسر، بينما الصوت المجهور قَوِيَ ضغط الهواء معه في موضع النطق، فمنع الهواء من أن يجري حتى ينتهي الضغط، وكأن العلاقة عكسية بين الاعتماد وجريان النَّفَس، فكلما قَوِيَ الاعتماد ضَعُفَ جريان النَّفَس فنتج الصوت المجهور، وكلما ضَعُفَ الاعتماد قَوِيَ جريان النَّفَس فنتج الصوت المهموس.

وقد وضع ابن جني طريقة لاختبار الصوت المهموس من الصوت المجهور، فالصوت المهموس يمكنه التكرير، فيقول في ذلك: " قد يمكنك تكرير الحرف مع جري الصوت نحو: سَسَسَسَ كَكَكَكَ هَهَهَهَ، ولو تكلفت مثل ذلك في المجهور لما أمكنك "[5].

ثم حدد الأصوات المهموسة، وهي: الهاء، والحاء، والخاء، والكاف، والشين، والصاد، والتاء،

---

[1] - الأصوات اللغوية: ١٢٤- ١٢٥
[2] - سر صناعة الإعراب: ٦٧/١
[3] - انظر أصوات اللغة العربية: د. عبد الغفار حامد هلال، ١٦٦
[4] - الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث: ٦٣
[5] - سر صناعة الإعراب: ٦٧/١

والسين، والثاء، والفاء، ويجمعها في قوله: (ستشحثُك خصفه)، وباقي الأصوات وهي تسعة عشر صوتًا، عدَّها مجهورة[1].

نلاحظ أن الأصوات المهموسة عند ابن جني عشرة، وما تبقى ثمانية عشر إلا أنه عدَّ الأصوات المجهورة المتبقية تسعة عشر، وهذا يعني أنه عدَّ الألف من بين الأصوات المجهورة.

أي أن الأصوات الصامتة عند القدماء من حيث الجهر والهمس تقسم إلى قسمين، هما:

١ – الأصوات المجهورة، وعددها تسعة عشر صوتًا، هي: ء، ا، ع، غ، ق، ج، ي، ض، ل، ن، ر، ط، د، ز، ظ، ذ، ب، م، و.

٢ – الأصوات المهموسة، وعددها عشرة أصوات، هي: س، ك، ت، ف، ح، ث، هـ، ش، خ، ص.

بالمقارنة مع تقسيمات المحدثين للأصوات الصامتة من حيث الجهر والهمس يتضح أن الاختلاف في: الهمزة، والقاف، والطاء، إذ إنها عند القدماء مجهورة وعند المحدثين مهموسة، أما عن **الألف**، فهي فعلاً مجهورة ولكنها من الأصوات الصائتة وليس هذا موضع الحديث عنها، وبالنسبة للاختلاف في الهمزة والقاف والطاء، فتفسير ذلك عائد إلى أحد احتمالين هما:

الاحتمال الأول: ربما أخطأ القدماء – ممثلين بابن جني – في تحديد الصفة المناسبة لهذه الأصوات

إن كانت مجهورة أم مهموسة، **فالهمزة:** قد وصفها القدماء بأنها مجهورة، بينما أغلب المحدثين وصفوها بأنها مهموسة، وربما يرجع ذلك الخطأ من القدماء إلى أنهم كانوا ينطقونها متلوة بفتحة، والفتحة مجهورة، فأثر ذلك الجهر على نطق الهمزة فوصفوها هي الأخرى بالجهر خطأ[2].

ولكن الغريب أن العلماء القدماء على الرغم من وصفهم للهمزة بأنها صوت شديد ومجهور، إلا أنهم لم يذكروها ضمن صوامت (القلقلة) التي جمعوها في قولهم (قطب جد)[3]، والتي أجمعوا على أنها حروف شديدة ومجهورة في آن واحد[4]، ويعلل ابن الجزريّ ت (٨٣٣ هـ) عدم ذكرهم الهمزة ضمن صوامت (القلقلة) بقوله: " وإنما لم يذكرها الجمهور لما يدخلها من التخفيف حالة السكون ففارقت أخواتها ولما يعتريها من الإعلال "[5].

الاحتمال الثاني: ربما وصف ابن جني قافًا وطاءً مختلفتين عن اللتين نتداولهما في أيامنا هذه، أي أن يكون قد حدث لهما تطور وتغيير عمَّا كانتا عليه أيام ابن جني، وفيما يلي تفصيل ذلك:

---

[1] - سر صناعة الإعراب: ٦٧/١
[2] - علم اللغة العام (الأصوات): د. كمال بشر، ١١٥
[3] - سر صناعة الإعراب: ابن جني، ٦٩/١
[4] - علم اللغة العام (الأصوات): د. كمال بشر، ١١٧
[5] - النشر في القراءات العشر: ٢٠٣/١

القاف: كنا قد تحدثنا عن اختلاف مخرج القاف القديمة عن القاف الحديثة، فلا غرابة إذًا من اختلافها أيضاً في الصفة، أي أن القاف القديمة مختلفة عن القاف الحديثة في المخرج والصفة، مما يؤكد أن ابن جني قد وصف قافًا مختلفة تمامًا عن قافنا نحن.

الطاء: مما يؤكد أن الطاء القديمة مختلفة عن الطاء الحديثة قول ابن جني عن أصوات الإطبـــاق: " ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً..."[١]، فالنظير المرقق للطاء القديمة هو الدال، بينما النظير المرقق للطاء الحديثة هو التاء، أما النظير المفخم للدال فهو الضاد، فربما كان القدماء ينطقون الطاء بما يشبه الضاد الحالية[٢].

وهناك احتمال آخر أن يكون ابن جني قد وصف صوتًا يشبه الطاء التي نسمعها في بعض لهجات صعيد مصر وفي نطق بعض السودانيين الآن، وهو صوت طاء مشوبة بالتهميز، أي أننا نشعر عند النطق بوجود عنصر الهمز فيها، ويتم نطقها بالطريقة التي ننطق بها طاءنا الحالية بإضافة عنصر جديد وهو إقفال الوترين الصوتيين حال النطق بها، فلا يمر الهواء خلال الحلق والفم، وبالتالي يختلف ضغط الهواء في هاتين المنطقتين وفي خارج جهاز النطق عنه خلف الوترين الصوتيين، وفجأة تنفصل الأعضاء بعضها عن بعض فيخرج الهواء المضغوط ملتقيًا مع الهواء المندفع من الخارج فتسمع طاء مهموزة، والهمز جزء لا يتجزأ من نطقها[٣].

ثالثًا: وضع مؤخرة اللسان

النظرة الثالثة التي يمكن من خلالها أن نتعرف إلى صفات الأصوات الصامتة تتجه نحو مؤخرة اللسان في أثناء النطق بالصوت، ولها حالتان، هما:

الحالة الأولى: قد ترتفع مؤخرة اللسان عند النطق تجاه الطبق، فتصدر الأصوات المفخمة أو المطبقة، وهي: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء[٤].

وهناك فرق بين الطبقية والإطباق، إذ يقول د. تمام حسان في هذا المجال: " فالطبقية ارتفاع مؤخر اللسان حتى يتصل بالطبق فيسد المجرى أو يضيقه تضييقًا يؤدي إلى احتكاك الهواء بهما في نقطة التقائهما، فهي إذًا حركة عضوية مقصودة لذاتها يبقى طرف اللسان معها في وضع محايد. أما الإطباق فارتفاع مؤخـــر اللسان في اتجاه الطبق بحيث لا يتصل به على حين يجـــري

---

[١] ـ سر صناعة الإعراب: ٦٨/١

[٢] ـ انظر علم اللغة العام (الأصوات): د. كمال بشر، ١٠٣

[٣] ـ مناهج البحث في اللغة: د. تمام حسان، ١٢٢

[٤] ـ انظر المدخل إلى علم اللغة: د. رمضان عبد التواب، ٣٧ ، وقد أضاف إليها د.تمام حسان الغين، والخاء، والقاف، انظر مناهج البحث في اللغة: ١١٥ ، وذكر في مكان آخر من الكتاب نفسه ص ١٣٦ أن الغين والخاء والقاف أقل تفخيماً من الصاد والضاد والطاء والظاء

النطق في مخرج آخر غير الطبق "[1].

فالطبقية حركة يتم فيها ارتفاع مؤخرة اللسان حتى يتصل بالطبق فينتج الأصوات الطبقية، وهي: القاف، والغين، والخاء، أما الإطباق فهي حركة مصاحبة للنطق في مخرج آخر غير الطبق تلون الصوت المنطوق برنين خاص مفخم، وهذه الأصوات هي: الصاد، والضاد، والطاء والظاء.

ويطلق بعض المحدثين على ظاهرة الإطباق بظاهرة التحليق، وذلك لأن حركة اللسان التي تصاحبها مزدوجة: إلى أعلى قليلاً وإلى الخلف قليلاً[2]، ويرى د. تمام حسان أن الإطباق ليس السبب الأول والأخير في ظاهرة التفخيم، بل هو أحد عنصري هذه الظاهرة، وأما العنصر الآخر فهو التحليق، وهو قرب مؤخرة اللسان من الجدار الخلفي للحلق، نتيجة لتراجع اللسان بصفة عامة[3].

الحالة الثانية: قد تنخفض مؤخرة اللسان بعيدًا عن الطبق عند النطق بالصوت، وتسمى الأصوات الصامتة الصادرة بهذه الصورة بالأصوات المرققة أو غير المطبقة، وهي بقية الأصوات الصامتة عدا الأصوات المفخمة[4].

أي أن الأصوات الصامتة من حيث التفخيم والترقيق تقسم إلى:

١ – الأصوات المفخمة، وهي: ص، ض، ط، ظ. والأصوات الأقل تفخيمًا هي: ق، غ، خ.

٢ – الأصوات المرققة، وهي: ء، ب، ت، ث، ج، ح، د، ذ، ر، ز، س، ش، ع، ف، ك، ل، م، ن، هـ، و، ي.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن صوتي الراء واللام من الأصوات المرققة ولكنهما في بعض المواقع يفخمان، فاللام تفخم مع لفظ الجلالة (الله) إذا لم يسبقه صوت الكسرة[5]، كقوله تعالى:﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾[6]، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾[7].

كما أنه يجوز تفخيمها إذا تلاها صوت الفتحة وسبقت بأحد أصوات الإطباق، مثل: الصَلاة، والطَلاق، والظَلام، والضَلال. وقد عدَّ بعض المحدثين صوت اللام المفخمة فونيمًا مستقلاً مختلفًا عن اللام المرققة[8].

أما الراء فتفخم إذا كانت مفتوحةً أو مضمومةً، نحو: رَبّي، إشرَاق، شُرُوق، كذلك تفخم الراء

---

[1] - مناهج البحث في اللغة: ١١٥
[2] - دراسة الصوت اللغويّ: د. أحمد مختار عمر، ١٢٥
[3] - مناهج البحث في اللغة: ١١٦
[4] - انظر المدخل إلى علم اللغة: د. رمضان عبد التواب، ٣٧
[5] - انظر مناهج البحث في اللغة: د. تمام حسان، ١٣٣ ، وعلم الأصوات: د. كمال بشر، ٤٠٨
[6] - سورة النساء: الآية، ١٠٨
[7] - سورة آل عمران: الآية، ١٢٣
[8] - انظر التشكيل الصوتيّ في اللغة العربية (فنولوجيا العربية): د. سلمان العاني، ٤٩ ، ودراسة الصوت اللغويّ: د. أحمد مختار عمر، ٣١٤

الساكنة إذا سبقت بفتح أو ضم، نحو: شَرْق، تُرْبة، أو جاورها صوت استعلاء، نحو: رِقاب، مَرْضى، قُرْبى[١].

وعند علماء اللغة القدماء فلم يكن التفخيم والترقيق غريبين عليهم، فها هو ذا العلامة ابن جني يعرف الإطباق بقوله: " والإطباق: أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مُطبقًا له "[٢]، ثم يحدد الأصوات الصامتة المطبقة بأربعة أصوات، هي: الضاد، والطاء، والصاد، والظاء، وما عداها غير مطبق[٣].

ويفرق ابن جني بين الإطباق والاستعلاء، فالاستعلاء: " أن تتصعد في الحنك الأعلى، فأربعة منها فيها مع استعلائها إطباق، وقد ذكرناها، وأما الخاء والغين والقاف فلا إطباق فيها مع استعلائها "[٤].

أي أن حروف الاستعلاء عند ابن جني هي: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والقاف والخاء، والغين. وحروف الإطباق هي: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء. وما تبقى من الأصوات الصامتة مرققة، وهذا يوافق ما توصل إليه المحدثون إن لم يكن يطابقه، فلله در هؤلاء العباقرة الذين توصلوا إلى هذه النتائج الدقيقة في ذلك الزمن السحيق !!!

وفيما يلي جدول يوضح مخارج الأصوات الصامتة وصفاتها[٥]:

---

[١] - علم الأصوات: د. كمال بشر، ٤٠٧

[٢] - سر صناعة الإعراب: ٦٨/١

[٣] - السابق: الصفحة نفسها

[٤] - السابق: الصفحة نفسها

[٥] - انظر مناهج البحث في اللغة: د. تمام حسان، ١٥٦ ، مع بعض الإضافات

المخـــــارج	الصفـــات												
	الأصـــــوات الشديـــدة				الأصـــــوات الرخـــوة				مركب	الأصـــوات المتوسطة			
										جانبي	تكراري	أنفي	نصف حركة
	مجهـــــور		مهمـــــوس		مجهـــــور		مهمـــــوس		مجهور	مجهــــــــــــور			
	مفخم	مرقق	مفخم	مرقق	مفخم	مرقق	مفخم	مرقق	مرقق	مـــــــــــــرقق			
شفـــــوي		ب										م	و
شفـــوي أسناني								ف					
أسنانـــــــــــي					ظ	ذ		ث					
أسنانـــي لثـــوي	ض	د	ط	ت		ز	ص	س					
لثـــــــــوي										ل	ر	ن	
غـــــــاري								ش	ج				ي
طبقـــــــــي				ك		غ		خ					
لهـــــــوي				ق									
حلقـــــــــي						ع		ح					
حنجــــــري				ء				هــ					

الفصل الثالث

الأصوات الصائتة

❖ المبحث الأول: مفهوم الأصوات الصائتة

❖ المبحث الثاني: صفات الأصوات الصائتة

❖ المبحث الثالث: تصنيف الأصوات الصائتة

أولاً: مفهوم الأصوات الصائتة

القسم الثاني من الأصوات اللغوية هو الأصوات الصائتة، وتسمى أيضًا الحركات، أو المصوتة، أو أصوات العلة، أو أصوات اللين.

والأصوات الصائتة كما يعرفها المحدثون هي: " أصوات مجهورة يخرج الهواء عند النطق بها، على شكل مستمر من البلعوم والفم، دون أن يتعرض لتدخل الأعضاء الصوتية، تدخلاً يمنع خروجه، أو يسبب فيه احتكاكاً مسموعاً "[١].

ويبين ماريوباي طريقة إنتاج الأصوات الصائتة بقوله: " تنتج بحد أقصى من الاستمرار والإسماع، وبحد أدنى من التوتر والاحتكاك. (لاحظ احتمال مد الصوت لا نهائيًّا، وتردد الجرس الصوتيّ، والانفتاح النسبيّ لمجرى الصوت في مثل آه – أوه) "[٢].

يتضح مما سبق أن الأصوات الصائتة تنطق عندما يندفع الهواء بصورة مستمرة خلال الحلق والفم، فيتذبذب الوتران الصوتيان، ويستمر مرور الهواء دون أن يكون هناك عائق يعترض مجراه – لا انسداد ولا تضييق – ونستطيع أن نستخلص من ذلك ما يلي:

١ – تعد الأصوات الصائتة أصواتاً مجهورة.

٢ – عدم وجود انسداد أو عائق أثناء النطق بالأصوات الصائتة، فيخرج الهواء بِحُرِّية تامة من الحلق والفم.

٣ – يخرج الهواء بصورة مستمرة عند النطق بالأصوات الصائتة، مما يكسبها صفة الوضوح السمعي، لذلك يُعدُّ الخطأ في نطق الأصوات الصائتة أوضح منه في نطق الأصوات الصامتة[٣].

وقد تنبه علماء العربية القدماء للأصوات الصائتة، ولكنهم لم يولوها ذلك الاهتمام الذي أولوه للأصوات الصامتة، حيث عدوها تابعة لها، كما أنهم لم يحددوا لها رمزاً خاصاً بها – في بادئ الأمر – وكانت تستنتج من خلال السياق.

يقول د. إبراهيم أنيس: " ثم جاء عهد عليها أحس الكتاب فيه بأهمية أصوات اللين الطويلة، كالواو والياء الممدودتين. فكتبوهما في بعض النقوش والنصوص القديمة، وظلت الحال هكذا حتى وضعت أصوات اللين القصيرة التي اصطلح القدماء على تسميتها بالحركات في العصور الإسلامية "[٤].

---

[١] - المدخل إلى علم اللغة: د. رمضان عبد التواب، ٩١

[٢] - أسس علم اللغة: ٧٨

[٣] - انظر الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، ٣٠ ، وعلم اللغة العام (الأصوات): د. كمال بشر، ١٣٧- ١٣٨

[٤] - الأصوات اللغوية: ٣٧

يتضح من خلال نص د. أنيس أن القدماء لم يهتموا بالأصوات الصائتة القصيرة، ولم يضعوا – في بادئ الأمر – لها رموزًا خاصة بها في صلب الكلمة، واهتموا بالأصوات الصائتة الطويلة أكثر من اهتمامهم بها، وربما يرجع ذلك للاحتمالين التاليين[1]:

١ – الأصوات الصائتة الطويلة لها رموز كتابية خاصة بها، تكون جزءًا من جسم الكلمة، ومن ثم يسهل تعرفها والتعامل معها، شأنها في ذلك شأن الأصوات الصامتة.

٢ – يرجع هذا الاهتمام لما لاحظوه من خضوعها للتغيير والتبديل من صيغة إلى أخرى، فكان لابد من النظر في هذا التغير وتعرف أسبابه.

وجاءت المبادرة الأولى لتحديد رموز للأصوات الصائتة القصيرة من أبي الأسود الدؤلي ت (٦٩ هـ)، حين وضع نقطًا كرموز للأصوات الصائتة مصاحبة للصوت الصامت، معتمدًا على شكل الشفاه عند النطق بالفتحة والكسرة والضمة[2]. ثم جاء الخليل بن أحمد ت (١٧٥ هـ) واستغنى عن النقاط ووضع الرموز التي نستخدمها حتى زماننا هذا للتعبير عن الفتحة والكسرة والضمة وهي: [ـَـ ـِـ ـُـ][3].

ولكن ما المقصود بالأصوات الصائتة عند علمائنا القدماء ؟ بم عرفوها ؟ وكيف صنفوها ؟ وماذا يقصدون بالأصوات الصائتة الطويلة والأصوات الصائتة القصيرة ؟... أجاب عن هذه الأسئلة عالمنا الجليل ابن جني ت (٣٩٢ هـ)، فعرَّف الأصوات الصائتة بقوله: " وإنما سميت هذه الأصوات الناقصة حركات لأنها تُقْلق الحرف الذي تقترن به، وتجتذبه نحو الحروف التي هي أبعاضها، فالفتحة تجتذب الحرف نحو الألف، والكسرة تجتذبه نحو الياء، والضمة تجتذبه نحو الواو "[4].

رغم أن هذا التعريف بسيط ولا يعرِّف الأصوات الصائتة تعريفًا دقيقًا، إلا أنه يبين وظيفتها بالنسبة للأصوات الصامتة، فهي تحقق نطق الصوت الصامت وتظهره، وتشكله على حسب الصوت الصائت المقترن به.

ثم يحدد لنا ابن جني الأصوات الصائتة بقوله: " اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو. وقد كان متقدمو النحويين يُسّمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو

---

[1] - انظر علم الأصوات: د. كمال بشر، ٤٣١- ٤٣٢
[2] - السابق: ٤٢١
[3] - السابق : الصفحة نفسها
[4] - سر صناعة الإعراب: ٣٦/١

الصغيرة. وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة "[1].

يؤخذ من هذا النص ما يلي:

١ – الأصوات الصائتة الأساسية في اللغة العربية ثلاثة، هي: الفتحة، والكسرة، والضمة.

٢ – هذه الأصوات الصائتة تكون قصيرة، كما تكون طويلة، فالقصيرة هي: الفتحة، والكسرة، والضمة، أما الطويلة فهي: الألف، والياء، والواو.

٣ – الرموز التي تدل على الأصوات الصائتة القصيرة هي: ـَـــِـــُ ، أما الأصوات الصائتة الطويلة فيرمز لها بـــ ا، ي، و.

٤ – طريقة نطق الأصوات الصائتة القصيرة هي الطريقة نفسها في نطق الأصوات الصائتة الطويلة ولكن بزيادة الكميـــة في الطويلة، وهذا يوافق رأي المحدثين، إذ يقول د. إبراهيم أنيس: " الفرق بين الفتحة وما يسمى بألف المد لا يعدو أن يكون فرقًا في الكمية. وكذلك الفرق بين ياء المد وواو المد إذا قورنتا على الترتيب بالكسرة والضمة، ليس إلا فرقًا في الكمية، فما يسمى بألف المد هي في الحقيقة فتحة طويلة، وما يسمى بياء المد ليست إلا كسرة طويلة، وكذلك واو المد تعد من الناحية الصوتية ضمة طويلة. فكيفية النطق بالفتحة وموضع اللسان معها يماثل كل المماثلة كيفية النطق بما يسمى ألف المد، مع ملاحظة فرق الكمية بينهما "[2].

ويحدد علماء الأصوات المحدثون المدى الذي يستغرقه طول صوت الصائت الطويل، حيث يمتد فيه إخراج النفس امتدادًا يصير معه مدى النطق به مساويًا لمدى النطق بصوتين صائتين قصيرين[3].

معنى ذلك أنه لا يحق لأي إنسان أن يطيل في الأصوات الصائتة أو يقصرها كيف يشاء، وإنما يكون الطول بمقدار صائتين قصيرين، ربما يطول عن ذلك في حال النبر لتبليغ السامع رسالة معينة، ولكن في الكلام العاديّ يكون القصر والطول بقدر منطقي معقول، وذلك على حسب ما تعارف عليه أبناء اللغة في نطق الأصوات الصائتة الطويلة.

يقول د. إبراهيم أنيس في هذا المجال: " ليس من الضروري أن يعرف المرء مقدار الزمن الذي يستغرقه نطق كل صوت ليصح نطقه؛ بل إن المران السمعي يكفي عادة في ضبط هذا الطول دون حاجة إلى المقاييس الآلية "[4].

---

[1] - سر صناعة الإعراب: ٢٨/١
[2] - الأصوات اللغوية: ٣٨
[3] - المدخل إلى علم اللغة: د. رمضان عبد التواب، ٩٦
[4] - الأصوات اللغوية: ١٥٥

ثانيًا: صفات الأصوات الصائتة

ذكرنا أن الأصوات الصائتة الرئيسة في اللغة العربية هي: الفتحة، والكسرة، والضمة، وإذا أخذنا في الاعتبار مسألة الطول نضيف إليها: الألف، والياء، والواو.

ويوضح د. تمام حسان أن الأصوات الصائتة الرئيسة الثلاثة تحتوي على ثلاثة أصوات أخرى – كتنوعات صوتية وليست فونيمات مستقلة – وهي[1]:

١ – **الأصوات الصائتة المفخمة:** وهي التي ترتبط بأصوات الإطباق (الصاد، والضاد، والطاء، والظاء).

٢ – **الأصوات الصائتة الأقل تفخيمًا:** وهي التي ترتبط بالأصوات الطبقية المستعلية (القاف، والغين، والخاء).

٣ – **الأصوات الصائتة المرققة:** وهي التي ترتبط ببقية الأصوات الصامتة.

وعلى هذا الاعتبار – التفخيم والترقيق – سيصبح لدينا تسعة أصوات صائتة، وإذا أخذنا في الاعتبار مسألة الطول والقصر سيصبح لدينا ثمانية عشر صوتًا صائتًا، إلا أن التفخيم والترقيق لا يؤثر في القيمة الوظيفية للصوت الصائت، بمعنى لو رققنا الصائت المفخم مع أصوات الإطباق فإن هذا لن يغير من الصوت الصامت ويجعله صوتًا آخر، كما أن الفرق بين صَبر وسَبر عائد إلى وجود الصاد في الكلمة الأولى ووجود السين في الكلمة الثانية، وليس إلى الفتحة المفخمة التي تعقب الصاد، والفتحة المرققة التي تعقب السين.

ثالثًا: تصنيف الأصوات الصائتة

يصنف علماء الأصوات المحدثون الأصوات الصائتة إلى ثلاث مجموعات على وفق الأسس التالية[2]:

١ – النظر إلى ذلك الجزء من اللسان الذي يفوق غيره في الارتفاع.

٢ – النظر إلى درجة العلو التي يرتفع إليها اللسان.

٣ – النظر إلى أوضاع الشفتين.

وعلى هذه الأسس سوف ينتج ثلاث مجموعات، هي[3]:

المجموعة الأولى: بالنظر إلى الجزء المرتفع من اللسـان والذي يفوق غيره في الارتفـاع سينتج لدينا

---

[1] - انظر مناهج البحث في اللغة: د. تمام حسان، ١٣٦

[2] - انظر علم اللغة العام (الأصوات): د. كمال بشر، ١٤٣، هذه التقسيمات مطبقة على الحركات المعيارية العالمية التي وضعها دانيال جونز، ونقلتها هنا لأحاول تطبيقها على الأصوات الصائتة العربية قدر المستطاع.

[3] - انظر علم اللغة العام (الأصوات): د. كمال بشر، ١٤٣- ١٤٥

ثلاثة أقسام من الأصوات الصائتة، هي:

١ – **الأصوات الصائتة الأمامية:** وهي الأصوات التي ترتفع معها مقدمة اللسان، وتضم: الكسرة بأنواعها، والفتحة الممالة، والفتحة المرققة.

٢ – **الأصوات الصائتة الخلفية:** وهي الأصوات التي ترتفع معها مؤخرة اللسان، وتضم: الضمة بأنواعها، والفتحة المفخمة.

٣ – **الأصوات الصائتة المركزية:** وهي الأصوات التي يرتفع معها مركز اللسان، وتضم: الفتحة بين المفخمة والمرققة.

المجموعة الثانية: بالنظر إلى درجة الارتفاع لذلك الجزء من اللسان نحو الطبق ينتج لدينا أربعة أقسام من الأصوات الصائتة، وهي:

١ – **الأصوات الصائتة الضيقة:** وهي التي ترتفع معها مقدمة اللسان أو مؤخرته تجاه الحنك الأعلى إلى أقصى ما يمكن، وتضم: الكسرة والضمة المرققتين.

٢ – **الأصوات الصائتة المتسعة:** وهي التي يكون اللسان حال النطق بها منخفضًا في قاع الفم إلى أقصى درجة، وتضم: الفتحة بأنواعها.

٣ – **الأصوات الصائتة النصف ضيقة:** وهي التي يكون وضع اللسان حال النطق بها في ثلث المسافة من الصوائت الضيقة إلى الصوائت المتسعة، وتضم: الكسرة والضمة المفخمتين.

٤ – **الأصوات الصائتة النصف متسعة:** وهي التي يقع اللسان حال النطق بها في ثلثي المسافة من الأصوات الصائتة الضيقة إلى الأصوات الصائتة المتسعة، وتضم: الفتحة والضمة الممالتين، وهما من اللهجات العامية ولا تستخدمان في العربية الفصيحة.

المجموعة الثالثة: بالنظر إلى وضع الشفتين في أثناء النطق بالأصوات الصائتة ينتج لدينا ثلاثة أقسام، هي:

١ – الأصوات الصائتة التي تكون معها الشفاه منفرجة، وهي: الكسرة.

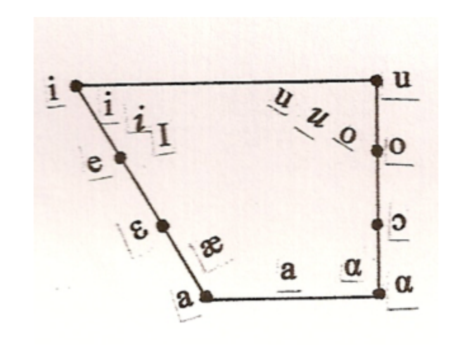
٢ – الأصوات الصائتة التي تكون معها الشفاه مضمومة، وهي: الضمة.

٣ – الأصوات الصائتة التي تكون معها الشفاه محايدة، وهي: الفتحة.

وفيما يلي رسم توضيحي[١] يبين مواضع الأصوات الصائتة بالنسبة للسان

---

[١] - انظر علم اللغة العام (الأصوات): د. كمال بشر، ١٥٢ مع بعض التعديل. نجد أن د. بشر يحتار في أمر الضمة المفخمة، فمرة يقربها من الحركة المعيارية رقم (٦)، (انظر ١٤٣)، ومرة يقربها من الحركة المعيارية رقم (٧)، ثم يستقر في النهاية على قربها من المعيارية رقم (٧)، (انظر ١٥٣) إلا أنه في الشكل نجده يرمز لها برمز شبيه بالحركة المعيارية رقم (٦)، وكان الأجدر به أن يرمز لها برمز الحركة المعيارية رقم (٧) وهو الذي ثبتناه في الشكل.



يؤخذ من هذا الشكل ما يلي:

١ – الحركات المعيارية أشرنا إلى موضعها في اللسان بالنقاط الكبيرة، كما هو متعارف عليه، أما الأصوات الصائتة العربية فهي في داخل الشكل.

٢ – الكسرة المرققة أقرب ما تكون إلى المعيارية رقم (١) ورمزها (i)، إلا أنها للداخل قليلاً مع انخفاض بسيط عنها، والكسرة المفخمة رمزها (I) وهي أقرب ما تكون إلى المعيارية رقم (٢)، إلا أنها للداخل قليلاً مع ارتفاع بسيط للأعلى، والكسرة الوسطى " بين بين " رمزها (i) وهي تقع بين المعيارية رقم (١) والمعيارية رقم (٢).

٣ – الفتحة المرققة رمزها (æ) وهي أقرب ما تكون إلى المعيارية رقم (٤)، إلا أنها للداخل قليلاً مع ارتفاع بسيط عنها، والفتحة المفخمة رمزها (α) وهي أقرب ما تكون إلى المعيارية رقم (٥)، أما الفتحة الوسطى " بين بين " فهي في مركز وسط بين المعيارية رقم (٤) والمعيارية رقم (٥)، ورمزها هو (a)، أما المعيارية رقم (٣) فأكثر الأصوات الصائتة العربية قرباً منها هي الفتحة الممالة[١]، إلا أنها تستخدم في اللهجات العامية وليس في العربية الفصيحة.

٤ – الضمة المرققة رمزها (u) وهي أقرب ما تكون إلى المعيارية رقم (٨)، إلا أنها للداخل قليلاً مع انخفاض بسيط عنها، والضمة المفخمة رمزها (o) وهي أقرب ما تكون من المعيارية رقم (٧)، إلا أنها للداخل قليلاً مع ارتفاع بسيط، والضمة الوسطى " بين بين " ورمزها هو (u)، تقع بين المعيارية رقم (٨) والمعيارية رقم (٧)، أما المعيارية رقم(٦) فأكثر الأصوات الصائتة العربية قربًا منها هي الضمة الممالة[٢]، إلا أنها تستخدم في اللهجات العامية وليس في العربية الفصيحة.

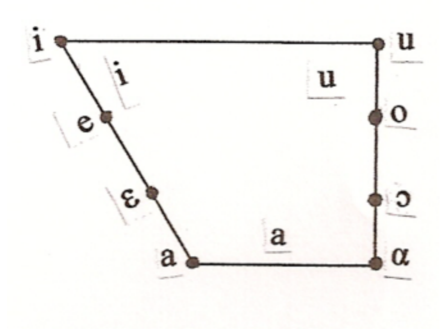
٥ – وضحنا في الشكل السابق الأصوات الصائتة الرئيسة: الفتحة، والكسرة، والضمة، بأنواعها المختلفة: المرققة والمفخمة والوسطى، ويمكن الاكتفاء بالأصوات الصائتة الرئيسة، وعندها

---

[١] - علم اللغة العام (الأصوات): د. كمال بشر، ١٤٢

[٢] - المدخل إلى علم اللغة: د. رمضان عبد التواب، ٩٣

سيكون رمز الكسرة هو نفسه رمز المعيارية رقم (١)، ورمز المعيارية رقم (٤) يمثل الفتحة، ورمز المعيارية رقم (٨) يمثل الضمة، ويمكن اختصار الشكل ليصبح كالتالي:



٦ – إن وضع اللسان مع الأصوات الصائتة القصيرة هو نفسه مع الأصوات الصائتة الطويلة، وما قلناه في تقسيم الأصوات الصائتة القصيرة ينطبق تمامًا على الأصوات الصائتة الطويلة، فالفرق بينهما فرق في الكمية فقط.

٧ – نلاحظ أن الفتحة من الأصوات الصائتة المتسعة، أما الضمة والكسرة فهما من الأصوات الصائتة الضيقة، ولهذا التقسيم أهميته فيما يعرض لهما من ظواهر لغوية – سنتعرف إليها فيما بعد – إذ نلاحظ في معظم الأحيان أن ما يجري على الضمة يجري على الكسرة، بخلاف الفتحة التي لها ظواهرها الخاصة بها.

وتجدر الإشارة إلى أن بنية الكلمة العربية المؤلفة من الأصوات الصامتة والأصوات الصائتة، تميل إلى إحداث بعض التغييرات في تركيبة الكلمة الأصلية حتى تتآلف الأصوات فيما بينها محدثة نوعًا من الانسجام الصوتيّ؛ لذا فإن اللغة العربية تعمد إلى نبذ الأصوات التي تحدث تنافرًا فيما بينها؛ لقربها أو لبعد بعضها عن بعض، إما في المخرج أو الصفة أو في كليهما معًا، هادفةً إلى تيسير عملية النطق وتقليل الجهد العضليّ المبذول أثناءها، وبالتالي فإن بنية الكلمة العربية تخضع إلى بعض القوانين الصوتية حتى تخرج في حلتها الجديدة.

الفصل الرابع

الانسجام الصوتيّ وفق قانوني المماثلة والمخالفة الصوتية

- ❖ المبحث الأول: قانون المماثلة
- ❖ المبحث الثاني: قانون المخالفة

أولاً: قانون المماثلة

تتأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض في المتصل من الكلام، فحين ينطق المرء بلغته نطقًا طبيعيًّا لا تكلف فيه، نلحظ أن أصوات الكلمة الواحدة قد يؤثر بعضها في البعض الآخر، كما نلحظ أن اتصال الكلمات في النطق المتواصل قد يخضع أيضًا لهذا التأثر، والأصوات في تأثرها تهدف إلى نوع من المماثلة أو المشابهة بينها ليزداد مع مجاورتها قربها في الصفات أو المخارج، ويسمى هذا التأثر بالانسجام الصوتي بين أصوات اللغة[1].

ويرى د. رمضان عبد التواب أنه إذا " التقى في الكلام صوتان من مخرج واحد أو من مخرجين متقاربين، وكان أحدهما مجهورًا والآخر مهموسًا مثلاً، حدث بينهما شدّ وجذب، كل واحد منهما يحاول أن يجذب الآخر ناحيته ويجعله يتماثل معه في صفاته كلها، أو في بعضها "[2].

ويضيف أيضًا أن هذا التوافق كما يحدث بين الأصوات الصامتة يحدث كذلك بين الأصوات الصائتة، ويحدث أيضًا بين الأصوات الصامتة والصائتة[3].

ويُعرِّف د. عبد العزيز مطر المماثلة بقوله: هي " تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض، تأثرًا يؤدي إلى التقارب في الصفة أو المخرج، تحقيقًا للانسجام الصوتي، وتيسيرًا لعملية النطق، واقتصادًا في الجهد العضلي "[4].

فالانسجام الصوتي يلزمه أن تتسق الأصوات بعضها مع بعض بحيث إذا تجاور صوتان متنافران يؤدي نطقهما إلى حدوث الثقل، فلا بد من تغيير أحدهما ليسهل نطق الكلمة " فمن العسير على اللسان أن ينطق بصوتين متجاورين، وهما من طبيعتين مختلفتين؛ لما في ذلك من جهد على أعضاء النطق "[5].

ويعرِّف بعض المحدثين المماثلة بأنها تلك " التعديلات التكيفية للصوت بسبب مجاورته لأصوات أخرى "[6]، أو هي " تحول الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة إما تماثلاً جزئيًّا أو كليًّا "[7].

وقد أطلق د. كريم زكي حسام الدين على المماثلة مصطلح " التحييد "، وعرَّفه بقوله: " هو تداخل أو ذوبان فونيم في فونيم آخر حتى يصيرا فونيمًا واحدًا في سياق صوتي معين أو بعبارة أخرى إلغاء أو محو Abolishment لفونيم معين نتيجة لتفاعله مع فونيم آخر يختلف معه في

---

[1] - الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، ١٧٩
[2] - التطور اللغويّ: د. رمضان عبد التواب، ٢٢
[3] - السابق : الصفحة نفسها
[4] - لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة: ٢٤٥
[5] - في النحو العربيّ قواعد وتطبيق: د. مهدي المخزومي، ٤
[6] - دراسة الصوت اللغويّ: د. أحمد مختار عمر، ٣٧٨
[7] - السابق : الصفحة نفسها

ملمح صوتي واحد على الأقل، ويكون الفونيم الجديد الناتج عن عملية التحييد صورة جديدة أو وسطًا بين الفونيمين المحول عنه والمحول إليه نتيجة لعامل المماثلة "[1].

يبدو أن هذا التعريف يشير فيه د. كريم إلى أن المماثلة ليست في مخرج الأصوات الصامتة فقط، بل من الممكن أن تكون في الملامح الصوتية من جهر وهمس وشدة ورخاوة واستعلاء واستفال وإطباق وغيرها.

نلاحظ مما سبق أن الهدف من المماثلة الصوتية هو تعاون أعضاء النطق في خلق نوع من الانسجام الصوتيّ في أثناء النطق، فلا يكون هناك صوت شاذ عن صوت آخر، ولا حركة مناقضة لحركة أخرى، فيؤدي ذلك إلى نوع من التوازن والتوافق، فييسر عملية النطق، ويقتصد في الجهد العضليّ الذي يبذله الإنسان في أثناء النطق.

وقد أشار علماء العربية القدماء إلى ظاهرة المماثلة، إلا أن أمثلتهم كانت محدودة ومتناثرة هنا وهناك، ورغم قلتها، إلا أنها تدل على عبقريتهم بالنسبة للعصور التي عاشوا فيها.

فقد تناول سيبويه ت (١٨٠ هـ) في أكثر من موضع من كتابه ما يحدث من تأثر الأصوات المجاورة بعضها ببعض وسمى هذه الظاهرة بالمضارعة، وقد عقد لها بابًا تحت عنوان " هذا باب الحرف الذي يضارَعُ به حرفٌ من موضعه والحرف الذي يُضارَع به ذلك الحرفُ وليس من موضعه "[2].

وعالج ابن جني ت (٣٩٢ هـ) ظاهرة المماثلة تحت ما يسمى بالإدغام الأصغر وهو عنده تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه من غير إدغام يكون هناك وهو عنده ضروب مختلفة[3]، بينما ابن يعيش ت (٦٤٣ هـ) أطلق عليها لفظ التجنيس وتقريب الصوت من الصوت[4]، وتناول الإستراباذي ت (٦٨٦ هـ) هذه الظاهرة تحت مسمى المناسبة[5].

أما علماء اللغة المحدثون فقد فصّلوا الحديث عن ظاهرة المماثلة وأنواعها وجعلوا لها مظاهر، منها:

١ – الجهر والهمس: وذلك إذا كان الصوتان المتجاوران تجاورًا مباشرًا مختلفين، فيتم التماثل بأن يقلب أحدهما إلى صوت قريب منه يوافقه في الصفة ليصبح الصوتان مجهورين أو مهموسين، يقول د. إبراهيم أنيس: " لا يتجاور في اللغة العربية صوت مجهور مع نظيره المهموس، فالدال

[1] - أصول تراثية في علم اللغة: ١٩٢- ١٩٣
[2] - الكتاب: سيبويه، ٤٧٧/٤
[3] - الخصائص: ٤٩٥/١
[4] - شرح المفصل: ٤٧/١٠ ، ٤٩
[5] - شرح شافية ابن الحاجب: ١٩٩/٣

لا تكاد تجاور التاء، والزاي لا تجاور السين، والذال لا تجاور الثاء وهكذا. فإذا اقتضت صيغة من الصيغ أن يتجاور صوت مجهور مع نظيره المهموس مجاورة مباشرة وجب أن يقلب أحدهما بحيث يصبح الصوتان إما مهموسين أو مجهورين "[1].

وعلى ذلك فإنه عند صياغة (افتعل) من فعل فاؤه صوت مجهور مثل (الدال والذال والزاي) فإن التاء المهموسة تقلب إلى نظيرها المجهور وهو الدال، مثل: ادتعى > ادّعى، اذتكر > اذدكر، ازتاد > ازداد[2]. وفي اذدكر يلجأ العربي إلى زيادة في التماثل فيقلب الذال دالاً ويدغمان فتصبح ادّكر[3]، وعليه جاء قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[4].

٢ – انتقال مجرى الهواء من الفم إلى الأنف والعكس، كالنون والميم، أو الميم والباء[5]، كما في قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾[6]، فقد قلبت الباء ميمًا في (اركب)،أي أن صوت الباء انتقل إلى نظيره من أصوات الأنف وهو الميم.

٣ – انتقال مخرج الصوت من مخرجه الأصلي إلى مخرج آخر، فيستبدل به أقرب الأصوات إليه في المخرج الجديد، فإذا انتقلت التاء من مخرجها متجهة نحو أقصى الحنك استبدل بها الكاف[7]، فقد روي في (عصيت) (عصيكا) في بعض اللهجات العربية[8]، ويقول ابن جني بشأن هذه الظاهرة: " أبدل الكاف من التاء لأنها أختها في الهمس. وكان سُحَيْم[9] إذا أُنشد شعرًا جيدًا قال: أحسنك والله، يريد: أحسنت "[10].

٤ – تغير صفة الصوت من الشدة إلى الرخاوة أو العكس، كما هو الحال في بعض القراءات التي تدغم فيها الدال في الذال أو الثاء في التاء[11]، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾[12]، حيث انتقل مخرج الدال الشديدة إلى مخرج الذال الرخوة فتم الإدغام[13]، وكقوله تعالى: ﴿قَالَ

---

[1] - الأصوات اللغوية: ١٨٤
[2] - السابق: ١٨١
[3] - أصوات اللغة العربية: د. عبد الغفار حامد هلال، ٢٧٩
[4] - سورة القمر: الآية، ١٧
[5] - الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، ١٨٥- ١٨٦
[6] - سورة هود: الآية، ٤٢
[7] - الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، ١٨٦
[8] - الإبدال والمعاقبة والنظائر: الزجاجي، ١٠٦
[9] - هو عامر بن حفص، كان عبداً نوبياً أعجمي الأصل، اشتراه بنو الحسحاس (وهم بطن من بني أسد) فنشأ بينهم، وعرف بلقب عبد بني الحسحاس، اشتهر برقة شعره، وقد أعجب الرسول صلى الله عليه وسلم بشعره، قتله بنو الحسحاس وأحرقوه لتشبيبه بنسائهم، فتوفي نحو ٤٠ هـ انظر الأعلام: خير الدين الزركلي، ٧٩/٣
[10] - سر صناعة الإعراب: ٢٥٠/١
[11] - الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، ١٨٧
[12] - سورة الأعراف: الآية، ١٧٩
[13] - الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، ١٩٦

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ [1]، حيث انتقل مخرج التاء في (لبثتم) إلى الأصوات اللثوية ليصبح رخوًا بعد أن كان شديدًا فيتم الإدغام.

٥ – الإدغام: وهو فناء أحد الصوتين في الآخر إذا كانا متجانسين أو متقاربين[2]، كقوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [3]، فقد فني صوت النون في (من) بصوت الواو في (وال) وأدغما.

وقد استخدم علماء اللغة المحدثون عدة مصطلحات لأنواع التأثر الناتجة عن قانون المماثلة، فإن أثر الصوت الأول في الثاني فالتأثر (مُقْبِل)، وإن حدث العكس فالتأثر (مُدْبِر)، وإن حدثت مماثلة تامة بين الصوتين فالتأثر (كليّ)، وإن كانت المماثلة في بعض خصائص الصوت فالتأثر (جزئيّ)، وفي كل حالة من هذه الحالات الأربع قد يكون الصوتان متصلين تمامًا بحيث لا يفصل بينهما فاصل من الأصوات الصامتة أو الصائتة، وقد يكون الصوتان منفصلين بعضهما عن بعض بفاصل من الأصوات الصامتة أو الصائتة[4]. وبهذا تكون لدينا ثمانية أنواع للتأثر، هي:

١ – التأثر المقبل الكليّ في حالة الاتصال: ويشترط في هذا النوع ما يلي[5]:

أ – أن يكون الصامت الأول غير منفصل عن الصامت الثاني بحركة بينهما.

ب – أن يؤثر الصامت الأول في الثاني، أي أن يكون الصامت الأول هو المؤثر والثاني هو المتأثر.

ج – أن يكون الصوتان متماثلين أو متجانسين[6]، ويؤدي هذا النوع إلى سقوط الصامت الثاني، وهذا ما سماه القدماء بالإدغام، حيث يقول ابن جني: " لأنها إذا كانت معها من مخرجها فهي الغاية في قربها؛ فإن زدت على ذلك شيئًا فإنما هو أن تخلص الحرف إلى لفظ أخيه البتة، فتدغمه فيه لا محالة "[7].

ومن أمثلة هذا التأثر ما يلي:

أ – تتأثر تاء الافتعال دائماً بالدال أو بالطاء قبلها فتقلب دالاً أو طاءً، مثل:

ادترك > ادّرك ، ادتهن > ادّهن ، اطتلع > اطّلع ، اطترد > اطّرد[8]. نلاحظ أنه قد اجتمع في المثال الأول والثاني الدال المجهورة تليها التاء المهموسة، فتأثرت التاء بالدال فقلبت دالاً،

---

[1] - سورة الكهف: الآية، ١٩

[2] - الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، ١٨٧

[3] - سورة الرعد: الآية، ١١

[4] - التطور اللغوي: د. رمضان عبد التواب، ٢٢- ٢٣

[5] - المدخل إلى علم الأصوات: د. صلاح الدين صالح حسنين، ٧٥

[6] - يقصد بالصوتين المتماثلين الصوتان المتحدان في المخرج والصفات كالتاءين والراءين، أما الصوتان المتجانسان فهما المتفقان في المخرج المختلفان في الصفة كالتاء والطاء، والسين والصاد. انظر مثلاً أصوات اللغة العربية: د. عبد الغفار حامد هلال، ٢٨٥

[7] - الخصائص: ٣٠/٢ - ٣١

[8] - التطور اللغوي: د. رمضان عبد التواب، ٢٤

وفي المثال الثالث والرابع اجتمعت الطاء المفخمة مع نظيرتها التاء المرققة، فقلبت التاء طاءً، وقد جاء على ذلك قوله تعالى: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً﴾[1].

ب – تتأثر تاء الافتعال غالباً بالذال أو الضاد أو الصاد قبلها فتقلب ذالاً أو ضادًا أو صادًا مثل: اذتكر > اذّكر ، اضتجع > اضّجع ، اصتبر > اصّبر[2]. حيث اجتمع في المثال الأول الذال المجهورة تليها التاء المهموسة، فقلبت التاء ذالاً، كما اجتمع في المثال الثاني والثالث الضاد والصاد المفخمتان تليهما التاء المرققة، فقلبت التاء ضادًا مع الضاد وصادًا مع الصاد، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُو الأَلْبَابِ﴾[3].

٢ – التأثر المقبل الكليّ في حالة الانفصال: ومن أمثلته:

تأثر الضمة في ضمير النصب والجر للغائب المفرد المذكر (ــهُ)، وجمع المذكر (ــهُم)، وجمع المؤنث (ــهُنَّ)، والمثنى (ــهُما) بما قبلها من كسرة طويلة أو قصيرة، أو ياء ساكنة، فتقلب الضمة إلى كسرة مثل: برجلِهُ > برجلِهِ، فيهُ > فيهِ، عليْهُ > عليْهِ، ضربتِهُ > ضربتِهِ، بصاحبِهُم > بصاحبِهِم، قاضيهُم > قاضيهِم، بِهُنَّ > بِهِنَّ، بِهُما > بِهِما[4].

ومنه قوله تعالى: ﴿فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ﴾[5]، حيث قلبت ضمة الهاء في (أيديهم) كسرة لتوافق الكسرة الطويلة قبلها، وفي (عليهم) كسرت الهاء لتوافق الياء الساكنة قبلها، وفي (قبلهم) قلبت ضمة الهاء كسرة لتوافق الكسرة قبلها، بينما بقيت مضمومة في (لَهُم) لعدم وجود تنافر بينها وبين الفتحة قبلها.

٣ – التأثر المقبل الجزئيّ في حالة الاتصال: ومن أمثلته:

تأثر تاء الافتعال بالصاد، والضاد، أو بالزاي قبلها فتقلب طاءً في الحالتين الأوليين، ودالاً في الحالة الثالثة مثل: اصتبغ > اصطبغ ، اضتجع > اضطجع ، ازتجر > ازدجر[6]، حيث اجتمع في المثال الأول والثاني الصاد والضاد المفخمتان تليهما التاء المرققة، فقلبت التاء إلى نظيرها المفخم وهو صوت الطاء، وفي المثال الثالث اجتمعت الزاي المجهورة تليها التاء المهموسة، فقلبت التاء إلى نظيرها المجهور وهو صوت الدال، ومثال ذلك قوله تعالى:

[1] - سورة الكهف: الآية، ١٨
[2] - التطور اللغويّ: د. رمضان عبد التواب، ٢٤
[3] - سورة آل عمران: الآية، ٧
[4] - التطور اللغويّ: د. رمضان عبد التواب، ٢٥
[5] - سورة فصلت: الآية، ٢٥
[6] - التطور اللغويّ: د. رمضان عبد التواب، ٢٦

﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾[1].

٤ –التأثر المقبل الجزئيّ في حالة الانفصال: ومن أمثلته:

تأثر السين المهموسة بالدال المجهورة قبلها فتقلب إلى نظيرها المجهور وهو الزاي، كما في كلمة مهندس التي صارت مِهندز في لهجة عربية بغداد في القرن السادس الهجري[2].

٥ –التأثر المدبر الكليّ في حالة الاتصال: ومن أمثلته:

أ – تأثر التاء في صيغتي "تفاعل" و"تفعّل" بعد تسكينها للتخفيف بفاء الفعل إذا كانت صوتًا من أصوات الصفير أو الأسنان، ثم قيست على ذلك صيغة الفعل الماضي مثل[3]:

* يَتَذَكّر > يَتْذَكّر > يَذّكّر > اذّكّر (في الماضي)
* يَتَطَهّر > يَتْطَهّر > يَطّهّر > اطّهّر (في الماضي)
* يَتَدارأ > يَتْدارأ > يَدّارأ > ادّارأ (في الماضي)
* يَتَثاقَل > يَتْثاقَل > يَثّاقَل > اثّاقَل (في الماضي)

وقد حدث مثل هذا في اللغة العربية القديمة، وجاء ذلك في القرآن الكريم جنبًا إلى جنب مع الصيغة الأخرى التي لم يحدث فيها تطور[4]، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى(٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى﴾[5]، وقوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾[6]، وقوله :﴿ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ﴾[7].

ب – ومن هذا التماثل تأثر النون في إنْ، وأنْ، ومنْ، وعنْ بالميم واللام التي تليها فتقلب ميمًا أو لامًا، مثل:

إنْ + ما > إمّا ، أنْ + ما > أمّا ، إنْ + لا > إلا ، منْ + ما > ممّا ، عنْ + ما > عمّا[8]، كما في قوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾ [9].

٦ –التأثر المدبر الكليّ في حالة الانفصال: ومن أمثلته:

كلمة (مُنْذُ)، أحد الآراء فيها يقـول بأنها مكونــة من (مِنْ) و (ذو الطائية)، بدليل أن بعض

---

[1] - سورة القمر: الآية، ٩
[2] - تقويم اللسان: ابن الجوزيّ، ٥٤، ١٨٧
[3] - التطور اللغوي: د. رمضان عبد التواب، ٢٩
[4] - انظر بحوث ومقالات في اللغة: د. رمضان عبد التواب، ٢٨- ٣٠، وحذف تاء تتفعّل وتتفاعل في القرآن الكريم: د. أحمد عبد المجيد هريدي، ٤ - ٥، يوجد المزيد من الآيات القرآنية الكريمة التي وردت على الأصل دون حذف التاء وآيات أخرى حذفت منها التاء.
[5] - سورة عبس: الآية، ٣- ٤
[6] - سورة البقرة: الآية، ٧٢
[7] - سورة التوبة: الآية، ٣٨
[8] - التطور اللغوي: د. رمضان عبد التواب، ٣٠
[9] - سورة نوح: الآية، ٢٥

القبائل كانت تلفظها (مِنْذُ)، ثم قلبت كسرة الميم إلى ضمة تأثرًا بضمة الذال بعدها، وحذفت الواو تخفيفًا وبقيت الضمة دليلاً عليها[1].

٧–التأثر المدبر الجزئيّ في حالة الاتصال: ومن أمثلته:

أ – تحول الصاد الساكنة إذا كان بعدها صوت الدال إلى الزاي، كما في مصدر وأصدر والتصدير[2]، فإنها تلفظ مزدر وأزدر والتزدير، نرى أنه عند اجتماع الصاد المهموسة تليها الدال المجهورة فإن الصاد قلبت إلى الزاي المجهورة؛ لتتناسب مع الدال فيتحقق الانسجام الصوتي بينهما، ويوضح د. رمضان عبد التواب هذه الزاي بقوله: " أغلب الظن أن الزاي هنا كانت مفخمة، غير أنهم كتبوها بالزاي المرققة، لعدم وجود رمز للزاي المفخمة في الكتابة العربية "[3].

ب – تأثر النون الساكنة بالباء التالية لها فتقلب إلى صوت من مخرج الباء وهو صوت الميم[4]، كقوله تعالى: ﴿إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾[5]، قرئت امبعث.

٨–التأثر المدبر الجزئيّ في حالة الانفصال: ومن أمثلته:

قلب الصاد قبل الراء زاياً في بعض القراءات القرآنية مثل: سراط التي قرئت زراط[6]، في قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا السِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[7].

ثانيًا: قانون المخالفة

عرفنا أن قانون المماثلة يحاول التقريب بين أصوات بينها بعض الاختلاف، أما قانون المخالفة فإنه يعمد إلى صوتين متماثلين تمامًا في الكلمة فيغير أحدهما إلى صوت آخر، يغلب أن يكون من الأصوات الصائتة الطويلة أو من الأصوات المتوسطة المائعة وهي اللام والميم والنون والراء[8].

وقد عرَّف د. صلاح الدين صالح حسنين المخالفة بأنها " نزعة صوتين متشابهين إلى الاختلاف "[9]، وهي عند د. أحمد مختار عمر " تعديـــل الصوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثيـــر

---

[1] - شرح المفصل: ابن يعيش، ٤٥/٨
[2] - الكتاب: سيبويه، ٤٧٧/٤
[3] - التطور اللغوي: ٣٤
[4] - السابق: ٣٥
[5] - سورة الشمس: الآية، ١٢
[6] - مقدمتان في علوم القرآن (مقدمة كتاب المباني ومقدمة ابن عطية): ١٤٧
[7] - سورة الفاتحة: الآية، ٦
[8] - انظر التطور اللغوي: د. رمضان عبد التواب، ٣٧
[9] - المدخل إلى علم الأصوات: ٨١

صوت مجاور، ولكنه تعديل عكسي يؤدي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين "[1].

فالمخالفة إذن ظاهرة صوتية تجري بتغيير أحد الصوتين المتماثلين إلى صوت مخالف تيسيرًا للنطق، وتحقيقًا للانسجام الصوتي في الكلام، حيث يثقل على اللسان الجمع بين صامتين متماثلين في كلمة واحدة، وبخاصة إذا كانا متجاورين، فيتم تغيير أحد هذين الصامتين إلى صوت آخر، يغلب أن يكون هذا الصوت صائتًا طويلاً أو أحد الأصوات المائعة.

وقد فطن علماء العربية القدماء إلى هذه الظاهرة وأطلقوا عليها عدة تسميات منها: " كراهية التضعيف " أو " كراهية اجتماع حرفين من جنس واحد " أو " توالي الأمثال مكروه " أو " استثقلوا اجتماع المثلين " وغير ذلك[2].

فها هو ذا العلامة سيبويه يعقد باباً بعنوان " هذا باب ما شَذَّ فأُبْدِلَ مكان اللام الياء لكراهية التضعيف، وليس بمُطَّرِد " ثم يضرب لنا الأمثلة على ذلك: تَسَرَّيْتُ وتَظَنَّيْتُ وتَقَصَّيْتُ من القِصّة، وأَمْلَيْتُ[3].

وأشار ابن جني إلى هذه الظاهرة في أكثر من موضع نذكر منها قوله: " ومن ذلك قول العرب: (تسرّيت) من لفظ (س ر ر)، وقد أحالته الصنعة إلى لفظ (س ر ي). ومثله (قَصَّيْت أظفاري) هو من لفظ (ق ص ص)، وقد آل بالصنعة إلى لفظ (ق ص ي)، وكذلك قوله: تَقَضِّي البازي إذا البازي كَسَرْ. وهو في الأصل من تركيب (ق ض ض)، ثم أحاله ما عرض من استثقال تكريره إلى لفظ (ق ض ي). وكذلك قولهم: تلعَّيتُ – من اللُعَاعة –... وأصلها (ل ع ع)، ثم صارت بالصنعة إلى لفظ (ل ع ي) "[4].

مما تقدم يتضح أن علماء العربية القدماء قد لاحظوا ما يسببه تضعيف الحرف من جهد زائد في النطق مما جعلهم يبدلون هذا الصوت المضعف أحد أصوات المد، وذلك تيسيرًا لعملية النطق وتحقيقًا للانسجام الصوتيّ، إذ يصعب على اللسان أن يرتفع ثم يعود إلى المكان نفسه في اللحظة نفسها لينطق الصوت ذاته مرة ثانية، وليس الأمر كما يزعم المستشرق الألماني برجشتراسر، إذ يرى أن التخالف مجرد علة نفسية محضة نظيره الخطأ في النطق، حيث يقول: " فإننا نرى الناس كثيرًا ما يخطئون في النطق، ويلفظون بشيء غير الذي أرادوه، وأكثر ما يكون هذا إذا تتابعت حروف شبيهة بعضها ببعض، لأن النفس يوجد فيها قبل النطق بالكلمة، تصورات الحركات اللازمة على ترتيبها، ويصعب عليها إعادة تصور بعينه بعد حصوله بمدة قصيرة. ومن هنا ينشأ الخطأ، إذا أسرع الإنسان في نطق جملة محتوية على كلمات، تتكرر وتتابع فيها حروف

[1] - دراسة الصوت اللغوي: ٣٨٤
[2] - التطور اللغوي: د. رمضان عبد التواب، ٤٠
[3] - الكتاب: ٤٢٤/٤
[4] - الخصائص: ٤٥٦/١

متشابهة "[١].

وقسم المحدثون المخالفة إلى نوعين، هما:

١–المخالفة المقبلة: وهي أن يؤثر صوت في صوت لاحق فيجعله مختلفًا عنه، وهذا يعني أن التأثر يتجه إلى الأمام، من الصوت المؤثر إلى الصوت المتأثر، ومن أمثلته:

أ – كتابانَ > كتابانِ، الصوت المؤثر هو الألف والصوت المتأثر هو الفتحة التي تحولت إلى الكسرة[٢]، ويرى د. رمضان عبد التواب: " أن نون المثنى، قد كسرت في الفصحى، تبعًا لهذا القانون، بدليل أنها لا تزال مفتوحة في نظيرتها في جمع المذكر، وبدليل بعض الأمثلة التي بقيت على الأصل القديم، وهي ما نسميه نحن بالركام اللغوي، مثل: شتّانَ "[٣].

ب – يتمطّط > يتمطّى[٤]، توالى ثلاث طاءات وهذا فيه ثقل على اللسان فقلبت الطاء الأخيرة ألفًا، وعليه جاء قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾[٥].

٢ – المخالفة المدبرة: وهي أن يؤثر صوت في صوت سابق فيجعله مختلفًا عنه، وهذا يعني أن التأثير يتجه إلى الخلف، فيكون الصوت الثاني هو المؤثر والصوت الأول هو المتأثر، ومثال ذلك: جمَّد > جلمد، حيث أثرت الميم الثانية في الميم الأولى وحولتها إلى اللام[٦].

وتبعًا لمجاورة الصوتين اللذين يحدث بينهما التخالف أو تباعدهما، فقد قسم المحدثون المخالفة إلى نوعين، هما:

١–المخالفة المتصلة: وتحدث هذه المخالفة بين الصوتين اللذين ليس بينهما فاصل، ومن أمثلته:

أ – قيراط ودينار بدلاً من قرَّاط ودنَّار، بدليل الجمع قراريط ودنانير[٧]، نلاحظ أنه قد اجتمع حرفان متماثلان، وهذا ثقيل على اللسان أن يرتفع مرتين في الموضع نفسه، لذلك قلب الحرف الأول منهما إلى الياء. وكذلك الحال في أمللت تتحول إلى أمليت[٨]، حيث قلبت اللام الثانية إلى ياء، وقد ورد في القرآن الكريم كلتا الصيغتين، فعلى الصيغة الأولى جاء قوله تعالى: ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾[٩]، وعلى الصيغة الثانية جاء قولــه تعالى: ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ

---

[١] - التطور النحويّ: ٣٤

[٢] - الأصوات اللغوية: د. محمد علي الخولي، ٢٢١

[٣] - التطور اللغويّ: ٤٢ ، ويقصد د. رمضان عبد التواب بـ (الركام اللغوي) هو ما ورد عن بعض العرب من شواهد شعرية أو نثرية جاء موضع الشاهد فيها على الأصل، وليس على الاستعمال المتعارف عليه في العربية الفصيحة.

[٤] - إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم: ابن خالويه، ١٠٢

[٥] - سورة القيامة: الآية، ٣٣

[٦] - الأصوات اللغوية: د. محمد علي الخولي، ٢٢١ - ٢٢٢

[٧] - سر صناعة الإعراب: ابن جني، ٢٧٦/٢

[٨] - المقتضب: المبرد، ٢٤٦/١

[٩] - سورة البقرة: الآية، ٢٨٢

﴿كَانَ نَكِيرِ﴾ [1].

ب – كان عامة الناس في بغداد في القرن السادس الهجري يقولون في أُترجّ > أُترنج، وفي إجَّاص > إنجاص، وفي إجَّانة > إنجانة[2]، نرى أنه قد قلبت الجيم الثانية إلى صوت من الأصوات المائعة وهو صوت النون.

ج – كان أهل الأندلس في القرن الرابع الهجري يقولون: كرناسة في كرَّاسة[3]، وكانوا يطلقون على الأسد " عَدَنْبَس " بدلاً من " عَدَبَّس "[4]، وكانوا يقولون تقعور بدلاً من تقعَّر[5]، حيث قلب الصوت الأول من الصوتين المتماثلين في المثال الأول والثاني إلى صوت من الأصوات المائعة وهو النون، وفي المثال الثالث قلب الصوت الثاني من الصوتين المتماثلين إلى الواو.

د – يشير المستشرق الألماني برجشتراسر، إلى أن فرقع أصلها فقَّع، وبلطح أصلها بطّح[6]، حيث قلب الصوت الأول من الصوتين المتماثلين إلى صوت من الأصوات المائعة وهو الراء في المثال الأول واللام في المثال الثاني.

هـ – من قواعد الصرفيين في هذا المجال أن الواو تقلب همزة إذا تصدرت قبل واو متحركة مطلقًا أو ساكنة متأصلة الواوية مثل: أواصل وأواق أصلها وواصل و وواق[7].

٢ – المخالفة المنفصلة: وتحدث هذه المخالفة بين الصوتين اللذين بينهما فاصل، مثل: اخضوضر التي أصلها اخضرضر[8]، فقد أبدلت الراء الأولى واوًا لمخالفة الراء الثانية رغم وجود الضاد فاصلاً بينهما ، كذلك بغداد > بغدان[9]، فقد أبدلت الدال الثانية إلى نون رغم وجود الألف فاصلاً بينهما.

* * *

من عرضنا السابق لقانوني المماثلة والمخالفة يتضح أن اللغة العربية تميل نحو السهولة واليسر في أثناء النطق، فتحاول التخلص من الأصوات العسيرة النطق، إما لأنها متقاربة في المخرج أو في الصفة، فيؤثر أحدهما في الآخر فيقلبه إلى صوت آخر لتحدث المماثلة الصوتية،

---

[1] - سورة الحج: الآية، ٤٤
[2] - تقويم اللسان: ابن الجوزيّ، ٨٧
[3] - لحن العوام: الزبيديّ، ٣٥
[4] - السابق:١٦١
[5] - السابق: ٢٦٤
[6] - التطور النحويّ: ٣٥
[7] - شرح المفصل: ابن يعيش، ١٠/١٠
[8] - التطور النحويّ: برجشتراسر، ٣٤
[9] - الأصوات اللغوية: د. محمد علي الخولي، ٢٢٢

أو ربما يكون الصوتان متماثلين، فيحدث ذلك ثقلاً مستكرهًا، فتلجأ العربية إلى التخلص منه عن طريق إبدال أحد المتماثلين صوتًا آخر، غالبًا ما يكون صوت علة أو صوتًا من الأصوات المائعة.

فالعربية تنتقي الأصوات التي يحدث فيما بينها تآلف وانسجام، ساعيةً إلى تقليل الجهد العضليّ المبذول في أثناء النطق، ومحققةً الانسجام الصوتيّ الذي تميزت به لغة القرآن الكريم عن سائر اللغات.

الباب الثاني
الانسجام الصوتيّ على المستوى الصرفيّ

الفصل الأول
البنية الصرفية في اللغة العربية

- ❖المبحث الأول: البنية الصرفية المستكرهة
- ❖المبحث الثاني: البنية الصرفية المستعملة
- ❖المبحث الثالث: المقصود بالأصل في البنية الصرفية
- ❖المبحث الرابع: أسباب العدول عن الأصل
- ❖المبحث الخامس: مظاهر العدول عن الأصل

لاحظ اللغويون منذ القدم عند النظر في تأليف الكلمة العربية من أصولها الثلاثة (الفاء والعين واللام)، أن هذه الأصول يجري تأليفها حسب أساس ذوقيّ وعضويّ خاص يتصل بتجاور مخارج الصوامت الأصول التي تتألف منها الكلمة، أو تباعدها بالنسبة إلى أماكنها في الجهاز النطقي.

وذكر علماء اللغة القدماء أن الكلمة العربية إذا أريد لها أن تكون فصيحة مقبولة فإنها تتطلب في مخارج أصواتها أن تكون متناسقة، ولا تسمح اللغة بالتخلي عن هذا المطلب إلا في أضيق الحدود، في حالات الزيادة والإلصاق ونحوها[1].

وعند النظر في البِنى الصرفية للغة العربية نجد أن منها ما هو مستكره؛ لوجود ثقل أو تنافر بين صوامت الكلمة أو صوائتها أو كليهما معاً، ولكنه نادر، وكانت تحاول العربية – ما أمكنها – الابتعاد عن هذه الصيغ، أما الصيغ الصرفية المستعملة، فمنها ما استعمل على الأصل الذي وضعت له دون أي تغيير طرأ عليها، ومنها ما حدث لها تعديل لتصبح الصيغة أكثر خفةً وانسجامًا بين صوامتها وصوائتها، وفيما يلي تفصيل ذلك.

أولاً:البنية الصرفية المستكرهة

يقول الخليل بن أحمد: " لولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين "[2]، ويقول في موضع آخر: " إن العين لا تأتلف مع الحاء في كلمة واحدة لقرب مخرجيهما "[3]، ويقول أيضًا: " فإن العين مع هذه الحروف: الغين والهاء والحاء والخاء مهملات "[4].

يؤخذ من هذه النصوص أن الصوامت الحلقية تكاد لا تجتمع في كلمة واحدة؛ وذلك لقرب مخرجها، مما يسبب جهدًا عضليًّا كبيرًا في أثناء النطق بها.

وذكر ابن دريد ت (٣٢١ هـ) أن " الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت "[5].

وتحدث ابن جني عن الكلمات المهملة في اللغة العربية فقال: " أمَّا إهمال ما أهمل، مما تحتمله قسمة التركيب في بعض الأصول المتصوَّرة، أو المستعملة، فأكثره متروك للاستثقال، وبقيته ملحقة به، ومقفَّاة على إثره. فمن ذلك ما رفض استعماله لتقارب حروفه؛ نحو سصْ، وطسْ، وظثْ، وثظْ، وضشْ، وشضْ؛ وهذا حديث واضح لنفور الحس عنه، والمشقة على النفس لتكلفه. وكذلك نحو قج، وجق، وكق، وقك، وكج، وجك. وكذلك حروف الحلق: هي من

---

[1] ـ اللغة العربية معناها ومبناها: د. تمام حسان، ٢٦٥

[2] ـ العين: ٥٧/١

[3] ـ السابق: ٦٠/١

[4] ـ السابق: ٦١/١

[5] ـ جمهرة اللغة: ٩/١

الائتلاف أبعد؛ لتقارب مخارجها عن معظم الحروف، أعني حروف الفم "[١].

نلاحظ من الأمثلة التي أوردها ابن جني، أن صوامتها متقاربة المخارج مما سبب ثقلاً كبيرًا وجهدًا عضليًّا في أثناء النطق بها، وهذا الأمر يأباه الحس العربيّ وينفر منه، لذلك استبعدت الكلمات التي بها الصوامت المتقاربة المخارج، ولم تستعمل.

وأيَّد ابنُ سنان الخفاجي ت (٤٦٦ هـ) ابنَ جني في وقوع المهمل في اللغة العربية بترك الأبنية التي تثقل في أثناء النطق بها، ثم قسم تأليف الصوامت إلى ثلاثة أقسام: " فالأول تأليف الحروف المتباعدة، وهو الأحسن المختار، والثاني: تضعيف هذا الحرف نفسه، وهو يلي هذا القسم في الحسن، والثالث: تأليف الحروف المتجاورة، وهو إما قليل في كلامهم، أو منبوذ رأسًا "[٢].

أمَّا ابن منظور ت (٧١١ هـ) فقد قدم أحوالاً لتنافر بعض الصوامت في أثناء حديثه عن خصائص بعضها، فذكر أن " منها ما لا يتركب بعضه مع بعض، إذا اجتمع في كلمة، إلا أن يقدّم، ولا يجتمع، إذا تأخر، وهو: ع هـ، فإن العين إذا تقدمت تركبت، وإذا تأخرت لا تتركب. ومنها ما لا يتركب، إذا تقدم، ويتركب، إذا تأخر، وهو: ض ج؛ فإن الضاد إذا تقدمت تركبت، وإذا تأخرت لا تتركب في أصل العربية؛ ومنها ما لا يتركب بعضه مع بعض لا إن تقدّم ولا إن تأخر، وهو: س ث ض ز ظ ص، فاعلم ذلك "[٣].

يُؤخذ من هذا النص ما يأتي:

١ – أن الصوامت الحلقية لا تتوالى – في أغلب الأحيان – في كلمة واحدة، ولكن قد ترد في بعض الكلمات بشرط أن يتقدم أحدها على الآخر، وإلا انتفى اجتماعهما، وذلك كما في كلمة (عهد)، حيث اجتمعت العين والهاء، وهما – حسب تعبير القدماء – صوتان حلقيان، إلا أن الذي سوغ هذا الاجتماع هو تقدم العين على الهاء، وربما يعود ذلك إلى القوة الكامنة في العين مقارنة بالهاء، فالعين مجهورة في حين الهاء مهموسة.

٢ – أن الصوامت الغارية والصوامت الأسنانية اللثوية لا تتوالى في كلمة واحدة لقرب مخرجيهما، ولكن قد تجتمع في بعض الأحيان إن تقدمت إحداها على الأخرى، كأن تسبق الضاد الجيم.

وتختلف الباحثة مع ابن منظور في هذا الأمر، فقد ثبت أن الضاد من الممكن أن تلي

[١] - الخصائص: ١٠٤/١
[٢] - سر الفصاحة: ٥٨
[٣] - لسان العرب: ٢٦/١ - ٢٧

الجيم وذلك كما في كلمة جضَّ[١]، كما أنها من الممكن أن تتقدم على الجيم كما في كلمة ضجَّ[٢]، إلا أنه يمكن القول إن تقدم أحدهما على الآخر نادر، رغم وجود الفتحة فاصلاً بينهما.

٣ – أن الصوامت الأسنانية والأسنانية اللثوية لا تتوالى في كلمة واحدة، لثقلها في أثناء النطق بها، وعدم ائتلافها عند اجتماعها، مما يسبب تنافرًا بين صوامت الكلمة وعدم انسجام أصواتها.

٤ – يمكن القول في المحصلة النهائية إن تقارب الصوامت التي تتألف منها الكلمة العربية مستكره، ويكاد أن يكون نادرًا، وفي بعض الأحيان مهجورًا.

أمَّا الخطيب القزويني ت (٧٣٩ هـ) عندما تحدث عن الفصاحة ذكر أن أسباب فصاحة العربيّ ترجع إلى خلو كلامه من تنافر صوامت الكلمة، ثم قسَّم التنافر إلى قسمين: أولهما: أن تكون الكلمة شديدة الوعورة في النطق، مثل كلمة (الهُعْخُع)، والثاني: أن تكون الكلمة أقل صعوبة، مثل كلمة (مستشزرات)[٣].

نلاحظ أن الخطيب القزويني قد ضرب مثلاً للقسم الأول بكلمة فيها ثلاثة صوامت حلقية – حسب تقسيم القدماء – وهي (الهاء والعين والخاء)، وفي القسم الثاني ضرب مثلاً بكلمة فيها صوتان من أصوات الصفير هما (السين والزاي) مجتمعان مع التاء، وثلاثتهم من المخرج نفسه، حيث إنها أصوات أسنانية لثوية، معنى ذلك أن تقارب المخرج هو السبب في ثقل بعض الكلمات وابتعادها عن الفصاحة، وبالتالي ابتعادها عن الاستعمال، ونفور الذوق العربيّ منها.

وقد أيَّد اللغويون المحدثون العلماءَ القدماءَ فيما ذهبوا إليه من أن تقارب مخارج الأصوات مستكره في بنية الكلمة العربية، فقد ذكر د. إبراهيم أنيس أن اللغة العربية تتخذ نهجًا معينًا في تركيب كلماتها، لخصها في النقاط الآتية[٤]:

١ – ندرة تلاقي أصوات الحلق بعضها مع بعض، بل لا يكاد يلتقي فيها إلا العين والهاء، ونرى العين أسبق مثل (يعهد)، فإذا اتصل بالكلمة ضمير الغائب المتصل نرى كلا من حروف الحلق يمكن أن يجاور هذه الهاء مثل: يمدحه، ويبلغه، ويسلخه.

---

[١] - لسان العرب: ابن منظور (جضض)، ٢٩١/٢

[٢] - السابق: (ضجج)، ٢٠/٨

[٣] - الإيضاح في علوم البلاغة: ٧٢ - ٧٣

[٤] - موسيقى الشعر: ٣٠ ، أجرت د.وفاء كامل دراسة عن الأصوات الصامتة التي تتنافر بعضها مع بعض في الفعل الثلاثي من خلال اعتمادها على القاموس المحيط للفيروزابادي وتوصلت إلى النتائج التي توصل إليها د. إبراهيم أنيس تقريبًا، انظر كتابها تراكب الأصوات في الفعل الثلاثي الصحيح: ١٦٧ - ١٦٨

٢ – ندرة تلاقي الحروف القريبة المخرج أو الصفة:

أ – فتلاقي اللام، والراء، والنون بعضها ببعض لا يكاد يوجد في اللغة العربية.

ب – وكذلك تلاقي الميم، والفاء، والباء بعضها ببعض غير معروف في تراكيب الكلمة العربية.

ج – ندرة التقاء صوتين من أصوات الصفير، أو بعبارة أدق: صوتين من تلك الأصوات الكثيرة الرخاوة، مثل: الزاي، والسين، والذال، والثاء، والشين.

د – ندرة التقاء حرفين من أحرف الإطباق، أو التقاء حرف واحد منها مع نظيره غير المطبق.

هـ – التقاء أصوات أقصى الحنك بعضها مع بعض نادر أيضًا في اللغة العربية، وتلك هي: القاف، والكاف، والجيم القاهرية.

و – التقاء أحرف وسط اللسان نادر أيضًا، مثل: الجيم (المعطشة) مع الشين.

ثانيًا: البنية الصرفية المستعملة

يحدد الخليل بن أحمد بعض الصوامت المستحسنة، فيقول: " فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معرّاة من حروف الذلق أو الشفوية ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أن تلك الكلمة مُحدَثة مُبْتَدَعة، ليست من كلام العرب "[١].

معنى ذلك أن العربية تستحسن وجود بعض الصوامت في كلامها دون غيرها، كالصوامت اللثوية (الذلقية)، وهي: اللام، والراء، والنون، كما تستحسن الصوامت الشفوية، وهي: الباء، والميم، والواو، وربما يعود ذلك إلى سهولة التلفظ بها مقارنة بالصوامت الحلقية.

وعند النظر في البنية الصرفية التي استعملها العرب نجد أنها تنقسم إلى قسمين هما:

أ – منها ما جاء على الأصل واستعمل دون تبديل أو تعديل؛ وذلك لأنها منسجمة في أصواتها، متآلفة في نظمها، نحو: كتب، وقرأ، وجلس، بالإضافة إلى تقلباتها إلى المضارع، والأمر، والمصدر، واسم الفاعل، واسم المفعول، واسمي الزمان والمكان... تبقى هذه الصيغ الصرفية مقبولة ومستحبة، وضعت على الأصل واستعملت كما هي.

ب – ومنها ما أصابه تغيير وتعديل لوجود ثقل فيها، وذلك ليتحقق الانسجام بين أصواتها، والتآلف في نظمها، نحو: قال أصلها قول، وباع أصلها بيع.

والعدول عن الأصل الذي حدده الصرفيون القدماء للأبنية العربية هو المحور الرئيس

---

[١] - العين: ٥٢/١

الذي تدور حوله القضايا المطروحة في هذه الدراسة، والتي ستفصل إن شاء الله تعالى لاحقًا.

ثالثًا: المقصود بالأصل في البنية الصرفية

أجاب العلامة ابن جني عن المقصود بالأصل إجابة شافية فقال: " وإنما معنى قولنا: إنه كان أصله كذا: أنه لو جاء مجيء الصحيح ولم يعلل لوجب أن يكون مجيئه (على ما ذكرنا). فأمّا أن يكون استُعمِل وقتًا من الزمان كذلك، ثم انصُرِف عنه فيما بعد إلى هذا اللفظ فخطأ لا يعتقده أحد من أهل النظر"[1].

الذي يهمنا من كلام ابن جني السابق أمران، هما:

الأول: ما قصده من كلمة "الصحيح"؛ فليس المقصود بالصحيح هنا ما خلت أصوله من أصوات العلة، وإنما المقصود به هو الأصل الذي لم يحدث فيه تغيير، فاستعمل على الأصل الموضوع له.

الثاني: ما عناه بكلمة (الأصل)؛ فلا يقصد بها الأصل التاريخي للكلمة، وإنما الأصل التجريدي الموضوع من قبل النحاة للأبنية الصرفية على اختلافها.

فأصل الكلمة كما يراه ابن جني وكما يراه النحاة القدماء " هو البناء الذي ينبغي للكلمة أن تأتي عليه طبقًا لقواعد اشتقاق الأبنية وصوغها في العربية، ولمواضع الأصول والزوائد فيها "[2].

وينبغي أن نشير هنا إلى أهمية فكرة الأصل في الدراسات الصرفية، وها هو د. تمام حسان يحدد هذه الفائدة بقوله: إن فكرة الأصل " معيار اقتصادي ترد إليه الكلمة وتقاس به إذا تجافى بها الاستعمال عن مطابقته بما أصابها من تغيير أو تأثير كالإعلال والإبدال والقلب والنقل والحذف والزيادة الخ "[3].

كما أن القول بالأصل المجرد يكفل للصرفيين وضع قواعد كلية عامة لصوغ الأبنية في العربية؛ إذ يعتمدون في صوغ تلك القواعد على الأصل المجرد المشترك بين أمثلة كثيرة، فبدلاً من وضع قاعدة لكل صنف من الأمثلة توضع قاعدة واحدة تعتمد على الأصل بغض النظر عن شواردها[4].

---

[1] - الخصائص: ٢٦٩/١
[2] - دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها: لطيفة النجار، ١٠٥ - ١٠٦
[3] - الأصول: ١٣٣
[4] - دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها: لطيفة النجار، ١٠٦

رابعًا: أسباب العدول عن الأصل

يرى د. تمام حسان أن أهم الأسباب التي تؤدي إلى العدول عن الأصل هي " الاقتصاد في جهد المتكلم "[1]، وذكر في موضع آخر أن السبب في العدول عن الأصل قد يكون لعلة الاستثقال، فيقول: " فإذا استثقل النطق في التتابع الصوتي لكلمة ما عدل بالكلمة عن الأصل إلى الفرع بحسب قاعدة تصريفية معينة "[2].

ويتفق د. عبد الحميد مصطفى السيد مع د. تمام حسان في أن الثقل هو السبب الأهم في العدول عن الأصل، فيقول: " إن أهم أسباب التحول عن الأصل في بنية الكلمة تكمن في العناصر المكونة لها، وفي طبيعة العلاقات أو الروابط التي تربط بين الأصوات التي تتشكل منها بنية الكلمة، فالأصوات حين تتجاور داخل الكلام يؤثر بعضها في بعض وفق قوانين صوتية؛ فإن حدث أن جاءت بعض الأصوات المتنافرة في صفاتها متتالية في كلمة ما فإن اللغة تميل إلى العدول عن هذا الأصل؛ فرارًا من الثقل الحادث بسبب تلك الأصوات في الكلمة "[3].

بينما تقسم لطيفة النجار أسباب العدول عن الأصل إلى[4]:

١ – أسباب تتعلق بطبيعة الأصوات المكونة لبنية الكلمة، وهذه يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

أ – التعذر　　　ب – الاستثقال　　　ج – المجانسة أو المشاكلة الصوتية

٢ – أسباب لا تتعلق بطبيعة الأصوات المكونة لبنية الكلمة، وهذه يمكن تقسيمها إلى قسمين:

أ – أمن اللبس　　　ب – اطراد الباب

ويرى د. أحمد عفيفي أن " للناطق الحق في التصرف من خلال ذوقه، ومن خلال النظام اللغوي أيضًا. فحين يتوالى مثلان أو متقاربان يحق له أن يعدل عن هذا الأصل بحذف أو إدغام أو غير ذلك مما يراه مناسبًا للذوق اللغوي "[5].

ولكن هل معنى ذلك أن الناطق العربيّ يعرف ما هو الأصل الذي وضعت عليه الألفاظ ؟ أم أن ذلك من وضع النحاة ؟

يبدو أن الناطق العربيّ هو الذي يعدل عن الأصل لعلة ما، دون أن يعلم ما هو هذا الأصل، فما عليه إلا أن ينطق بالألفاظ المنسجمة في أصواتها، المتناغمة في تأليفها، وفق سليقته وفطرته العربية الأصيلة المجبولة على نظم الشعر، ثم يأتي النحاة بعد ذلك لوضع تلك

---

[1] - الأصول: ١٤٤
[2] - السابق: ١٤٦
[3] - المغني في علم الصرف: ٨٢
[4] - دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها: ١٠٥ - ١٠٦
[5] - ظاهرة التخفيف في النحو العربي: ١٧٠

الأصول، ولكن هذا لا يمنع أن ينطق العربي بهذه الأصول في بعض الأحيان إذا ألجأته الضرورة الشعرية إلى ذلك.

ومنه قول الراجز[1]:

فَإِنَّهُ أَهْلٌ لأَنْ يُؤَكْرَمَا

ذكر يؤكرم على الأصل والمستخدم هو يكرم.

وقد ينطق العربي بالأصل إذا كانت لهجة قبيلته قد اعتادت على ذلك، فمثلاً بنو تميم قد اعتادوا على نطق اسم المفعول من الفعل الثلاثي الأجوف اليائي على الأصل، فيقولون مخيوط ومكيول[2]، كقول العباس بن مرداس[3]:

قَدْ كَانَ قَوْمُكَ يَزْعُمُونَكَ سَيِّدًا وَإِخَالُ أَنَّكَ سَيِّدٌ مَعْيُونُ

ذكر معيون على الأصل، والمتداول هو معين.

إذا كان ذوق الناطق العربيّ سببًا في العزوف عن الأصل – كما يرى د. أحمد عفيفي – فهل الأمور متروكة بلا ضوابط أو قوانين ؟ وهل يجوز لكل واحد أن يفعل ما يشاء في الصيغ العربية ؟

بالطبع لا، فالأمور ليست بهذه السهولة، والناطق العربيّ لا يستطيع أن يعدل بكل لفظ عن أصله في كل الأحوال، فقد قرر ابن الأنباريّ " أن الألفاظ إذا أمكن حملها على ظاهرها، فلا يجوز العدول بها عنه "[4]، وإذا عدل بهذه الألفاظ عن أصلها فينبغي أن يكون هذا العدول له أدلة وضوابط ومقاييس، كذلك لا بد أن يكون رد اللفظ إلى أصله؛ لأن القاعدة تقر أنه: " لا يجوز رد الشيء إلى غير أصله "[5].

خامسًا: مظاهر العدول عن الأصل

رصد الصرفيون العرب مظاهر العدول عن الأصل، وفصّلوا القول فيها، وفسَّروا التغييرات التي تحدث في بنية الكلمة لتنقلها من الأصل المجرد إلى الأصل المستعمل، وعللوها بطريقة في أغلب الأحيان منطقية تنم عن ذكاء وفطنة، وتدل على معرفتهم بالأمور الصوتية، ومدى تأثير الأصوات المتجاورة بعضها في بعض، وفي بعض الأحيان كانوا يفسرون

---

[1] - هذا الرجز بلا نسبة انظر خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: البغدادي، ٣١٦/٢، والمنصف: ابن جني، ١٩٢/١، والخصائص: ابن جني: ١٧٦/١، وشرح التصريح على التوضيح: خالد الأزهري، ٣٩٦/٢

[2] - الخصائص: ابن جني، ٢٧٢/١

[3] - ديوان العباس بن مرداس السلميّ: ١٥٦، وانظر الخصائص: ابن جني، ٢٧٢/١

[4] - الإنصاف في مسائل الخلاف: ١٥٠/١

[5] - السابق: ٤٤٦/٢

التغييرات الحادثة في البنية الأصلية للكلمة بتعليلات فلسفية معقدة أقرب ما تكون من نسج الخيال، مما يبعد المسألة عن جادة البحث العلميّ السليم.

أما المحدثون فقد فسَّروا العدول عن الأصل تفسيرات تختلف في بعض الجوانب عن القدماء، وذلك لاعتمادهم على الدراسات اللغوية الحديثة في علم الأصوات.

ويمكنني إجمال أهم مظاهر العدول عن الأصل – لإزالة الثقل وتحقيق الانسجام الصوتيّ في بنية الكلمة العربية – فيما يأتي:

١ – الابتداء: ويقصد به همزة الوصل التي تضاف في بداية الكلمة للتمكن من النطق بالساكن، نحو: انطلق.

٢ – الإعلال: ويقصد به التغيير الذي يحدث على أصوات العلة ملحقةً بها الهمزة، ويقسم إلى:

أ – الإعلال بالقلب، نحو: قال، أصلها قول.

ب – الإعلال بالنقل، نحو: يقُول، أصلها يقْوُل.

ج – الإعلال بالحذف، نحو: أُكرم أصلها أُؤكرم.

٣ – الإبدال: ويقصد به إبدال صامت بصامت آخر غير الهمزة وأصوات العلة، نحو: إبدال تاء الافتعال طاءً عندما تكون الفاء صوتاً من الأصوات المطبقة (الصاد، والضاد، والطاء، والظاء)، مثل: اصطبر أصلها اصتبر.

٤ – الإدغام: ويقصد به تأثير صامتين متماثلين أو متقاربين بعضهما في بعض، ويقسم إلى:

أ – إدغام المتماثلين، نحو : شدَّ أصلها شدد.

ب – إدغام المتقاربين، نحو : قل ربِّ تنطق قرَّبِّ.

٥ – الحذف: ويقصد به حذف أي صامت غير الهمزة وأصوات العلة من الكلمة، نحو: حذف التاء من الفعل المضارع الذي على وزن (تَتَفَعَّل) و(تَتَفَاعَل) و(تَتَفَعْلَل)، مثل: تنزَّل أصلها تتنزل.

٦ – القلب المكانيّ: ويقصد به قلب صامت مكان صامت آخر ضمن الكلمة الواحدة، نحو: ناء أصلها نأى.

٧ – التوافق الحركيّ: ويقسم إلى:

أ – توافق الصوائت القصيرة مع الصوامت ومع أصوات العلة، نحو: اضربوا فقد ضمت الباء لتوافق واو الجماعة والأصل فيها أن تكون ساكنة.

ب – توافق الصوائت القصيرة مع الصوائت القصيرة في الكلمة الواحدة، ويقسم إلى:

١ – توافق تراجعيّ: وهو الذي يتأثر فيه الصائت الأول بالصائت الثاني، نحو: امرُؤٌ في حالة الرفع، وامرَأً في حالة النصب، وامرِئٍ في حالة الجر.

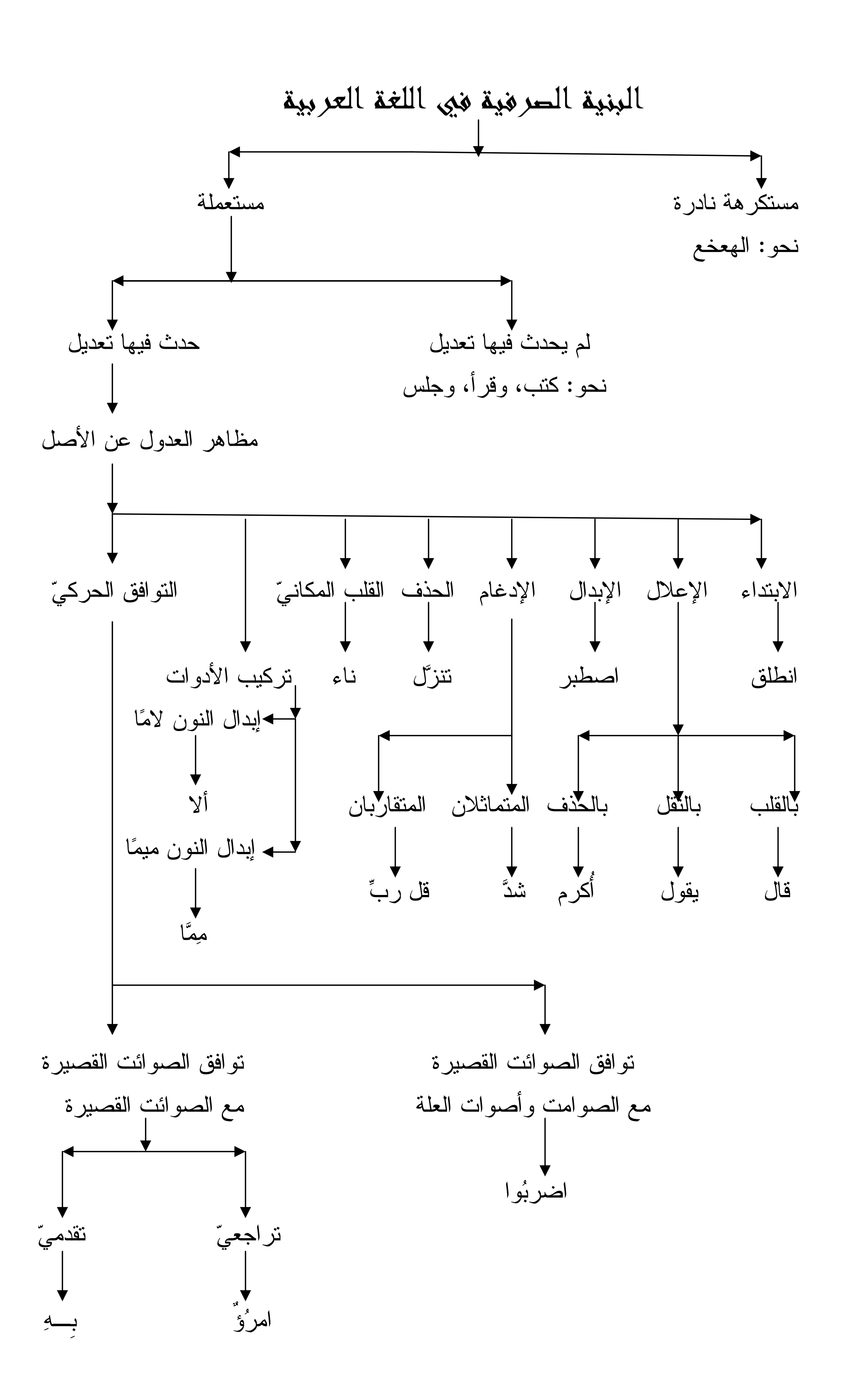
٢ – توافق تقدميّ: وهو الذي يتأثر فيه الصائت الثاني بالصائت الأول، نحو: نحو بِهِ الأصل بِهُ.

٨ – تركيب الأدوات: ويقصد به الأدوات التي ركبت من أداتين، فأحدث تركيبهما ثقلاً، فتم التخلص من الثقل عن طريق إبدال صامت بآخر، ويقسم هذا الإبدال إلى:

أ – إبدال النون لامًا: وذلك كما في ألا، فأصلها أَنْ لا.

ب – إبدال النون ميمًا: كما في (مِمَّا)، فأصلها مِنْ مَا.

وسنحاول في الفصول القادمة – إن شاء الله تعالى – أن نفصّل القول في هذه المظاهر، ولكن قبل ذلك يمكنني اختصار النقاط السابقة في المخطط الآتي:


البنية الصرفية في اللغة العربية
مستكرهة نادرة
نحو: الهعخع
مستعملة
لم يحدث فيها تعديل
نحو: كتب، وقرأ، وجلس
حدث فيها تعديل
مظاهر العدول عن الأصل
الابتداء
الإعلال
الإبدال
الإدغام
الحذف
القلب المكانيّ
التوافق الحركيّ
انطلق
اصطبر
تنزّل
ناء
تركيب الأدوات
إبدال النون لامًا
ألا
إبدال النون ميمًا
مِمَّا
بالقلب
بالنقل
بالحذف
المتماثلان
المتقاربان
قال
يقول
أُكرم
شدَّ
قل ربِّ
توافق الصوائت القصيرة
مع الصوامت وأصوات العلة
اضربُوا
توافق الصوائت القصيرة
مع الصوائت القصيرة
تراجعيّ
تقدميّ
امرُؤٌ
بِـــهِ

الفصل الثاني
الابتداء

- ❖ المبحث الأول: مواضع همزة الوصل
- ❖ المبحث الثاني: مواضع حذف همزة الوصل
- ❖ المبحث الثالث: حركة همزة الوصل

يقصد بالابتداء: بدء الكلمة بهمزة الوصل، وهي التي يتوصل بها إلى النطق بالساكن، وتسقط عند وصل الكلمة بما قبلها[1].

ويطلق سيبويه ت (١٨٠ هـ) عليها الألف الموصولة، حيث يقول: " هذا باب ما يتقدم أول الحروف وهي زائدة قدمت لإسكان أول الحروف فلم تصل إلى أن تبتدئ بساكن، فقدمت الزيادة متحركة لتصل إلى التكلم. والزيادة هنا الألف الموصولة، وأكثر ما تكون في الأفعال"[2].

ويبرز ابن عقيل ت (٧٦٩ هـ) دور همزة الوصل في تجنب ما لا يتفق مع نظام اللغة العربية فيقول: " لا يُبتدأ بساكن، كما لا يوقف على متحرك، فإذا كان أول الكلمة ساكناً وجب الإتيان بهمزة متحركة، توصُّلاً للنطق بالساكن، وتسمى (هذه الهمزة) همزة وصل، وشأنها أنها تثبت في الابتداء وتسقط في الدرج "[3].

معنى ذلك أن همزة الوصل تضاف في بداية الكلمة الساكنة الأول؛ لأن الابتداء بالساكن متعذر في اللغة العربية، فإضافتها تتم لحدوث ثقل في الكلمة يمكن تخفيفه بها، كما أن وجودها مرتبط بوضع مخصوص، إذا تغير هذا الوضع اختلفت، أو بعبارة أكثر تحديدًا إذا زال السبب زالت هي.

أولاً: مواضع همزة الوصل

يمكن تحديدها فيما يأتي:

١ –الأفعال:

أ – تدخل همزة الوصل على الأفعال فوق الرباعية التي على وزن (انفعل)، نحو: انطلق، و(افتعل)، نحو: اقتدر، واكتسب، و(افعلّ)، نحو: احمرّ، و(استفعل)، نحو: استخرج، و(افعنلل)، نحو: اقعنسس، و(افعاللت)، نحو: اشهاببت، و(افعوّل وافعولل)، نحو: اخروّط واخشوشن، هذه الأفعال يلزمها همزة الوصل لسكون أولها، فتكون في حاجة إلى همزة الوصل للتوصل للنطق بها[4].

ومنه قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾[5].

كما تدخل همزة الوصل على الفعل المبني للمجهول من تلك الأفعال، نحـو: انْطُلِق،

[1] - شذا العرف في فن الصرف: الشيخ أحمد الحملاوي، ١٤٧
[2] - الكتاب: ١٤٤/٤
[3] - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ٤٦١/٢
[4] - شرح المفصل: ابن يعيش، ١٣٥/٩
[5] - سورة القمر: الآية، ١

واقْتُدِر، واكْتُسِب، واحْمُرَّ، واسْتُخرِج، واقْعُنسِس، واشْهوبِب، واخْرُوِّط، واخْشُوشِن.

كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ [1].

ب – فعل الأمر من تلك الأفعال السابقة الذكر، نحو: انْطلِق، واقْتدِر، واكْتسِب، واحْمرِر، واسْتخرِج، واقْعنسِس، واشْهابِب، واخروِّط، واخشوشِن [2].

كقوله تعالى: ﴿انطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [3].

ج – تدخل على فعل الأمر الثلاثي الذي يكون مضارعه ساكن الفاء، نحو: يضْرب، ويقْتل، فإن الأمر منهما اضْرب، واقْتل [4]، ويمكن تمثيل ذلك بالمعادلة الصوتية الآتية:

يـــ ـَ ق ت ـــ ُ ل ـــ ُ > ق ت ـــ ُ ل > ا ـــ ُ ق ت ـــ ُ ل

ومنه قوله تعالى: ﴿اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ [5].

هـ – الفعل الماضي الذي على وزن "تفعّل" و"تفاعل" إذا أدغمت تاؤه في فائه، فإن هذا الإدغام سيؤدي إلى تسكين أوله، مما نضطر إلى إدخال همزة الوصل عليه، نحو: تطّير > اطَّير، وتثاقل > اثَّاقل [6].

كقوله تعالى: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ [7]، وقوله: ﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [8].

٢ – الأسماء:

أ – تدخل همزة الوصل على مصادر الأفعال السابقة الذكر، فنقول: انطلاق، واكتساب، واحمرار، واستخراج، واقعنساس، واشهيباب، واخرواط، واخشيشان [9].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ [10].

ب – تتصدر همزة الوصل عشرة أسماء معدودة، هي: ابن، وابنة، وابنم، واثنان، واثنتان، وامرؤ، وامرأة، واسم، واست، وايمن الله [11].

---

[1] - سورة الشورى: الآية، ١٦
[2] - المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها: محمد الأنطاكي، ٥٨/١
[3] - سورة المرسلات: الآية، ٢٩
[4] - شرح المفصل: ابن يعيش، ١٣٥/٩ - ١٣٦
[5] - سورة البقرة: الآية، ٦٠
[6] - شرح المفصل: ابن يعيش، ١٣٥/٩ ، وانظر المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها: محمد الأنطاكي، ٥٨/١
[7] - سورة النمل: الآية، ٤٧
[8] - سورة التوبة: الآية، ٣٨
[9] - شرح المفصل: ابن يعيش، ١٣٥/٩
[10] - سورة آل عمران: الآية، ٤
[11] - شرح المفصل: ابن يعيش، ١٣٢/٩

كقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي﴾ [1].

ويعلل ابن يعيش ت (٦٤٣ هـ) سبب دخول همزة الوصل على تلك الأسماء؛ بأنها أسماء معتلة الآخر، سقطت أواخرها للاعتلال وكثرة الاستعمال، وسُكِّنت أوائلها، فاحتاجت إلى همزة الوصل لتعويض ما سقط منها، وليتم التوصل إلى النطق بالساكن في أوائلها [2].

ويمكن تمثيل ما حدث لكلمة (ابن) – على سبيل المثال – بالمعادلة الآتية:

بنو = ب ـَ ن ـُ و ← ب ن ـُ ← ا ـِ ب ن ـُ

٣–الحروف:

لا تدخل همزة الوصل على الحروف إلا على لام التعريف، نحو: الرجل، والمرأة، وقد دخلت همزة الوصل على لام التعريف لأنها ساكنة، وقعت في بداية الكلمة، فاجتلبت همزة الوصل للتوصل إلى النطق بها [3].

ويمكن التمثيل على همزة الوصل التي دخلت على لام التعريف بأمثلة لا حصر لها من القرآن الكريم، ونكتفي بقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [4].

ثانيًا: مواضع حذف همزة الوصل

تحذف همزة الوصل في الحالات الآتية:

١ – أن يكون قبلها كلام؛ " لأن الذي قبلها معتمد للساكن مغنٍ، فلا وجه لدخولها " [5]، أي أنها تسقط لفظاً لا خطاً في درج الكلام، ومنه قوله تعالى: ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [6]، حيث سقطت همزة الوصل لفظاً من (ادعوا) و(استطعتم) و(الله) في درج الكلام.

٢ – أن تدخل عليها همزة الاستفهام، فتسقط همزة الوصل لأن علة الابتداء بها قد زالت، حيث يمكن التوصل إلى النطق بالساكن بعد همزة الاستفهام [7].

---

[1] - سورة آل عمران: الآية، ٣٥
[2] - شرح المفصل: ١٣٢/٩
[3] - السابق: ١٣٦/٩
[4] - سورة الفاتحة: الآية، ٢
[5] - المقتضب: المبرد، ٨٧/٢
[6] - سورة هود: الآية، ١٣
[7] - الهمزة في اللغة العربية: د.مصطفى التوني، ٧٤

ومنه قوله تعالى:﴿ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا ﴾[1]، وقوله: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾[2]، حيث حذفت همزة الوصل من (اتخذتم) و (اصطفى) لفظًا وكتابةً لدخول همزة الاستفهام عليهما.

وحذف همزة الوصل هنا لا يؤدي إلى لبس؛ لأن همزة الاستفهام مفتوحة وهمزة الوصل مكسورة، أما إذا دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل التي في بداية لام التعريف فإنها لا تسقط، لئلا يلتبس الإخبار بالخبر؛ بل تبدل همزة الوصل ألفًا ثم تدغم في همزة الاستفهام[3].

كقوله تعالى: ﴿آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ﴾[4].

٣ – تحذف همزة الوصل التي في بداية لام التعريف لفظًا وكتابةً، إذا دخلت عليها اللام الحرفية، سواء أكانت للجر أم كانت لام القسم والتوكيد، أم الاستغاثة، أم التعجب[5].

ومنه قوله عز وجل: ﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَى﴾[6].

قد يتساءل متسائل عن سبب حذف همزة الوصل مع اللام، وبقائها مع الفاء أو الواو مثلاً.

ترى الباحثة أن الأمر عائدٌ إلى أمن اللبس، فعند دخول اللام على اسم معرف بأل، نحو: الفقراء، فإن همزة الوصل تحذف، فنقول: للفقراء، ولابد للقارئ أن يعلم أن اللام الثانية للتعريف، ولن يلتبس عليه الأمر، في حين لو أسقطنا همزة الوصل من أل التعريف عند دخول الفاء أو الواو فإن الكلمة ستصبح (فلقراء) و(ولفقراء)، فربما يلتبس ذلك على القارئ ويظن أن هذه اللام ليست للتعرف، وإنما هي اللام الجارة.

٤ – تحذف همزة (ابن) لفظًا وكتابةً، إذا سبقت بعلم، وبعده علم، شرط أن يكون العلم الثاني أبًا للعلم الأول، فنقول: (عمر بن الخطاب خليفة عادل)، حذفت همزة الوصل من (ابن) لأنها وقعت بين علمين وكان الخطاب أبًا حقيقيًا لعمر – رضي الله عنه – وإذا وقعت همزة (ابن) في الجملة السابقة في بداية السطر فإنها تبقى ولا تحذف[7].

أما قولـــه تعالى: ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾[8]، فلم تحـــذف همزة (ابن)، وذلك، في

---

[1] - سورة البقرة: الآية، ٨٠
[2] - سورة الصافات: الآية، ١٥٣
[3] - شرح المفصل: ابن يعيش، ١٣٨/٩
[4] - سورة الأنعام: الآية، ١٤٣
[5] - شذا العرف في فن الصرف: الشيخ أحمد الحملاوي، ١٤٩
[6] - سورة الضحى: الآية، ٤
[7] - شذا العرف في فن الصرف: الشيخ أحمد الحملاوي، ١٤٨
[8] - سورة البقرة: الآية، ٢٥٣

نظري، عائد إلى سببين هما:

١ – أن السيدة مريم هي أم عيسى – عليه السلام – وليست أباه، والمطلوب أن يكون العلم الثاني أبًا للأول.

٢ – كأن الله عز وجل يريد من إثبات همزة (ابن) أن يؤكد على أن عيسى – عليه السلام – هو ابن السيدة مريم، وينبغي ما كان يدور في خلد كثير من الجهلاء وعلى ألسنتهم بأن عيسى هو ابن الله، معاذ الله أن يكون ذلك.

٥ – تحذف همزة (اسم) إذا جاءت في البسملة كاملة، كما في قوله عز وجل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[١]، أما إذا جاءت البسملة ناقصة، فإنها تثبت، فنقول باسم الله[٢]، ومنه قوله تعالى:﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [٣].

يتراءى لي أن السبب في حذف همزة (اسم) في البسملة كاملة عائد إلى:

١ – كثرة استعمال البسملة في الكتابة العربية، فربما يكون الحذف نوعًا من **التخفيف** في الكتابة.

٢ – ربما أراد العرب تمييز البسملة عن بقية الكلام الوارد في نصوصهم وشروحهم، وخاصة أنهم كانوا يهتمون بهذه العبارة ويولونها عناية خاصة، وذلك بتحسين خطهم فيها، فحذفوا همزة الوصل حتى تتصل الباء بالسين مما يجعل منظر السين أجمل وأجود، فالحذف هنا قد يكون نوعًا من **التمييز** في الكتابة.

ثالثًا: حركة همزة الوصل

الأصل في همزة الوصل أن تكون مكسورة[٤]، كما في اِنطلق، واِنطلاق، واِستخرج، واِستخراج، واِضرب، ويبدو أن السبب في كسر همزة الوصل هو مناسبة حركة الصامت الثالث من الكلمة، وإتباع الكسر بالكسر حتى يتحقق التوافق والانسجام الصوتي في الكلمة، وإذا كان الصامت الثالث من الكلمة مفتوحًا، فإن همزة الوصل تبقى مكسورة، حيث تتناسب الكسرة مع الفتحة، فكلاهما من الصوائت الأمامية التي يرتفع مقدم اللسان عند النطق بها، فلا يوجد جهد عضلي عند الانتقال من الكسرة إلى الفتحة.

زد على ذلك أنه لو فتحت همزة الوصل في الفعل الماضي، فربما يلتبس الأمــر بالخبر[٥]،

---

[١] - سورة الفاتحة: الآية، ١
[٢] - شذا العرف في فن الصرف: الحملاوي، ١٤٨
[٣] - سورة الواقعة: الآية، ٧٤
[٤] - شرح المفصل: ابن يعيش، ١٣٧/٩
[٥] - شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: الأشموني، ٢٧٩/٤

فالفرق كبير بين اِذْهَبْ وأَذْهَبُ، فالأولى أمر إنشائي، والثانية مضارع خبري وبهذا يظهر لنا أن همزة الوصل لم تفتح لخوف الالتباس.

بيد أن همزة الوصل لا تبقى مكسورة في جميع الأحوال، ويمكن توضيح ذلك في النقاط الآتية:

١ – إذا كان الصامت الثالث من الكلمة مضمومًا، فإن همزة الوصل تضم إتباعًا له وانسجامًا معه، نحو: اُقتُل، واُخرُج، واُستُضعف، واُنطُلق[١].

فقد كره العرب الخروج من كسر إلى ضم، لأنه خروج من ثقيل إلى ما هو أثقل منه، فالكسرة من الصوائت الأمامية التي يرتفع معها مقدم اللسان في أثناء النطق بها، في حين أن الضمة من الصوائت الخلفية التي يرتفع مؤخر اللسان في أثناء النطق بها، لذلك الانتقال من كسر إلى ضم لا يفصل بينهما سوى صامت ساكن ثقيل على النفس، ويكلف اللسان جهدًا عضليًّا، يمكن التخلص منه بقلب كسرة الهمزة ضمة لمناسبة الضم، فيتحقق الانسجام الصوتيّ في الكلمة.

ومنه قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[٢].

٢ – قد يطرأ على الصامت الثالث من الكلمة ضمة عارضة، نحو ارمُوا، واقضُوا، ويرى القدماء أن هذه الضمة طرأت على الكلمة لمناسبة واو الجماعة، بينما الأصل في الصامت الثالث أن يكون مكسوراً، لأن أصل الكلمة: ارمِيوا، واقضِيوا، في هذه الحالة تبقى همزة الوصل مكسورة إتباعاً لما كان عليه أصل الصامت الثالث من كسرٍ، ولا تتأثر بالضم العارض[٣].

وتختلف الباحثة مع القدماء في هذا التفسير، فمنذ قليل ذكرنا أن العرب كرهوا الخروج من كسر إلى ضم في مثل اُقتُل، فقلبوا كسرة الهمزة ضمة لمناسبة الضم، فكيف الآن يستسيغون الخروج من الكسر إلى الضم ؟ أهو محافظة على أصل الصامت الثالث الذي كان مكسورًا ؟ أم أن الأمر شيء آخر ؟

لنفرض أننا قد قلبنا كسرة همزة الوصل ضمةً إتباعًا لضم الصامت الثالث، كما حدث في اُقتُل، ولنحاول أن ننطق الكلمة (اُرمُوا) بتوالي الضم أليس اللفظ مستثقلاً ؟

في اعتقادي أن همزة الوصـــل بقيت مكســـورةً حتى لا يتوالى الضم، مما يحـــدث ثقلاً

---

[١] - شرح المفصل: ابن يعيش، ١٣٧/٩

[٢] - سورة المائدة: الآية، ٨٣

[٣] - انظر شرح المفصل: ابن يعيش، ١٣٧/٩

وتنافرًا في أصوات الكلمة، فليس التوافق الحركيّ هو السبب الوحيد في الانسجام الصوتيّ، أحيانًا قد تكون المخالفة هي السبب في هذا الانسجام.

ويمكن التمثيل عليها من القرآن الكريم بقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾[1].

٣ – همزة الوصل مع لام التعريف مفتوحة، ويعلل ابن يعيش ذلك بقوله: إن العرب " أرادوا أن يخالفوا بين حركتها مع الحرف وحركتها مع الاسم والفعل "[2].

لا أعتقد أن فتح همزة الوصل مع لام التعريف لمجرد مخالفتها مع الاسم عن الفعل، وإنما المسألة في نظري صوتية، فاللام صوت لثوي كثير الاستعمال لمرونته وسلاسته، ويقع مخرجه في مقدم اللسان تقريبًا، ومن الممكن أن تتجاذبه الصوائت الأمامية والصوائت الخلفية بكل سهولة، ولكن الأفضل أن يسبق بأسهل الصوائت وهي الفتحة لتتناسب مع السهولة الكامنة فيه، كما أنه لا مبرر لوجود الضمة أو الكسرة هنا، فلا داعي لها، ومنه قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[3].

٤ – همزة الوصل في ايمن الله مفتوحة، لأنها – كما يقول القدماء – دخلت على غير متمكن لا يستعمل إلا في القَسَم، ففتحت همزته تشبيها لها بالهمزة اللاحقة بلام التعريف[4].

* * *

وهكذا نرى أن همزة الوصل قد اجتلبت لنتمكن من النطق بالساكن الذي تُبتدأ به الكلمة، وهذه الهمزة، الأصل فيها الكسر مناسبة مع الصامت الثالث من الكلمة، الذي يكون إمَّا مفتوحًا نحو: اِنطَلَق، وإمَّا مكسورًا نحو: اِنطِلاق، وعندما يكون الصامت الثالث من الكلمة مضمومًا، فإن همزة الوصل تصبح مضمومةً؛ لتتناسب مع الضم نحو: اُقتُل، إلا إذا كان الفعل مسندًا إلى واو الجماعة نحو: اِرمُوا، فإنها تبقى مكسورة حتى لا يتوالى الضم في الكلمة الواحدة عدة مرات.

فهمزة الوصل كان دورها هو التوصل إلى التلفظ بصيغة متعذرة النطق في اللغة العربية الفصيحة، ورأينا كذلك أن الصائت الذي يليها يتغير حسب الصائت الذي يلي الصامت الثالث من الكلمة، سعيًا وراء الخفة وتقليلاً للجهد العضليّ في أثناء النطق، وتحقيقًا للانسجام الصوتيّ في بنية الكلمة.

---

[1] - سورة يونس: الآية، ٧١
[2] - شرح المفصل: ابن يعيش، ١٣٧/٩
[3] - سورة البقرة: الآية، ٢٥٥
[4] - شرح المفصل: ابن يعيش، ١٣٧/٩

الفصل الثالث

الإعــلال

- ❖ المبحث الأول: الإعلال بالقلب
- ❖ المبحث الثاني: الإعلال بالنقل
- ❖ المبحث الثالث: الإعلال بالحذف

يُعدُّ الإعلال مظهرًا من مظاهر العدول عن الأصل، وهو من أبرز ما يستدل به على وجود أصول مستثقلة أو متعذرة، تميل العربية إلى العدول عنها واستبدال صيغ أخرى بها أكثر خفةً وانسجامًا بين أصواتها.

وقد بحث معظم القدماء الإعلال ضمن الإبدال بصورته الواسعة[١]، يقول المبرد ت (٢٨٥ هـ): " فمن حروف البدل حروف المد واللين المُصَوِّتة. وهي الألف، والواو، والياء "[٢].

وعرَّف ابن يعيش ت (٦٤٣ هـ) الإعلال بقوله: " معنى الإعلال التغيير والعلة تغيير المعلول عما هو عليه وسميت هذه الحروف حروف علة لكثرة تغيرها "[٣].

وقد عرَّفه الإستراباذي ت (٦٨٦ هـ) بقوله: " الإعلال: تغيير حرف العلة للتخفيف، ويجمعه القلب، والحذف، والإسكان "[٤].

نرى أن القدماء يحددون الإعلال بما يسمى بحروف العلة، وهي: الألف، والواو، والياء، ولكنهم عند عرضهم لمسألة الإعلال فإنهم يلحقون بها الهمزة، وذكروا أن الهدف من الإعلال هو التخفيف، بمعنى أنه قد حدث ثقل ما في الصيغة الصرفية، فتم العدول عن هذه الصيغة إلى صيغة أخرى؛ طلبًا للخفة والانسجام الصوتي.

ولكن لماذا اختصت أصوات العلة بكثرة التغيير والتبديل من حال إلى حال ؟

يجيب عن هذا السؤال الإستراباذي بقوله: " إن حروف العلة تتغير ولا تبقى على حال، كالعليل المنحرف المزاج المتغير حالاً بحال، وتغيير هذه الحروف لطلب الخفة ليس لغاية ثقلها بل لغاية خفتها، بحيث لا تحتمل أدنى ثقل، وأيضًا لكثرتها في الكلام؛ لأنه إن خلت الكلمة من أحدها فخلوها من أبعاضها – أعني الحركات – محال، وكل كثير مستثقل وإن خف"[٥].

معنى ذلك أن أصوات العلة بحد ذاتها ليست ثقيلة في نطقها، ولكن اجتماعها ضمن منظومة معينة في البنية الصرفية هو الذي سبب ثقلاً لا تتحمله، فتسعى اللغة إلى التخلص منه عن طريق القلب أو الحذف أو الإسكان.

هذا مفهوم الإعلال عند القدماء، أما عند المحدثين فيعرِّفه الشيخ أحمد الحملاوي بقولـه: " هو تغيير حرف العلة للتخفيف، بقلبه، أو إسكانه، أو حذفه "[٦].

---

[١] - المصطلح الصوتيّ عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر: د. عبد القادر مرعي الخليل، ١٦٥
[٢] - المقتضب: ٦١/١
[٣] - شرح المفصل: ٥٤/١٠
[٤] - شرح شافية ابن الحاجب: ٦٦/٣
[٥] - السابق: ٦٨/٣
[٦] - شذا العرف في فن الصرف: ١٤٩

نجد أن الحملاوي قد حدد الإعلال بأصوات العلة، ولكنه عندما عرض الأمثلة أدخل الهمزة ضمن الإعلال[1]، أي أنه سلك منهج القدماء في هذا الباب.

أما الأنطاكيّ فقد قصر الإعلال على أصوات العلة، ولم يدخل الهمزة ضمن الإعلال فيعرفه بقوله: " هو إحدى ظاهرات التبدل الصوتي. ونعني به تلك التبدلات التي تصيب الطليقات الطوال وأشباهها مما ندعوه في العادة بحروف العلة، وهي الألف والواو والياء "[2].

وقصر د. تمام حسان الإعلال على التطور الذي يصيب الواو والياء دون الألف، فقـال: " وموضوع الإعلال كما رأينا هو الحرف اللين الواو والياء (دون الألف) ويكون الإعلال في هذين الحرفين بإحدى طرق ثلاث: القلب والنقل والحذف "[3].

إلا أن د. حسان لم يلتزم بذلك، فعندما تحدث عن الإعلال بالحذف، ذكر من بين الأمثلة حذف الهمزة من الفعل المضارع واسم الفاعل واسم المفعول مما عُدِّيَ بالهمزة، نحو: أكرم فهو مكرِم ومكرَم[4].

وعرَّف الأستاذ عباس حسن الإعلال بقوله: " تغيير يطرأ على أحد أحرف العلة الثلاثة (و – ا – ي) وما يلحق بها – وهو: الهمزة – بحيث يؤدي هذا التغيير إلى حذف الحرف، أو تسكينه، أو قلبه حرفًا آخر من الأربعة "[5].

من كل ما تقدم يتضح أن القدماء قد جعلوا الإعلال فيما يسمى بحروف العلة (الألف والواو والياء) وألحقوا بها الهمزة، ربما فعلوا ذلك لكثرة انقلابها بعضها من بعض، وبفعلهم هذا لم يجانبوا الصواب – في نظري – فقد أثبتت الدراسات الصوتية الحديثة من واقع التجارب المختبرية أن صوت الهمزة صوت غير مستقر، وهو شبيه بأصوات العلة في بعض السياقات[6].

وقد خالفهم بعض المحدثين، فمنهم من جعل الإعلال في الواو والياء فقط، ومنهم من أضاف إليها الألف ومنهم من أضاف أيضًا الهمزة، المهم ما الذي سنتبعه في هذا الفصل ؟

إن شاء الله تعالى سوف أسلك نهج القدماء في تحديدهم الإعلال بالألف والواو والياء وإلحاقهم بها الهمزة، ليس معنى ذلك أنني مع القدماء أو أنني ضد المحدثين، ولكن الأمر مجرد تحديد للمنهج؛ حتى أكون على بيِّنة من أمري، كما أنني وجدت تداخلاً كبيرًا بين الهمزة وأصوات العلة في كثير من المسائل الصرفية، لذلك سيكون محور الدراسة في هذا الفصل هو

[1] - انظر شذا العرف في فن الصرف: ١٦٨
[2] - المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها: ١٠٥/١
[3] - اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٧٦
[4] - السابق: ٢٧٧
[5] - النحو الوافي: ٧٥٦/٤ ـ ٧٥٧، وقد وافقه في هذا التعريف د. عبده الراجحي، انظر كتابه التطبيق الصرفي: ١٥٦
[6] - انظر دراسة الصوت اللغوي: د. أحمد مختار عمر، ٣٤٦

ما يحدث بين هذه الأصوات الأربعة من إبدال بعضها من بعض، أو نقل، أو حذف، وفق ما جاء في اللغة العربية الفصيحة، دون التطرق إلى الأمثلة الواردة في اللهجات.

المبحث الأول

الإعلال بالقلب

- ❖ أولاً: قلب الألف والواو والياء همزةً
- ❖ ثانيًا: قلب الهمزة ألفًا أو واوًا أو ياءً
- ❖ ثالثًا: قلب الألف ياءً
- ❖ رابعًا: قلب الألف واوًا
- ❖ خامسًا: قلب الواو والياء ألفًا
- ❖ سادسًا: قلب الواو ياءً
- ❖ سابعًا: قلب الياء واوًا

يقصد بالإعلال بالقلب: هو إبدال أصوات العلة ملحقًا بها الهمزة بعضها من بعض، وذلك لغرض التخفيف.

" والقلب نظرية تميل إليها اللغة في سيرها نحو السهولة والتيسير من أجل أن تتخلص من الأصوات العسيرة لتستبدلها بأخرى لا تتطلب صعوبة أو جهدًا عظيمًا كبيرًا في النطق، كما أنها تتفادى التعقيدات للظاهرة اللغوية "[١].

ويوضح ابن سيده الأندلسي ت (٤٥٨ هـ) أسباب قلب أصوات العلة بعضها من بعض، ويحددها في " طلب الخفة والكثرة والمناسبة بين بعضها وبعض من جهة أنه يُتمكن بها أو ببعضها من إخراج الحروف ومن جهة ما فيها من المد واللين ومن جهة ما تمكن بها في الشعر من التلحين ومن جهة اتساع مخرجها على اشتراكها في ذلك أجمع وكل واحد من المعاني الثلاثة يطالب بجواز الإبدال "[٢].

يُؤخذ من هذا النص أن أسباب قلب أصوات العلة بعضها من بعض هي:

١ – طلب الخفة، فإذا وجد في صيغة صرفية صوت علة مستثقل يمكن أن يبدل صوتًا آخر؛ لأن الخفة مطلب رئيس في اللغة العربية.

٢ – الكثرة، فما كثر كان أحق بالتخفيف، ولأصوات العلة كثرة لم تكن لغيرها، إذ لا تخلو كلمة من أصوات العلة أو من بعضها.

٣ – المناسبة، فإذا اجتمع في الكلمة صوت علة مع صائت لا يناسبه، فإنه سرعان ما يقلب إلى آخر ليتناسب مع الصوائت التي تجاوره.

وأصوات العلة – كما يقول الإستراباذي – تتغير " لطلب الخفة ليس لغاية ثقلها بل لغاية خفتها، بحيث لا تحتمل أدنى ثقل، وأيضًا لكثرتها في الكلام "[٣].

أي أن أصوات العلة بحد ذاتها ليست ثقيلة، بيد أنها قد تقع تحت تأثير ثقل عارض نتيجة لتجاورها بأصوات لا تنسجم معها، مما يؤدي إلى حدوث قلب لها وإبدالها صوت علة آخر أو إبدالها همزة؛ فتتحقق الخفة والانسجام الصوتيّ في بنية الكلمة.

يقول ابن جني في هذا الصدد: " إذا بدأت بالكسرة فقد جئت ببعض الياء، وآذنت بتمامها، فإذا تراجعت عنها إلى الواو فقد نقضت أول قولك بآخره، وخالفت بين طرفيه. وكذلك إذا بدأت بالضمة ثم جئت بعدها بالياء فقد جئت بأمر غيرُه المتوقع؛ لأنك لما جئت بالضمة تُوُقعت الواو، فإذا عدلت إلى الياء، فقد نقضت بآخر لفظك أوله "[٤].

[١] - أبو علي النحوي وجهوده في الدراسات اللغوية الصوتية: د. علي جابر المنصوري، ١٣٤
[٢] - المخصص: ١٨٠/١٣
[٣] - شرح شافية ابن الحاجب: ٦٨/٣
[٤] - سر صناعة الإعراب: ٣٠/١

فليس ثمة انسجام في أصوات الكلمة إن اجتمع فيها صوامت وصوائت غير متجانسة، كاجتماع الكسرة والواو في كلمة (مِوزان)، أو اجتماع الضمة والياء في كلمة (مُيقن)، لذلك تقلب الواو والياء إلى صوت يجانس الصائت قبلهما، فتقلب الواو ياءً لمناسبة الكسرة في مِوزان فتصبح مِيزان، وتقلب الياء واوًا لمناسبة الضمة قبلها في مُيقن فتصبح مُوقن.

ليس معنى ذلك أن الثقل يكون ناجمًا عن اجتماع الصوائت التي لا تتجانس مع أصوات العلة فحسب، وإنما قد ينجم الثقل عن اجتماع صوتين مختلفين من أصوات العلة، أو صوتين متماثلين منها في كلمة واحدة، ومثال الأول كلمة (كوي) اجتمعت الواو والياء، وهذا ثقيل مستكره، فقلبت الواو ياءً وأدغمت في الياء وأصبحت (كيّ)، ومثال الثاني كلمة (وواصل) اجتمعت واوان في بداية الكلمة، فقلبت الأولى همزة طلبًا للتخفيف والانسجام الصوتيّ.

هذا الثقل كان لا بد له أن يزول حتى تصبح الكلمة مستساغةً سهلة النطق، لذا تلجأ العربية إلى عدة طرق لإزالة هذا الثقل من أهمها "القلب"، فالإعلال بالقلب سببه عدم التجانس بين أصوات العلة عند اجتماعها في كلمة واحدة، أو عدم انسجامها مع صوائت قصيرة ليست مجانسة لها، مما يسبب تنافرًا وثقلاً في أثناء النطق بها، فيتم قلب صوت العلة بالإضافة إلى الهمزة بعضها من بعض؛ حتى يتحقق الانسجام الصوتي بين صوامت الكلمة وصوائتها.

والإعلال بالقلب – كباقي الظواهر الصرفية في اللغة العربية – له نظامه وقوانينه التي تحكمه، فليس الإعلال بالقلب يكون في كل المواضع أو في أي صيغة صرفية اجتمع فيها أصوات العلة والهمزة، بل هناك مواضع معينة يقع فيها الإعلال بالقلب، ويمكن تفصيلها فيما يأتي:

أولاً: قلب الألف والواو والياء همزةً

وذلك يكون في المواضع الآتية:

١ – إذا وقعت الواو أو الياء متطرفتين وقبلهما ألف زائدة، نحو: سماء، ودعاء، وبناء، وظباء، الأصل فيها: سماو، ودعاو، وبناي، وظباي[١].

ويرى ابن جني أن الواو والياء لم تقلبا همزة، وإنما قلبتا أولاً ألفًا ثم همزة، وذلك لأن وقوعهما في الطرف يضعفهما، فتحركتا وانفتح ما قبلهما فقلبتا ألفًا، فاجتمع ألفان، وكرهوا حذف أحدهما حتى لا يعود الممدود مقصورًا فحركوا الألف الثانية فانقلبت همزة[٢].

---

[١] ـ التصريف الملوكي: ابن جني، ٣٣، والوجيز في علم التصريف: أبو البركات بن الأنباري، ٤٥ ـ ٤٦ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ٩/١٠

[٢] ـ سر صناعة الإعراب: ٩٣/١، وانظر شرح المفصل: ابن يعيش، ٩/١٠

وكذلك تقلب ألف التأنيث إذا وقعت متطرفة بعد ألف زائدة، نحو: صحراء، وحمراء[1]، الأصل فيها حمرى وصحرى، ثم زيدت ألف قبل ألف التأنيث، وألف أخرى للمد، فاجتمع ألفان فقلبت الثانية همزة[2].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾[3]، وقوله عز وجل: ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[4].

٢ – إذا وقعت الواو أو الياء عيناً لاسم الفاعل، نحو: قائل وبائع، أصلهما قاول وبايع[5]، إلا أن هذه الصيغة مستثقلة لتحرك الواو والياء، وانفتاح ما قبلهما، لذلك تقلبان همزةً.

ويرى ابن جني أن الواو والياء قد قلبتا ألفًا في الماضي، فلما صيغ اسم الفاعل من قال وباع، التقت ألفان، فلم يجز حذف أحدهما؛ حتى لا يعود اللفظ إلى الماضي، فحركت الثانية التي هي عين الكلمة، كما حركت الراء في ضارِب، فانقلبت همزة لأن الألف إذا حركت صارت همزةً[6].

نلاحظ أن ابن جني قد تعامل مع البنية السطحية للكلمة، وبنى تفسيره هذا على أساس ما وصلت إليه صيغة الفعل في صورتها النهائية، وهو رأي لا يمكن إغفاله أو الاستهانة به، لا سيما أنه يتفق مع منهج الوصفيين من علماء الدرس اللغويّ الحديث.

ويرى الأستاذ الطيب البكوش أن الذي حدث في هذه الكلمات ليس قلبًا للواو والياء، وإنما حذف، وبقيت الكسرة، إلا أن العربية لم تتعود رسم الصوائت مستقلة من غير صوامت، فاضطرت إلى زيادة الهمزة[7].

ويمكن التمثيل على اسم الفاعل من الفعل الأجوف الذي قلبت عينه همزة بقوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾[8]، وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾[9].

٣ – إذا وقعت الواو أو الياء في جمع تكسير بعد ألف "مفاعل" وما شابهها من عدد الصوامت

---

[1] - التصريف الملوكي: ابن جني، ٣٢، والوجيز في علم التصريف: أبو البركات بن الأنباري، ٤٦ ، ونزهة الطرف في علم الصرف: ابن هشام، ١٥٠، وشرح المفصل: ابن يعيش، ٩/١٠

[2] - التتمة في التصريف: ابن القبيصي،١٢١ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ٩/١٠

[3] - سورة هود: الآية، ٤٤

[4] - سورة القلم: الآية، ١١

[5] - التصريف الملوكي: ابن جني، ٦٨ ، ونزهة الطرف في علم الصرف: ابن هشام، ١٥١، وشرح المفصل: ابن يعيش، ١٠/١٠

[6] - المنصف: ٢٨٠/١ ـ ٢٨١

[7] - التصريف العربي: ١٥٣ـ ١٥٤

[8] - سورة يوسف: الآية، ١٠

[9] - سورة الضحى: الآية، ٨

ونوع الصوائت، كفعائل وفواعل، شرط أن يكون كل من الواو والياء مدة ثالثة زائدة في مفرده، وينطبق هنا على الألف ما ينطبق على الواو والياء، نحو: عجائز، وصحائف، وقلائد، مفردها عجوز، وصحيفة، وقلادة[١].

وقد وردت بعض الكلمات شاذة مثل منارة جمعت على منائر، ومصيبة على مصائب، حيث قلبت الألف في الأولى والياء في الثانية همزة رغم أنهما أصليتان[٢].

ويرى ابن جني أن أصل القلب هنا للألف وحملت الواو والياء عليها، ثم يفسر علة القلب في (رسائل)، أنه عند جمعها على وزن فعائل وقعت ألف الجمع ثالثة قبل ألف رسالة، فالتقى ألفان وصورتهما (رساال)، ثم يضع افتراضاته الجدلية مرة بحذف الأولى ويستنتج أنه لا يصح ذلك لأنه سيبطل الجمع، ومرة يضع افتراضه بحذف الألف الثانية، ثم يعقب أن ذلك سيغير بناء الجمع، فلما بطل الحذف لم يبق إلا التحريك، ولم تحرك الأولى لأنها إن تحركت قلبت همزة وزالت دلالة الجمع، فلم يبق إلا تحريك الثانية بالكسر لتكون كعين مفاعِل، فلما حركت انتقلت همزة فصارت رسائل[٣].

لا أعلم لماذا كل هذه الافتراضات ؟ ولماذا افترض العلامة ابن جني أن الألف الثانية ساكنة ولا بد أن تُحَرَّك بالكسر قياسًا على عين مفاعِل ؟ الأمر أبسط من ذلك بكثير، فهذه الألف ستحرك بالكسر تلقائيًّا بمجرد جمع الكلمة على وزن فعائِل، أو ما يشبه وزن مفاعِل من حيث عدد الصوامت ونوع الصوائت.

ويمكن التمثيل على هذا النوع من جموع التكسير بقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾[٤]، وقوله: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللاتِي فِي حُجُورِكُم﴾[٥]، مفرد شعائر: شعيرة، ومفرد ربائب: ربيبة، فنرى أن الياء قد قلبت همزة عند جمعهما على "فعائل".

٤ – إذا وقعت الواو أو الياء ثاني صوتي علة بينهما ألف مفاعِل أو ما يشبهه دون مفاعيل وما يشبهه، سواء أكان ياءين، نحو: نيائف جمع نيِّف وأصله نيايف، أو واوين، نحو: أوائل جمع أوّل وأصله أواول، أو مختلفين كما في سيائد جمع سيِّد وأصله سياوِد[٦].

نلاحظ أنه قد اجتمـــع في مثل هذه الصيغ الصرفيـــة صوتان متماثلان، أو مختلفان من

---

[١] - نزهة الطرف في علم الصرف: ابن هشام، ١٥٠ ، وانظر شذا العرف في فن الصرف: الحملاوي، ١٥٢ ، والنحو الوافي: الأستاذ عباس حسن، ٧٦٣/٤

[٢] - شذا العرف في فن الصرف: الحملاوي، ١٥٢، والنحو الوافي: الأستاذ عباس حسن، ٧٦٣/٤، والتطبيق الصرفي: د. عبده الراجحي، ١٦٠

[٣] - انظر المنصف: ٣٢٦/١ - ٣٢٧

[٤] - سورة البقرة: الآية، ١٥٨

[٥] - سورة النساء: الآية، ٢٣

[٦] - التصريف الملوكي: ابن جني، ٦٧ ، ونزهة الطرف في علم الصرف: ابن هشام، ١٥٠

أصوات العلة وبينهما فاصل هو الألف، وفي ذلك ثقل كبير وجهد عضلي، يمكن التخلص منه عن طريق قلب صوت العلة الثاني همزةً، وكأن الهمزة هنا عنصر محايد ووجوده يعمل على إحداث التوازن في الكلمة، فهذه الكلمات قد اجتمع فيها صوتان من أصوات العلة المتماثلة أو المختلفة، بالإضافة إلى الألف، أي أننا لا نستطيع أن نقلب أحدها من الآخر فنفر من ثقل إلى ثقل، لذلك قُلب صوت العلة الثاني همزة، لإزالة الثقل، كما أن وجودها لن يغير في معنى الكلمة.

٥ – إذا اجتمع واوان في الكلمة وكانت الثانية منهما أصليةً سواء أكانت متحركةً أو ساكنةً، فإن الأولى تقلب همزةً، وذلك على النحو الآتي:

أ – إذا كانت الواو الثانية متحركةً فيجب قلب الأولى همزة، كما في جمع واثقة، وواصلة، وواقفة جمع تكسير على صيغة فواعل، فنقول: وواثق، وواصل، وواقف، اجتمع في بداية الكلمة واوان وفي ذلك ثقل في أثناء النطق بهما؛ لذلك تقلب الأولى همزةً وتصبح: أواثق، وأواصل، وأواقف[١].

وعليه جاء قول المهلهل[٢]:

ضَرَبَتْ نَحْرَهَا إِلَيَّ وَقَالَتْ   يَا عَدِيًّا لَقَدْ وَقَتْكَ الأَوَاقِي

فالأصل في (الأواقي) هو (الوواقي)؛لأن مفردها واقية.

ب – إذا كانت الواو الثانية ساكنة أصلية، نحو: أولى مؤنث أوّل وأصلها وُولى[٣]، اجتمعت واوان في بداية الكلمة وهذا مستثقل، فقلبت الأولى منهما همزة؛ " لأنه لا يلتقي واوان في أول الحرف "[٤].

وقد وردت كلمة (أولى) في القرآن الكريم، كما في قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ﴾[٥].

هذه المواضع كان القلب فيها واجبًا، ويجوز قلب الواو والياء همزةً في المواضع الآتية:

١ – إذا جاءت الواو مضمومة ضمًا لازمًا غير مشددة، مثل: وجوه يجوز أن نقول فيها أجوه، وفي وقوت > أقوت، وفي أدور > أدؤر، وفي أنور > أنؤر[٦].

---

[١] - التصريف الملوكي: ابن جني، ٦٦ ، ونزهة الطرف في علم الصرف: ابن هشام، ١٥١، والتتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١٢٣، وشرح المفصل: ابن يعيش، ١٠/١٠

[٢] - ديوان مهلهل بن ربيعة: ٥٨، وانظر التصريف الملوكي: ابن جني، ٦٦ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ١٠/١٠

[٣] - نزهة الطرف في علم الصرف: ابن هشام، ١٥١ ، وانظر شذا العرف في فن الصرف: الحملاوي، ١٥٣

[٤] - الكتاب: سيبويه، ٣٣٣/٤

[٥] - سورة القصص: الآية، ٧٠

[٦] - الكتاب: سيبويه، ٣٣١/٤ ، ونزهة الطرف في علم الصرف: ابن هشام، ١٥٢ ، والتتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١٢٣ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ١١/١٠ ، وانظر شذا العرف في فن الصرف: الحملاوي، ١٥٣

وعليه جاء قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾[1].

فالأصل في (أقتت) هو وقتت؛ لأنها من الوقت، ويبدو لي أن السبب في قلب الواو همزة هنا؛ لتنسجم كلمة (أقتت) مع كلمة (أجلت) في الآية الكريمة التي تليها، وهي: ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾[2].

٢ – إذا جاءت الواو مكسورة في بداية الكلمة مثل وِشاح، ووِفادة، ووِسادة، فإنه يجوز قلبها همزة فتصبح: إشاح، وإفادة، وإسادة[3].

وورد أن سعيد بن جبير قرأ قوله تعالى: ﴿قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾[4]، قرأها إعاء[5].

٣ – إذا جاءت الواو مفتوحة في بداية الكلمة، يجوز قلبها همزة، كما في وحد، تقلب الواو همزةً فتصبح أحد[6]، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[7].

٤ – إذا جاءت الياء بعد ألف وبعدها ياء مشددة، فإنه يجوز قلب الياء همزةً، نحو: النسب إلى غاية، وراية، ونهاية، وسقاية، يجوز أن نقول: غائيّ، ورائيّ، ونهائيّ، وسقائيّ[8]، وذلك حتى لا يجتمع ثلاث ياءات، ففي اجتماعها نوع من الثقل يمكن تخفيفه بقلب الياء الأولى همزةً.

ثانيًا: قلب الهمزة ألفًا أو واوًا أو ياءً

هذا القلب يكون في المواضع الآتية:

١ – تقلب الهمزة واوًا أو ياءً في الجمع على وزن "مفاعِل" وما شابهه في عدد الصوامت ونوع الصوائت بالشروط الآتية[9]:

- أن تكون الهمزة عارضةً بعد ألف التكسير، أي غير أصلية.
- أن تكون لام المفرد إمّا همزةً أصليةً، وإمّا واوًا أو ياءً أصليتين.

وذلك يكون وفق الآتي:

أ – كلمة لامها همزة أصلية: نحو خطيئة ودنيئة ورزيئة، عند جمعها جمع تكسير فإنها

---

[1] - سورة المرسلات: الآية، ١١

[2] - سورة المرسلات: الآية، ١٢

[3] - الكتاب: سيبويه، ٣٣١/٤ ، ونزهة الطرف في علم الصرف: ابن هشام، ١٥٢ ، والتتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١٢٣ - ١٢٤ وشرح المفصل: ابن يعيش، ١٤/١٠، وانظر شذا العرف في فن الصرف: الحملاوي، ١٥٣

[4] - سورة يوسف: الآية، ٧٦

[5] - شرح المفصل: ابن يعيش، ١٤/١٠

[6] - الكتاب: سيبويه، ٣٣١/٤

[7] - سورة الإخلاص: الآية، ١

[8] - التتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١٢٢، وشرح المفصل: ابن يعيش، ١٥٦/٥ ، وانظر شذا العرف في فن الصرف: الحملاوي، ١٥٣ ، والنحو الوافي: الأستاذ عباس حسن، ٧٦٦/٤

[9] - انظر شذا العرف في فن الصرف: الحملاوي، ١٥٤، والنحو الوافي: الأستاذ عباس حسن، ٧٦٦/٤- ٧٦٧، والتطبيق الصرفي: د. عبده الراجحي، ١٦٢

تصبح: خطايا ودنايا ورزايا، ويرى القدماء أن الأصل فيها خطايئ، ودنايئ، ورزايئ، وأنه قد أبدلت الياء المكسورة همزةً، فأصبحت خطائئ ودنائئ ورزائئ، ثم قلبت الهمزة الثانية ياءً لتطرفها وانكسار ما قبلها، ثم قلبت كسرة الهمزة فتحةً للتخفيف، ثم قلبت الياء ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها، فأصبحت خطاءا، ودناءا، ورزاءا، فاجتمع ألفان بينهما همزة، وفي ذلك ثقل مستكره فأبدلت الهمزة ياءً فأصبحت: خطايا، ودنايا، ورزايا[1].

هذا هو تفسير القدماء لما حلَّ بالهمزة في مثل تلك الكلمات، حيث قلبت ياء، وهو تفسيرٌ – في نظري – قائمٌ على الخيال الخصب، فليس من المنطق أن تقلب الياء إلى همزة ثم تعود وتقلب ياءً مرةً أخرى، وكأنها قطع شطرنج تبادلت مواقعها ثم عادت إلى الموقع نفسه.

وقد بحثت طويلاً في كتب المحدثين عن تفسير لهذه الظاهرة، فلم أجد ضالتي، بيد أنه يمكنني تفسير التغييرات الحادثة في تلك الكلمات على النحو التالي: جمعت خطيئة ودنيئة ورزيئة – ومما لامها همزة أصلية – على وزن "فعايل" فأصبحت خطايئ، ودنايئ، ورزايئ، أي أن الخطوة الأولى من تفسير القدماء كانت صحيحة، ولكن ما بعدها كان التعسف واضحًا، فالذي حدث – في نظري – أنه عند اجتماع الألف ثم الياء وتليهما الهمزة المتطرفة أصبح في ذلك عبء كبير في الكلمة، وهذا لا يرغبه العربيّ فأدى ذلك إلى اللجوء إلى التخفيف، ووقع الأمر على الهمزة لتطرفها، ومجيئها بعد ثقلين، فكان لا بد من تخفيف الثقل الأخير، وكأنما بائع قد اكتال فاكهةً أكثر من المطلوب، فإنه عند تخفيف الوزن يرفع آخر واحدة قد وضعها في الميزان، وهذا ما حدث، فقد حذفت الهمزة مع صائتها، وأصبحت الكلمات: خطايِ، ودنايِ، ورزايِ، ثم قلبت كسرة الياء فتحة، لتتناسب مع الألف قبلها، وليخف الثقل الناتج عن اجتماع الكسرة بالياء، والتي هي من جنسها، فأصبحت خطايَ، ودنايَ، ورزايَ، ثم تم تطويل الفتحة القصيرة فأصبحت ألفًا، وعلى ذلك يكون وزن تلك الكلمات هو " فعايا " وليس " فعايل " والإعلال هنا سيكون إعلالاً بالحذف وليس بالقلب.

وسواء أكان الأمر قلبًا أم حذفًا فإن التركيب المقطعيّ لهذه الكلمات سوف يتغير من أربعة مقاطع إلى ثلاثة، ويمكن توضيح ذلك من خلال المثال التالي:
خطايئٌ = خ ـَ / ط ـَ ـَ / ي ـِ / ء ـُ ن ← خ ـَ / ط ـَ ـَ / ي ـَ ـَ

ويمكن التمثيل على هذا النوع من الكلمات من القرآن الكريم بقولــه تعالــى: ﴿إِنَّآ آمَنَّا

[1] ـ المنصف: ابن جني، ٥٤/٢ ـ ٥٥، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ابن هشام، ٥١٩ـ ٥٢٠

بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا﴾[1].

ب – كلمة لامها ياء أصلية، نحو: قضيَّة وهديَّة ورزيَّة، تجمع على قضايا وهدايا ورزايا، ويرى القدماء أن أصلها هو: قضايي، وهدايي، ورزايي، الياء الأولى ياء فعيلة، والثانية لام الكلمة، ثم أبدلت الياء الأولى همزة كما في صحائف، ثم قلبت كسرة الهمزة فتحة، ثم قلبت الياء ألفًا، ثم قلبت الهمزة ياءً فصارت على ما هي عليه[2].

لماذا كل هذا اللف والدوران ؟ ولماذا كل هذه الافتراضات التي لا طائل لها ؟ ولماذا تم إقحام الهمزة ثم العودة لسحبها مرة أخرى ؟

الأمر أبسط من ذلك بكثير، هذه الكلمات قد جمعت على "فعايل" فأصبحت قضايي، وهدايي، ورزايي، أي أن الخطوة الأولى من تفسير القدماء كانت صحيحة، فاجتمعت ياءان وقبلهما ألف، مما أثقل كاهل الكلمة، وكان لا بد من التخفيف، والذي حدث – في نظري – أنه قد حذفت الياء الثانية مع الصائت الذي يليها، ثم قلبت كسرة الياء فتحة لتتناسب مع الألف قبلها، ثم تم إطالة الفتحة فأصبحت ألفًا، وعلى ذلك يكون ما حدث في هذه الكلمات حذف وليس قلبًا، ويكون وزنها هو "فعايا" وليس "فعايل".

ج – كلمة لامها ياء أصلها واو، نحو: مطيَّة، وعشيَّة، أصلها مطيوة وعشيوة، وعند جمعها على "فعائل" تصبح: مطايا وهدايا[3].

يرى القدماء أن أصل مطايا هو مطايو، ثم قلبت الواو ياءً لتطرفها بعد كسرة فأصبحت مطايِي، ثم قلبت الياء الأولى همزة فأصبحت مطائِي، ثم أبدلت كسرة الهمزة فتحة، فأصبحت مطاءَي، ثم أبدلت الياء ألفًا، فأصبحت مطاءا، ثم أبدلت الهمزة ياءً، فأصبحت مطايا[4].

لا حاجة للتعليق على ذلك، فالتعسف واضح – وفي نظري – أن التغيير الحادث في جمع مطية هو التغيير ذاته الحادث لخطيئة وقضيَّة، فعند جمعها على "فعايل" تصبح مطايو، اجتمع ثلاثة أصوات علة، فسبب ذلك ثقلاً كبيرًا وجهدًا عضليًّا عظيمًا في أثناء النطق بها، وكان لا بد من التخلص من هذا الثقل، فتم حذف الواو مع الصائت الذي يليها، ثم قلبت كسرة الياء فتحة لمناسبة الألف قبلها، ثم تحولت هذه الفتحة من صائت قصير إلى صائت طويل، فصارت مطايا على وزن "فعايا"، وما حدث فيها حذفٌ وليس قلبًا.

[1] - سورة طه: الآية، ٧٣
[2] - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ابن هشام، ٥٢٠
[3] - الكتاب: سيبويه، ٣٩٠/٤، وانظر النحو الوافي: الأستاذ عباس حسن، ٧٦٨/٤
[4] - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ابن هشام، ٥٢٠ - ٥٢١

د – كلمة لامها واو، نحو: هِراوة، فإنها تجمع على وزن "فعائل" فتصبح هَرَاوَى، ويرى القدماء أن أصلها هَرائِو، حيث انقلبت ألف هراوة همزة كما في رسالة تجمع على رسائل، ثم أبدلت الواو ياء لتطرفها وانكسار ما قبلها، فأصبحت هرائِي، ثم أبدلت كسرة الهمزة فتحة فانقلبت الياء ألفًا فأصبحت هراءا، ثم أبدلت الهمزة واوًا فأصبحت هراوى[1].

لا أجد تفسيرًا لهذا التغيير إن صيغت الكلمة على "فعائل"، ولكنني أفضل بدلاً من افتراض خمس خطوات لتفسير التغيير الحادث فيها، أن تعد هذه الكلمة وما شاكلها من الشواذ، وأنها لم تجمع على "فعائل" بل جمعت على "فَعالى" وبذلك لم يحدث فيها أي تغيير.

٢ – تقلب الهمزة واوًا عند تثنية الاسم الممدود وجمعه جمع مؤنث سالمًا، وكذلك عند النسب إليه، وفي حال كون الهمزة زائدة للتأنيث فإن قلبها واوًا واجبٌ، أمَّا إذا كانت الهمزة زائدةً لغير التأنيث أو منقلبة فإن قلبها واوًا جائزٌ وليس واجبًا[2].

ويمكنني توضيح ذلك من خلال الجدول الآتي:

الاسم الممدود	تثنيته	جمعه جمع مؤنث سالمًا	النسب إليه
حمراء	حمراوان	حمراوات	حمراويّ
علباء	علباوان–علباءان	علباوات–علباءات	علباويّ–علبائيّ
كساء	كساوان–كساءان	كساوات–كساءات	كساويّ–كسائيّ
رداء	رداوان–رداءان	رداوات–رداءات	رداويّ–ردائيّ

٣ – إذا اجتمعت همزتان في كلمة واحدة، فإن الثانية منهما تقلب على النحو الآتي:

أ – إذا كانت الهمزة الأولى متحركة والثانية ساكنة، فإن الثانية تقلب إما ألفًا وإما واوًا وإما ياءً، حسب الصائت القصير الذي قبلها، نحو: آمن أصلها أأْمن، حيث قلبت الهمزة الثانية الساكنة ألفًا لتجانس الفتحة قبلها، فأصبحت أامن أي آمن، وكذلك الحال في آدم وآخر، وفي أُومن أصلها أُؤْمن، قلبت الهمزة الثانية الساكنة واوًا لتجانس الضمة قبلها، وفي إيمان الأصل فيها إِئْمان، قلبت الهمزة الثانية الساكنة ياءً لمناسبة الكسرة قبلها، وكذلك الحال في إيثار وإيلاف[3].

وعليه جاء قوله تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾[4]... ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾[5]،

[1] - الكتاب: سيبويه، ٣٨٥/٢ ، والمنصف: ابن جني، ٣٤٤/١ – ٣٤٥ ، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ابن هشام، ٥٢١

[2] - التتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١١٩

[3] - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ابن هشام، ٥٢٣، والتتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١١٦، ١١٨، ١٢٠

[4] - سورة قريش: الآية،١

[5] - سورة قريش: الآية، ٤

فأصل (إيلاف) إِئْلاف، قلبت الهمزة الثانية الساكنة ياءً لمناسبة الكسرة قبلها، و(آمنهم) أصلها أَأْمنهم، قلبت الهمزة الثانية الساكنة ألفًا لمناسبة الفتحة قبلها.

أما قوله عز وجل: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾[1]، فأصل (أوتي) أُؤْتي، قلبت الهمزة الثانية الساكنة واوًا لمناسبة الضمة قبلها.

ويرى المحدثون أن الذي حدث في مثل هذه الكلمات لم يكن قلبًا للهمزة الثانية، وإنما كان حذفًا لها، ثم حُوِّل الصائت القصير قبلها إلى صائت طويل[2].

ب – إذا كانت الهمزة الأولى ساكنةً والثانية متحركةً، وذلك لا يقع في موضع الفاء، وإنما يكون في موضع العين، ففي هذه الحالة تدغم الأولى في الثانية، فمثلاً عندما نصوغ من الفعل (سأل) صيغة المبالغة على وزن فعَّال تصبح (سَأْأَال)، اجتمعت همزتان الأولى ساكنة والثانية متحركة فأدغمتا وأصبحت (سأَّل)[3]، فلا يوجد إعلال بالقلب في هذا الموضع وإنما يوجد إدغام للتخفيف.

ج – إذا كانت الهمزتان متحركتين في غير موضع اللام، والثانية مفتوحة بعد همزة مفتوحة أو مضمومة أو مكسورة فإن الهمزة الثانية تقلب واوًا مطلقًا[4].

ومثال الهمزتين المفتوحتين كلمة آدم عند جمعها نقول (أَأَادم)، تقلب الهمزة الثانية واوًا فتصبح أوادم[5]، وفي نظري أن هذه الواو ليست منقلبة عن همزة؛ لأن آدم جمعت على "فواعل" فهذه الواو هي واو "فواعل"، وبذلك تكون الهمزة الثانية محذوفة.

وعند تصغير كلمة آدم فإنها تصبح أُأَيدم، ثم تقلب الهمزة الثانية واوًا وفق القاعدة السالفة الذكر فتصبح أُويدم[6]، وترى الباحثة أن الهمزة الثانية قلبت واوًا لمناسبة الضمة قبلها.

ثالثًا: قلب الألف ياءً

تقلب الألف ياءً في المواضع الآتية:

١ – إذا وقعت بعد كسرة، كما في جمع التكسير لكلمة سلطان، ومصباح، ومنشار، ونحوها، فإنها تصبح: سلاطين، ومصابيح، ومناشير[7]، وكذلك الحال عند تصغيرها فإنها تصبح:

---

[1] - سورة الحاقة: الآية، ٢٥

[2] - الصرف وعلم الأصوات: د. ديزيرة سقال، ١٢٣ ، وبنية الفعل قراءة في التصريف العربي: عبد الحميد عبد الواحد، ٣٩ - ٤٠

[3] - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ابن هشام، ٥٢٣ ، وانظر شذا العرف في فن الصرف: الحملاوي، ١٥٦

[4] - المقتضب: المبرد، ١٥٨/١

[5] - السابق: الصفحة نفسها، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ابن هشام، ٥٢٤

[6] - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ابن هشام، ٥٢٤

[7] - نزهة الطرف في علم الصرف: الميداني، ٣٤ ، والتتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١١٣

سُليطين، ومُصيبيح، ومُنيشير[1]، ويرى القدماء أن سبب قلب الألف ياءً هو وقوعها بعد كسرة، وهذا لا يتناسب معها، لذلك قلبت ياءً لمناسبة الكسرة[2].

وفي نظري أن الألف لم تقلب ياءً، وإنما حذفت وهذه الياء في سلاطين هي ياء "فعاليل"، وفي مصابيح ومناشير هي ياء "مفاعيل"، وعند تصغيرها، الياء هذه هي الياء الثانية من "فُعيعيل" التي تكون للتعويض عن محذوف مما كان على خمسة أحرف فأكثر، كما في تصغير فرزدق، فإنه يصغر على فُريزق أو فُريزيق أو فُريزيد.

ويمكن التمثيل لهذه الأسماء بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾[3].

وتقع الألف أيضًا بعد كسرة فتقلب ياءً في مصدر الفعل الذي يأتي على وزن "فاعَلَ"، فإن مصدره يكون على وزن "فِيعال"، نحو: قاتل قِيتال، وضارب ضِيراب، حيث انقلبت الألف ياءً لمناسبة الكسرة[4].

والألف بعد قلبها ياءً، تم تقصير الياء فأصبحت كسرة، وأصبح المصدر على وزن "فِعال"، نحو: قِتال، وضِراب، وبذلك تم تحويل المقطع من متوسط إلى مقطع قصير، خاصة وأن ذلك لا يؤثر في المعنى، ويمكن توضيح ذلك من خلال ما يأتي:

قيتالٌ = ق ــِ ــ/ ت ــَ ــ/ ل ــُ ن ← قِتال = ق ــِ/ ت ــَ ــ/ ل ــُ ن

ويعلل براجستراشر سبب تقصير الياء هنا بقوله: " تتابع المقطعين الممدودين، ليس بمقبول للسمع في بعض الأوقات، فاجتنبوه؛ ومن ذلك أنهم قالوا: (قِتال) في مصدر قاتَلَ، وكان الأولى أن يكون: قيتالاً، لامتداد الحركة الأولى في: قاتل، فقصروها لكيلا يتتابع الممدودان "[5].

في حين يُرجع د. رمضان عبد التواب سبب تقصير الياء إلى مسألة النبر، فيقول: " من طبيعة العربية الفصحى، أن تقصر الحركة الطويلة في المقطع المفتوح، إذا كان يسبق مقطعًا آخر منبورًا ذا حركة طويلة، فأصل مصدر "فَاعَلَ" في العربية القديمة هو: "فِيعال" بنبر المقطع الثاني، وقد ترتب على خلو المقطع الأول من النبر، أن قصرت حركته، فصار المصدر "فِعَال"، مثل: "قاتَلَ قِتالاً" بدلاً من: " قاتل قيتالاً" "[6].

---

[1] ـ التتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١١٣، وشرح المفصل: ابن يعيش، ١١٦/٥
[2] ـ السابق: الصفحات نفسها.
[3] ـ سورة الملك: الآية، ٥
[4] ـ شرح ابن عقيل: ٨٦/٢ ، ورصف المباني في شرح حروف المعاني: المالقي، ٤٥١
[5] ـ التطور النحويّ: ٦٧
[6] ـ التطور اللغويّ: ٨٩

وعليه قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[1].

٢ – إذا وقعت الألف بعد ياء ساكنة، قلبت ياءً ثم أدغمت في الياء الأولى، وذلك يحدث عند وقوعها بعد ياء التصغير، نحو: كتاب، وغلام، وغزال، عند تصغيرها تصبح: كُتَيِّب، وغُلَيِّم، وغُزَيِّل[2].

ترى الباحثة أن السبب في قلب الألف ياء هنا ليس لأنها سبقت بياء ساكنة فحسب، وإنما لأنها كسرت أيضاً، فهذه الكلمات تصغر على "فُعيعِل"، أي أن العين الثانية مكسورة، والتي تقابل الألف في تلك الأسماء، فعندما كسرت الألف قلبت ياءً ثم أدغمت في ياء التصغير.

٣ – عند تثنية الاسم المقصور فوق الثلاثي وجمعه جمع مؤنث سالمًا، فإن ألفه تقلب ياءً، نحو: حبلى، نقول: حبليان وحبليات[3].

يبدو لي أن السبب في قلب الألف هنا هو التقاء ألفين فتعذر النطق بهما معًا، لذلك كان لا بد أن تقلب إما واوًا وإما ياءً، إلا أنها قلبت ياءً؛ لأن الياء أخف من الواو، خاصة وأن الكلمة قد زيدت عليها ألف ونون أو ألف وتاء، مما أثقلها، فكان لا بد عند قلب الألف، أن يكون الصوت الجديد أخف الصوتين.

٤ – عند إسناد الفعل الماضي فوق الثلاثي المعتل الآخر بالألف إلى تاء الفاعل أو ألف الاثنين أو نون النسوة أو (نا) الفاعلين، فإن ألفه تقلب ياءً[4]، فنقول في اهتدى: اهتديتُ، واهتديا، واهتدينَ، واهتدينا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾[5].

٥ – عند اتصال (إلى) و(على) و(لدى) بالضمير، فإن الألف تقلب ياءً، فنقول: إليك، وعليك، ولديك[6].

ترى الباحثة أن الألف لم تقلب ياءً، بل تم تقصيرها فأصبح فتحةً، ثم زيدت ياء ساكنة لإحداث التوازن في بنية الكلمة، وحدث ذلك للتخلص من مقطع متوسط مفتوح، فأصبح المقطع مغلقًا، ويمكنني توضيح التغيير في التركيب المقطعيّ لهذه الكلمات من خلال المثال الآتي:

إلى + ك ← إلاك = إ ــِ / ل ــَ ــَ / ك ــَ ← إليك = إ ــِ / ل ــَ ي / ك ــَ

---

[1] - سورة البقرة: الآية،٢١٧

[2] - نزهة الطرف في علم الصرف: الميداني، ٣٤ ، والتتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١١٣ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ١١٦/٥

[3] - التتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١١٣

[4] - نزهة الطرف في علم الصرف: الميداني، ٣٥

[5] - سورة سبأ: الآية، ٥٠

[6] - سر صناعة الإعراب: ابن جني، ٢٧٤/٢

ومنه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[1]، وقوله: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[2].

رابعًا: قلب الألف واوًا

تقلب الألف واوًا في المواضع الآتية:

١ – تقلب الألف واوًا بعد ضمة شرط أن تكون زائدة، وذلك على النحو الآتي:

أ – عند تصغير الاسم الذي تقع ثانيه ألف زائدة، فإنها تقلب واوًا، وذلك كما في تصغير لاعب وشاعر، نقول: لُويعب وشُويعر[3]، فقد قلبت الألف واوًا لمناسبة الضمة قبلها، وذلك في حالة كونها زائدة، أما إذا كانت أصلية فإنها ترد إلى أصلها، فأصل الألف في ناب هو الياء، لذا عند تصغيره يصبح نُيَيْب[4].

ب – عند بناء الفعل الذي على وزن "فَاعَلَ" للمجهول، فإن ألفه تقلب واوًا لمناسبة الضمة قبلها، فنقول في بناء راجَعَ وعامَلَ وبايَعَ وضارَبَ للمجهول: رُوجِع، وعُومِل، وبُويِع، وضُورِب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾[5].

٢ – تقلب الألف واوًا عند النسب إلى الاسم المقصور الثلاثي، نحو: رحى، وفتى، عند النسب إليها تلتقي الألف بالكسرة التي تسبق ياء النسب، فتقلب الألف واوًا فتصبح رحويّ وفتويّ، ولم تقلب الألف ياءً حتى لا يجتمع ثلاث ياءات في كلمة واحدة[6].

وإذا كانت الألف فوق ثالثة فإنه يجوز فيها أن تقلب واوًا أو تحذف، فنقول في حبلى وسكرى، حبلويّ وسكرويّ، ويجوز أن نقول: حبليّ وسكريّ[7].

خامسًا: قلب الواو والياء ألفًا

تقلب الواو والياء ألفًا في حالتين:

١ – أن تكونا متحركتين بالفتح وما قبلهما مفتوح، وذلك كما في الأمثلة الآتية:

أ – إذا وقعت الواو والياء عينًا لفعل ثلاثي أجوف متحركتين بالفتح وقبلهما فتحة، فإنهما

---

[1] - سورة الممتحنة: الآية، ٤
[2] - سورة ق: الآية، ١٨
[3] - التتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١١٥
[4] - شرح المفصل: ابن يعيش، ١٢٧/٥
[5] - سورة الحشر: الآية، ١١
[6] - شرح المفصل: ابن يعيش، ١٤٨/٥
[7] - السابق: ١٤٩/٥

تقلبان ألفًا، نحو: قال، وباع، الأصل فيهما قَوَلَ وبَيَعَ، ويرى القدماء أن الواو والياء قد فتحتا وانفتح ما قبلهما مما أدى إلى قلبهما ألفًا[١]، أما المحدثون فيرون أن الواو والياء قد حذفتا فالتقت الفتحتان فأصبحتا ألفًا[٢].

ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾[٣].

وينطبق هذا الأمر أيضًا على الاسم الثلاثي المعتل العين، نحو: باب وناب، الأصل فيهما بَوَبٌ ونَيَبٌ[٤]، وقد وردت كلمة (باب) في قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾[٥].

وكذلك الحال في الفعل الأجوف المزيد على وزن "انفعل"، و"افتعل" ومضارعه واسم الفاعل واسم المفعول منه، نحو: انقاد وانقاس، الأصل فيهما انقود وانقيس، واختار واقتاد الأصل فيهما اختير واقتود، ومضارعهما يختار ويقتاد أصلهما يختير ويقتود، واسمي الفاعل والمفعول منهما مختار ومقتاد، الأصل مختير ومقتود[٦].

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا﴾[٧].

ب – إذا وقعت الواو والياء لامًا لفعل ثلاثي ناقص، فإنهما تقلبان ألفًا، وذلك كما في غزا ورمى، الأصل فيهما غَزَوَ، ورَمَيَ، ويرى القدماء أن الواو والياء قد انفتحتا وانفتح ما قبلهما فقلبتا ألفًا[٨]، في حين يرى المحدثون أن الواو والياء قد حذفتا، والتقت الفتحتان فأصبحتا ألفًا[٩].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾[١٠]، وكذلك الحال في الفعل المضارع المبني للمجهول، نحو يُرمى، ويُغزى[١١]، ومنه قولـــه تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾[١٢].

---

[١] - سر صناعة الإعراب: ابن جني، ٣٢/١، والتتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١٠٢

[٢] - انظر مثلاً: الصرف وعلم الأصوات: د. ديزيرة سقال، ١٢٨، ودراسات في علم أصوات العربية: د. داود عبده، ٣٤ ، وأبحاث في أصوات العربية: د.حسام النعيمي، ٤٧، والتصريف العربي: الطيب البكوش، ٥٤

[٣] - سورة النمل: الآية، ٤٠

[٤] - التتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١٠٤

[٥] - سورة الرعد: الآية، ٢٣

[٦] - التتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١٠٤

[٧] - سورة الأعراف: الآية، ١٥٥

[٨] - التتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١٠٤

[٩] - انظر مثلاً: أبحاث في أصوات العربية: د. حسام النعيمي، ٤٨

[١٠] - سورة النجم: الآية، ٣٩

[١١] - التتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١٠٥

[١٢] - سورة التوبة: الآية، ٣٥

وينطبق هذا الأمر أيضًا على الاسم الثلاثي المعتل اللام، نحو: عصا ورحى، الأصل فيهما عَصَوٌ، ورَحَيٌ[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾[2].

د – إذا وقعت الياء لامًا لفعل فوق ثلاثي متطرفة، فإنها تقلب ألفًا، نحو: اهتدى أصلها اهتدي[3]، كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾[4]، وينطبق هذا الأمر أيضًا إذا صيغت هذه الأفعال على وزن (انفعل) و(افتعل) و(تفاعل) و(استفعل)[5].

وكذلك الحال في الأسماء فوق الثلاثية التي تكون لامها ياءً متطرفة فإنها تقلب ألفًا، نحو: ملهى، ومغزى، ومنتدى، ومصطفى، أصل الألف هنا ياء[6]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى(١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى(١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى(١٥)﴾[7].

٢ – أن تكون الواو والياء متحركتين وما قبلهما ساكن، فتنقل حركتهما إلى الساكن الصحيح قبلهما، ثم تقلبان ألفًا، أي أنه قد حدث في مثل هذه الكلمات إعلال بالنقل ثم إعلال بالقلب، نحو:

أ – كل فعل أجوف على وزن "أفعل"، نحو: أقام، وأباع، الأصل فيهما أَقْوَم، وأبْيَع، نقلت فتحة الواو والياء إلى الساكن الصحيح قبلهما ثم قلبتا ألفًا[8]، كقوله تعالى: ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾[9].

ب – كل فعل أجوف مصوغ على وزن "استفعل"، نحو: استمال، واستقام، الأصل فيهما استميل واستقوم، حيث نقلت فتحة الياء والواو إلى الساكن الصحيح قبلهما ثم قلبتا ألفًا[10]، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[11].

سادسًا: قلب الواو ياءً

تقلب الواو ياءً في المواضع الآتية:

---

[1] ـ التتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١٠٥
[2] ـ سورة الأعراف: الآية، ١١٧
[3] ـ التتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١٠٣
[4] ـ سورة النمل: الآية، ٩٢
[5] ـ التتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١٠٥
[6] ـ السابق: الصفحة نفسها
[7] ـ سورة النجم: الآية، ١٣ـ ١٥
[8] ـ التتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١٠٢
[9] ـ سورة التوبة: الآية، ١٨
[10] ـ التتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١٠٦
[11] ـ سورة الأحقاف: الآية، ١٣

١ – إذا وقعت الواو لامًا متطرفةً بعد كسرة، نحو: رَضِيَ، وقَوِيَ، والراضي والسامي، الأصل فيها: رَضِوَ، وقَوِوَ، والراضِو، والسامِو[١]، ولا يتغير الأمر إن كان بعدها تاء التأنيث، نحو: غازية، ومحنية، الأصل فيها غازوة ومحنوة[٢].

فوقوع الواو بعد كسرة فيه تنافر وثقل؛ لأن الكسرة من الصوائت الأمامية التي يرتفع معها مقدم اللسان إلى أقصى حد، والواو صوت شفوي، أي أنه ينطق من مقدمة الفم، فيصعب على اللسان نطقهما معًا، ففي ذلك جهد عضلي كبير، لذا تقلب الواو ياءً لمناسبة الكسرة قبلها.

ويمكن التمثيل على ذلك بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾[٣].

وكذلك الأمر عند صياغة اسم المفعول من تلك الأفعال، نحو مرضِيّ ومقويّ، الأصل فيها مرضوي، ومقووي[٤]، فقد اجتمعت الواو والياء، وفي ذلك ثقل كبير وجهد عضلي يمكن التخلص منه عن طريق قلب الواو ياءً، فاجتمعت ياءان، تم إدغامهما طلبًا للتخفيف، وحتى يكتمل الانسجام الصوتيّ أكثر، أبدلت الضمة قبلهما كسرة لتتناسب مع الياء، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾[٥].

٢ – إذا وقعت الواو عيناً لمصدر فعله أجوف مسبوقة بكسرة وبعدها ألف، نحو: صام<صيام، قام > قيام، راد > رياد، حاك > حياكة، والأصل فيها: صِوام، وقِوام، ورِواد، وحِواكة[٦]، قلبت الواو ياءً لوقوعها بعد كسرة، حيث لا يوجد توافق وانسجام بينهما، وكان لا بد من إبدالها ياءً، لأن الياء هي التي تناسب الكسرة، ومنه قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾[٧].

وعند جمع اسم الفاعل من هذه الأفعال جمع تكسير على وزن "فُعَّل" ولا يوجد فاصل بين العين واللام، فإنه يجوز قلب الواو ياء، نحو: صُيَّم، ونُيَّم، أصلها صُوَّم ونُوَّم[٨]، فقد اجتمعت واوان وتسبقهما ضمة، وجميعها من المخرج نفسه، مما سبب ثقلاً وجهدًا عضليًّا

---

[١] - التتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١٠٩
[٢] - التصريف الملوكي: ابن جني، ٦٣ ، والوجيز في علم التصريف: ابن الأنباري، ٤٨ ، والتتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١٠٩
[٣] - سورة الفتح: الآية، ١٨
[٤] - نزهة الطرف في علم الصرف: الميداني، ٤٤ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ١٥٥/٥
[٥] - سورة مريم: الآية، ٥٥
[٦] - نزهة الطرف في علم الصرف: الميداني، ٣٥ ، والتتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١١١
[٧] - سورة البقرة: الآية، ١٨٧
[٨] - التصريف الملوكي: ابن جني، ٦٩ ، ونزهة الطرف في علم الصرف: الميداني، ٤٣

كبيرًا، لذلك أبدلت الواو ياءً كما أبدلت الواو التي تليها ياءً لتتناسب مع سابقتها، وعليه جاء قول الراجز[١]:

لَوْلا الإِلَهُ مَا سَكَنَّا خَضَّمَا   وَلا ظَلِلْنَا بِالمُشَائِيِّ قُيَّمَا

٣ – إذا وقعت الواو عيناً لفعل أجوف، فإنه عند بنائه للمجهول فإن هذه الواو تقلب ياءً، نحو: قال > قُوِل > قِيل، يرى القدماء أن كسرة الواو قد نقلت إلى القاف بعد حذف الضمة، ثم قلبت الواو ياءً لمناسبة الكسرة قبلها[٢]، بينما يرى المحدثون أن ضمة القاف قد قلبت كسرة، ثم حذفت الواو فالتقت الكسرتان، فدمجتا وأصبحتا صائتًا طويلاً هو الياء[٣].

كقوله تعالى:﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾[٤].

وإذا بُني الفعل الأجوف الذي على وزن "أفعل" و"استفعل" للمجهول، فإن واوه تقلب ياءً، نحو: أُقْوِمَ > أُقِيم، واُسْتُقْوِم> اُسْتُقِيم، وكذلك الحال في المضارع المبني للمجهول، نحو: يُقْوِم > يُقِيم، ويُسْتَقْوِم > يُسْتَقِيم، وفي اسم الفاعل منها، نحو: مُقْوِم > مُقِيم، ومُسْتَقْوِم<مُسْتَقِيم.

نجد أن الواو قد جاءت مكسورة، وقبلها صحيح ساكن، فتم نقل الكسرة إليه، أي أنه قد حدث إعلال بالنقل، ثم قلبت الواو ياءً لمناسبة الكسرة قبلها.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾[٥].

٤ – إذا وقعت الواو عيناً لجمع تكسير صحيح اللام، وقبلها كسرة، وهي معلَّة في المفرد، نحو دار تجمع على دِيار، وديمة جمعها دِيَم، وقيمة جمعها قِيَم، الأصل فيها دِوار، ودِوم، وقِوم[٦]، حيث وقعت الواو بعد كسرة، مما أحدث تنافرًا في أصوات الكلمة، تم التخلص منه عن طريق قلب الواو ياءً لمناسبة الكسرة.

كقوله تعالى: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾[٧].

٥ – إذا وقعت الواو عينًا لجمع تكسير صحيح اللام وقبلها كسرة وبعدها ألف، شرط أن تكون ساكنة في المفــرد، نحــو: سَوْط<سِياط، وحَوْض<حِياض، وثَوْب<ثِياب، ورَوْض<رِياض، الأصل فيها: سِواط، وحِواض، وثِواب، ورِواض[١].

---

[١] - هذا الرجز بلا نسبة، انظر التصريف الملوكي: ابن جني، ٦٩ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ٣٠/١
[٢] - التصريف الملوكي: ابن جني، ٤٧
[٣] - انظر دراسات في فقه اللغة والفنولوجيا العربية: د. يحيى عبابنة، ١٢٠ ـ ١٢١
[٤] - سورة النمل: الآية، ٤٤
[٥] - سورة الإسراء: الآية، ٣٥
[٦] - نزهة الطرف في علم الصرف: الميداني، ٣٥ ، والتتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١١٢
[٧] - سورة الإسراء: الآية، ٥

حيث وقعت الواو بعد كسرة، مما سبب تنافرًا بين أصوات الكلمة، لذا قلبت الواو ياءً لمناسبة الكسرة قبلها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾[٢].

٦ – إذا وقعت الواو طرفًا في فعل ماضٍ وهي رابعة فأكثر بعد فتحة، شرط أن تكون منقلبة عن ياء في المضارع، نحو: أغزيت وغازيت واستدعيت، أصلها أغزوت، وغازوت، واستدعوت[٣].

يبدو لي أن السبب في قلب الواو ياءً هو وقوعها ساكنة بعد فتحة، وقد تلتها التاء، وهي زائدة على الفعل قد أثقلته، فكان لا بد من التخفيف عن طريق قلب الواو، فإن قلبت ألفاً سيتكون مقطع مديد غير مرغوب فيه وليس هذا موضعه، فلم يكن سوى قلبها ياءً.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[٤]، فالأصل في (أعطيناك) هو (أعطوناك) لأنه من الفعل أعطى الذي مضارعه يُعْطِو.

٧ – إذا وقعت الواو ساكنةً غير مشددة وقبلها كسرة نحو: مِيزان، ومِيعاد، ومِيقات، أصلها: مِوْزان، ومِوْعاد، ومِوْقات، لأنها من الوزن والوعد والوقت[٥].

حيث وقعت الواو ساكنةً وقبلها كسرة مما أحدث تنافرًا، لذا قلبت الواو ياءً لمناسبة الكسرة قبلها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾[٦]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[٧]، وقوله: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾[٨].

وتجدر الإشارة إلى أن الواو تبقى على حالها ولا تقلب إذا ضُم ما قبلها، وذلك كما في تصغير الكلمات السابقة، فإننا نقول: مُوَيزين، ومُوَيعيد، ومُوَيقيت[٩]، والسبب في عدم قلبها ياءً – في نظري – يرجع إلى أنه قد انتفى عدم انسجامها مع الكسرة التي أصبحت في هذه الكلمات ضمة، والتي تتناسب مع الواو وتنسجم معها، كما أن الواو لم تعد ساكنة، بل أصبحت مفتوحة مما يجعلها أقوى وأثبت.

---

[١] - التصريف الملوكي: ابن جني، ٦٣ ، ونزهة الطرف في علم الصرف: الميداني، ٣٥ ، والتتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١١١
[٢] - سورة الكهف: الآية،٣١
[٣] - الكتاب: سيبويه، ٣٩٣/٤ ، والتصريف الملوكي: ابن جني، ٤٨ ، ونزهة الطرف في علم الصرف: الميداني، ٣٥ والتتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١٠٨
[٤] - سورة الكوثر: الآية، ١
[٥] - التصريف الملوكي: ابن جني، ٣٠ ، والوجيز في التصريف: ابن الأنباري، ٤٧ ، ونزهة الطرف في علم الصرف: الميداني، ٣٤ والتتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١٠٩
[٦] - سورة الرحمن: الآية، ٧
[٧] - سورة الرعد: الآية، ٣١
[٨] - سورة النبأ: الآية، ١٧
[٩] - شرح المفصل: ابن يعيش، ١٢٢/٥

٨ – إذا وقعت الواو لامًا لصفة على وزن "فُعْلَى"، نحو: دنيا وعليا أصلها دنوى وعلوى[١]. ويبدو لي أن سبب القلب هنا هو وقوع الواو بعد ضمة لا يفصل بينهما سوى صامت ساكن، فأحدث ذلك ثقلاً مستكرهًا تم تخفيفه عن طريق قلب الواو ياءً، فقلَّ الجهد العضلي وزاد الانسجام الصوتيّ.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[٢].

٩ – إذا اجتمعت الواو مع الياء في كلمة واحدة لا يفصل بينهما فاصل، وكان السابق منهما أصيلاً ساكنًا، نحو: سَيِّد، ومَيِّت أصلهما سَيْوِد، ومَيْوِت[٣]، وكذلك الحال في جَيِّد، وهَيِّن، وحَيِّز، أصلها جَيْوِد، وهَيْوِن، وحَيْوِز[٤].

فقد سُبقت الواو المكسورة بالياء الساكنة، مما أحدث تنافرًا وجهدًا عضليًّا كبيرًا؛ لأن اللسان كان مرتفعًا نحو الغار في أثناء النطق بالياء، ثم تم الانتقال إلى مقدمة الفم في أثناء النطق بالواو، ثم الكسرة ليرتفع معها مقدم اللسان إلى أقصى درجة، والتي لا تتناسب مع الواو، لذا قلبت الواو ياءً لتتناسب مع الياء السابقة لها ومع الكسرة اللاحقة بها، فاجتمع صوتان متماثلان أولهما ساكن، فأدغما في بعضهما البعض لتتحقق الخفة والانسجام الصوتيّ.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾[٥]، وقوله: ﴿كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾[٦].

وإذا سبقت الواو الساكنة الياء، فإنها تقلب ياءً، وذلك كما في طيّ وليّ، أصلها طَوْي، ولَوْي[٧]، فقد اجتمعت الواو والياء، وفي اجتماعهما ثقل مستكره، لذا قلبت الواو ياءً، ثم أدغمت في الياء ليزداد الانسجام ويقل الجهد العضليّ.

ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾[٨]، نلاحظ أن الواو في (نطوي) بقيت على حالها ولم تقلب ياء؛ وذلك لأنها قد تحركت ولم تعد ساكنة، فالواو عندما تتحرك لا تقلب، ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[٩].

---

[١] - الكتاب: سيبويه، ٣٨٩/٤ ، ونزهة الطرف في علم الصرف: الميداني، ٣٦ ، والتتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١٠٩
[٢] - سورة آل عمران: الآية، ١٨٥
[٣] - نزهة الطرف في علم الصرف: الميداني، ٣٤ ، والتتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١٠٧
[٤] - التصريف الملوكي: ابن جني، ٦٢
[٥] - سورة الأنعام: الآية، ٩٥
[٦] - سورة مريم: الآية، ٢١
[٧] - التصريف الملوكي: ابن جني، ٦٢ ، ونزهة الطرف في علم الصرف: الميداني، ٣٤ ، والتتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١٠٦
[٨] - سورة الأنبياء: الآية، ١٠٤
[٩] - سورة الزمر: الآية، ٦٧

١٠ – إذا وقعت الواو لامًا لجمع تكسير على وزن "فُعُول"، نحو: عصا تجمع على عِصِيّ، ودلو على دِلِيّ، الأصل فيها عُصُوو، ودُلُوو[١]، فقد اجتمعت واوان، وفي اجتماعهما ثقل، ومما زاد الثقل أنهما مسبوقتان بضمتين، فكأنما اللسان قد عاد إلى الموضع نفسه أربع مرات في كلمة واحدة، وفي ذلك جهد عضليّ كبير، وثقل ينفر منه العربيّ، لذلك قلبت الواو الثانية ياءً لتطرفها فأصبحت: عُصُوي ودُلُوي، فاجتمعت الواو والياء، وفي ذلك ثقل أيضًا فقلبت الواو ياءً لمناسبة الياء، فاجتمعت ياءان فأدغمتا، وليزداد الانسجام أكثر فقد قلبت الضمة قبلهما كسرة؛ لتتناسب وتنسجم معهما، ويجوز كسر الأول ليزداد الانسجام أكثر ويجوز أن يبقى مضمومًا إلا أن الكسر أفضل[٢].

ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾[٣].

١١ – إذا وقعت الواو ثالثة ساكنة في المفرد، نحو: عجوز وعمود، فإنها تقلب ياءً عند تصغيرها، نحو: عُجَيِّز، وعُمَيِّد[٤]، الأصل عُجَيْوِز، وعُمَيْوِد، فقد كسرت الواو بعد ياء ساكنة مما أحدث ثقلاً، فقلبت الواو ياءً وأدغمت في الياء السابقة لها.

أما إذا لم تكن الواو ساكنة فإنه يجوز قلبها ياءً ويجوز إبقاؤها على حالها، كما في جدوَل، وأسوَد، وعروَة، عند تصغيرها نقول: جُدَيِّل وجُدَيْوِل، وأُسَيِّد وأُسَيْوِد، وعُرَيَّة وعُرَيْوَة، إلا أنه يفضل فيها القلب والإدغام على الإبقاء[٥].

سابعًا: قلب الياء واوًا

يقع هذا القلب في المواضع الآتية:

١ – إذا وقعت الياء ساكنةً غير مشددة بعد ضمة في لفظ غير دال على الجمع، نحو: يُوقن، ومُوقن، ويُوسر، ومُوسر[٦]، الأصل فيها يُيْقن، ومُيْقن، ويُيْسر، ومُيْسر.

يرى القدماء أن الياء الساكنة قد وقعت بعد ضم، مما سبب تنافرًا، فقلبت الياء واوًا لمناسبة الضمة قبلها[٧]، ويوافقهم المحدثون في هذا الرأي، حيث يقول د. داود عبده: " تنقلب الياء واوًا إذا وردت ساكنة مسبوقة بضمة، وذلك مماثلة للضمة: (مُيْقن) ← (موقن) "[٨].

---

[١] - نزهة الطرف في علم الصرف: الميداني، ٣٤ ، والتتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١٠٨
[٢] - انظر النحو الوافي: الأستاذ عباس حسن، ٧٨١/٤
[٣] - سورة طه: الآية، ٦٦
[٤] - نزهة الطرف في علم الصرف: الميداني، ٤٥ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ١٢٤/٥
[٥] - السابق: الصفحات نفسها
[٦] - الوجيز في علم التصريف: ابن الأنباري، ٤٩ ، ونزهة الطرف في علم الصرف: الميداني، ٣٦ ، ونزهة الطرف في علم الصرف: ابن هشام، ١٤٢، وشرح المفصل: ابن يعيش، ٣٠/١٠، والتتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١١٤
[٧] - الوجيز في علم التصريف: ابن الأنباري، ٤٩ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ٣٠/١٠
[٨] - أبحاث في اللغة العربية: ١٦

ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[1].

٢ – إذا وقعت الياء لامًا لفعل وقبلها ضمة، فإنها تقلب واوًا، نحو: نَهُوَ، وقَضُوَ، ورَمُوَ، الأصل فيها: نَهُيَ، وقَضُيَ، ورَمُيَ[2].

ويبدو أن سبب القلب هنا هو الضمة التي تسبق الياء، الذي أحدث اجتماعهما تنافرًا لعدم انسجامهما مع بعضهما البعض، فقلبت الياء واوًا لتتناسب مع الضمة وتنسجم معها.

٣ – إذا وقعت الياء لامًا لاسم على وزن "فَعْلى"، نحو: تقوى وشروى وفتوى، الأصل فيها: تقيا وشريا وفتيا[3].

وفي نظري أن القلب هنا عائد إلى اجتماع الياء بالألف، فالياء صوت غاري يخرج من مؤخرة الفم تقريباً، والألف من الصوائت المركزية التي يرتفع معها وسط اللسان في أثناء النطق بها، فأحدث التقارب بين الألف والياء ثقلاً مستكرهاً، لذا قلبت الياء واواً.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾[4].

٤ – إذا وقعت الياء عيناً لاسم على وزن "فُعْلى"، نحو: طُوبى، أصلها طُيْبى[5]، حيث وقعت الياء الساكنة بعد ضم، وفي ذلك ثقل ناتج عن تنافرهما، تم التخلص منه عن طريق قلب الياء واوًا لتتناسب مع الضمة قبلها، وعليه قوله تعالى: ﴿ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[6].

أما إذا وقعت الياء عيناً لصفة محضة على وزن "فُعْلى" فإنها لا تقلب واوًا، بل تقلب الضمة قبلها كسرةً لمناسبة الياء، نحو: ضِيزى، الأصل فيها ضُيْزى[7]، قلبت الضمة كسرة لمناسبة الياء ثم دمجت بها.

وعليه قوله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾[8].

٥ – عند النسب إلى الاسم المختوم بالياء المشددة قبلها صامت واحد، فإن الياء الثانية تقلب واوًا، نحو: حيّ > حيويّ، وطيّ > طوويّ، وإذا كانت الياء المشددة قبلها صامتان فإن

---

[1] ـ سورة الأنعام: الآية، ٧٥

[2] ـ نزهة الطرف في علم الصرف: ابن هشام، ١٤٢ ، وانظر شذا العرف في فن الصرف: الحملاوي، ١٦١

[3] ـ نزهة الطرف في علم الصرف: الميداني، ٣٦ ، ونزهة الطرف في علم الصرف: ابن هشام، ١٤٢ والتتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١١٤

[4] ـ سورة البقرة: الآية، ١٩٧

[5] ـ نزهة الطرف في علم الصرف: ابن هشام، ١٤٣ ، وانظر شذا العرف في فن الصرف: الحملاوي، ١٦١

[6] ـ سورة الرعد: الآية، ٢٩

[7] ـ شذا العرف في فن الصرف: الحملاوي، ١٦٢

[8] ـ سورة النجم: الآية، ٢٢

الثانية تحذف وتقلب الأولى واوًا، نحو: نبيّ > نبويّ، وإن كانت الياء بعد صامتين ولكنها ليست مشددة فإنها أيضًا تقلب واوًا، نحو: قرية > قرويّ، أما إذا كانت الياء رابعة فأكثر فإنه يجوز أن تقلب واوًا أو تحذف، نحو قاضي > قاضويّ أو قاضيّ[1].

* * *

من عرضنا السابق لمبحث الإعلال بالقلب يمكن تسجيل الملاحظات الآتية:

١ – المادة المجموعة حول هذا المبحث كانت كبيرة، مما يدل على أن الإعلال بالقلب من أهم المباحث الصرفية التي تتحقق فيها نظرية العدول عن الأصل، بحثًا عن التخفيف والانسجام الصوتي، فأصوات العلة ملحقة بها الهمزة، إذا وجدت في صيغة صرفية ضمن منظومة معينة، فإنها عرضة لأن تكون مستثقلة تحتاج في أثناء النطق بها إلى المزيد من الجهد العضلي؛ لذلك يطرأ عليها تعديلات ليزول الثقل وتصبح أصواتها متناغمةً منسجمةً مع بعضها البعض.

بيد أن هذا الأمر لا يتم إلا بشروط معينة وقواعد مقننة لا يستطيع أحد تجاوزها، فإذا ما أدى التعديل في الصيغة الصرفية إلى تشويه الكلمة، أو إبعادها عن أصلها، أو أدى إلى ثقل أكبر مما كانت عليه، أو إلى الوقوع في اللبس، أو إلى حرمان الكلمة من صيغة تحمل مقولة صرفية معينة، فإنه لا يحدث على هذه الصيغة أي تعديل وتبقى كما هي[2].

٢ – للصوائت القصيرة دورٌ كبيرٌ في قلب أصوات العلة بعضها من بعض، فإذا لم يكن هناك تجانس بين الصوائت وأصوات العلة، كأن تجتمع الكسرة مع الواو كما في مِوْزان، أو تجتمع الضمة مع الياء كما في مُيْقن، أو تجتمع الكسرة مع الألف كما في تصغير غلام، أو تجتمع الضمة مع الألف كما في تصغير شاعر، أو تجتمع الفتحة مع الواو أو الياء كما في قول وبيع، فإن ذلك يؤدي إلى حدوث ثقل مستكره، يمكن الاستغناء عنه بقلب صوت العلة إلى آخر يجانس الصائت القصير قبله، فتصبح الكلمات السابقة مثلاً: مِيزان، ومُوقن، وغُلَيِّم، وشُويعر، وقال، وباع، وغيرها الكثير من الكلمات التي حدث فيها قلب لصوت العلة إلى آخر؛ ليجانس الصائت القصير قبله ويتلاءم معه.

٣ – الأمثلة التي تحقق فيها قلب الواو ياءً كانت أضعاف الأمثلة التي قلبت فيها الياء واوًا، مما يؤكد على أن الياء أخف من الواو، لذلك تلجأ العربية كلما سنحت لها الفرصة إلى قلب الواو ياءً، طلبًا للخفة وتحقيقًا للانسجام الصوتيّ.

---

[1] - انظر شرح المفصل: ابن يعيش، ١٥٠/٥- ١٥٤

[2] - انظر المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها: محمد الأنطاكي، ١٠٨/١

٤ – ليس دائمًا التقارب بين الصوائت يؤدي إلى تقليل الجهد العضليّ، فمن المحتمل أن يؤدي إلى ثقل مستكره تنفر منه العربية، لاجئةً إلى المخالفة أو التباعد بين الصوائت.

٥ – لقد كان القدماء – في أغلب الأحيان – على صواب في عرضهم لمبحث الإعلال بالقلب، وفي تفسيرهم لكثير من قضاياه، مما يدل على فطنتهم ووعيهم بالمسائل الصرفية، إلا أنهم في بعض الأحيان كانوا يثقلون الأمر بفلسفات وتأويلات لا طائل لها، مثل تفسيرهم للتغييرات الحادثة على خطايا، ودنايا، وقضايا، ومزايا، وهراوى، وقد قدمت تفسيراً آخر مفاده أن تلك الكلمات لم تجمع على وزن "فعايل" أو "فعائل"، وإنما جمعت على وزن "فعايا"، وأن هراوى جمعت على وزن "فعالى" وليس "فعايل"، فأرجو من العلي القدير أن أكون قد أصبت فيما ذهبت إليه.

المبحث الثاني
الإعلال بالنقل

- ❖ أولاً: مضارع الفعل الأجوف المتحرك العين
- ❖ ثانيًا: مصدر الفعل الأجوف المتحرك العين
- ❖ ثالثًا: اسم المفعول من الفعل الثلاثي الأجوف المتحرك العين
- ❖ رابعًا: الاسم المشابه للفعل الأجوف المضارع المتحرك العين

يقصد بالإعلال بالنقل هو نقل الصائت القصير من أنصاف الصوامت (الواو والياء) إلى الصامت الصحيح الساكن قبلها، وهذا لا يحدث مع الألف لأنها لا تتحرك مطلقًا[1].

وذلك كما في يقُول ويبِيع أصلهما يقْوُل ويبْيِع، نقلت ضمة الواو وكسرة الياء إلى الصحيح الساكن قبلهما، ثم دمجت الضمة في الواو لتصبح صائتًا طويلاً هو الواو، ودمجت الكسرة في الياء لتصبح صائتًا طويلاً هو الياء.

نلاحظ أن الهدف من هذا النقل هو التخلص من الثقل، وهذا ما عهدناه في اللغة العربية، كلما وجدت ثقلاً في صيغة صرفية عملت على التخلص منه؛ تقليلاً للجهد العضلي، وجنوحًا نحو السهولة واليسر في الصيغ الصرفية، وتحقيقًا للانسجام الصوتي بين صوامت الكلمة وصوائتها.

والإعلال بالنقل له قوانينه التي تحكمه وقواعده التي تضبطه، فليس كل موضع وجدت فيه الواو والياء يتم فيه نقل الصائت القصير الذي يليهما إلى الصامت الصحيح قبلهما، ويمكن تحديد الإعلال بالنقل في المواضع الآتية:

أولاً: مضارع الفعل الأجوف المتحرك العين

نحو: يَقُول ويَبِيع، الأصل فيهما يَقْوُل مثل (ينصُر)، ويَبْيِع مثل (يضرِب)، ثم نقلت ضمة الواو وكسرة الياء إلى الصحيح الساكن قبلهما[2]، ثم دمجتا في الواو والياء.

أما في (يخاف) الأصل فيها يخْوَف، نقلت فتحة الواو إلى الصحيح الساكن قبلها، ثم قلبت الواو ألفًا لسكونها وانفتاح ما قبلها، أي أنه قد حدث عليها إعلال بالنقل، ثم إعلال بالقلب، ومثله ينام ويزال ويكاد ويحار[3]...

نلاحظ أن الواو والياء قد بقيتا على حالهما بعد نقل الضمة والكسرة بعدهما إلى الصحيح الساكن قبلهما في (يقول) و(يبيع)، وأن الواو قد انقلبت ألفًا بعد نقل الفتحة بعدها إلى الصحيح الساكن قبلها في (يخاف)، فما الضابط الذي تخضع له الواو والياء فتبقيان على صورتهما أو تقلبان ألفًا ؟

إن الضابط هو الصائت الأصلي للواو والياء، فإن كان هذا الصائت الذي تم نقله إلى الصحيح الساكن قبلهما مجانسًا لهما، أي إن كان ضمة مع الواو وكسرة مع الياء، فإنهما

---

[1] ـ انظر النحو الوافي: الأستاذ عباس حسن، ٧٩٤/٤ ، والتطبيق الصرفي: د. عبده الراجحي، ١٨١

[2] ـ التصريف الملوكي: ابن جني، ٦٠، والوجيز في علم التصريف: ابن الأنباري، ٥٩، ونزهة الطرف في علم الصرف: الميداني،٣٧،
والتتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١٨٧

[3] ـ انظر النحو الوافي: الأستاذ عباس حسن، ٧٩٤/٤ ، هذه الأفعال يضعها الأستاذ الطيب البكوش في مجموعة مستقلة بها سماها "الأجوف المشترك"، لأنها تختص بصفات تجعلها بين الأجوف الواوي والأجوف اليائي، انظر التصريف العربي: ١٤٧ وما بعدها

تبقيان بعد نقل الضمة والكسرة بعدهما إلى الصحيح الساكن قبلهما، أما إذا كانت الواو والياء متلوتين بفتحة، فإنه بعد نقل الفتحة إلى الصحيح الساكن قبلهما وجب قلبهما ألفًا لتتناسب مع الفتحة، وذلك كما في أقْوَم وأبيَن، تنقل فتحة الواو والياء إلى الصحيح الساكن قبلهما، ثم تقلبان ألفًا لمناسبة الفتحة قبلهما فنقول: أقَام، وأبَان[1].

ولكن هل كل واو أو ياء متلوتين بصائت قصير ويسبقهما صحيح ساكن يمكن أن يحدث لهما إعلال بالنقل ؟

بالطبع لا، لا بدَّ من وجود ضوابط وشروط لهذا الأمر، حيث يشترط لإجراء هذا النقل أن يكون الساكن قبل الواو والياء صحيحًا، وأن يكون الفعل غير مضعَّف اللام، ولا معتلها، ولا مصوغًا للتعجب على وزن ما أفعل وأفْعِلْ به، فلا يقع الإعلال بالنقل في مثل (قاوَم، وبايَع)؛ لأن ما قبل الواو والياء غير صحيح، ولا في مثل (ابيضَّ واسودَّ)؛ لتضعيف اللام، ولا في مثل (أهوى وأحيا) لاعتلال اللام، ولا في مثل: ما أقومه وما أبينه، وأقْوِم به وأبْين به؛ لأن الفعل مصوغٌ للتعجب[2].

ويمكن التمثيل على هذه الأفعال – التي حدث فيها إعلال بالنقل – بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ﴾[3]، وقوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾[4]، وقوله: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾[5].

ثانيًا: مصدر الفعل الأجوف المتحرك العين

وذلك بشرط أن يكون الفعل الأجوف على وزن "أَفْعَلَ" أو "اسْتَفْعَلَ"، نحو: أقام واستقام، أصلهما أقْوَم، واسْتَقْوَم، وبالتالي يكون مصدرهما: إقوام واستقوام، تنقل فتحة الواو إلى الصحيح الساكن قبلهما ثم تقلب ألفًا لانفتاح ما قبلها، فيجتمع ألفان يتعذر النطق بهما، لذا تحذف الألف الثانية منهما، ويمكن التعويض عن الألف المحذوفة بتاء التأنيث فتصبح إقامة، واستقامة[6].

ومثل هذا يقال في أبان واستبان، فإن أصلهما أبْيَن، واسْتَبْيَن، وبالتالي يكون مصدرهما إبْيان، واسْتِبْيان، تنقل فتحة الياء إلى الصحيح الساكن قبلها، ثم تقلب ألفًا لانفتاح ما قبلها،

[1] - النحو الوافي: الأستاذ عباس حسن، ٧٩٥/٤
[2] - انظر السابق: ٧٩٦/٤ ، والمحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها: محمد الأنطاكي، ١٠٧/١
[3] - سورة الأحزاب: الآية، ٤
[4] - سورة الكهف: الآية، ٧٩
[5] - سورة الحج: الآية، ٣٧
[6] - الوجيز في علم التصريف: ابن الأنباري، ٦٠

فيلتقي ألفان، فتحذف الثانية منهما، وتزاد تاء التأنيث عوضاً عنها، فنقول: إبانة، واستبانة[1].

ويجوز حذف التاء من المصدر عند الإضافة ويجوز إثباتها، فعلى الحذف جاء قوله تعالى: ﴿وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾[2]، وعلى الإثبات جاء قوله تعالى: ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾[3].

وهناك بعض الأفعال الجوفاء على وزن "استفعل" قد بقيت على الأصل ولم تنقل فتحة الواو أو الياء إلى الصحيح الساكن الذي قبلها، نحو استنْوَق الجمل، واستتْيَست الشاة، واستروَح، واستصوَب، واستحوَذ، وردت على الأصل على خلاف القياس[4]، ومنه قوله تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾[5].

ثالثًا: اسم المفعول من الفعل الثلاثي الأجوف المتحرك العين

عندما نصوغ اسم المفعول من قال وباع، نحصل على مقْوُول، ومبْيُوع، تنقل ضمة الواو والياء إلى الصحيح الساكن قبلهما فتصبح: مَقُوول ومَبُيوع، ثم يتم حذف واو اسم المفعول لثقلها، فتصبح مقُول ومبُيع، ثم تقلب الضمة في مبُيع كسرة لتناسب الياء ثم تدمج الضمة في الواو والكسرة في الياء لتصبح مد بالواو ومد بالياء[6]، ومنه قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾[7]، وقوله: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[8].

رابعًا: الاسم المشابه للفعل الأجوف المضارع المتحرك العين

وقد يشابهه من النواحي الآتية:

أ – وزنًا فقط، على أن يكون فيه زيادة يمتاز بها عن الفعل كالميم في **مَفْعَل**، نحو: مقام، الأصل مَقْوَم، على وزن المضارع يعلم، نقلت فتحة الواو إلى الصحيح الساكن قبلها، ثم قلبت ألفًا[9]، كقوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾[10].

وفي مَقِيل ومَبِيت ومَسِيل، الأصل فيها: مَقْيِل، ومَبْيِت، ومَسْيِل[11]، على وزن **مَفْعِل**،

---

[1] - الوجيز في علم التصريف: ابن الأنباري، ٦٠
[2] - سورة النور: الآية، ٣٧
[3] - سورة النحل: الآية، ٨٠
[4] - الكتاب: سيبويه، ٣٤٦/٤ ، والمنصف: ابن جني، ٢٧٧/١ ، والوجيز في علم التصريف: ابن الأنباري، ٦١
[5] - سورة المجادلة: الآية، ١٩
[6] - الكتاب: سيبويه، ٣٤٨/٤ ، ونزهة الطرف في علم الصرف: الميداني، ٣٧ ، والتتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١٨٩ - ١٩٠
[7] - سورة الذاريات: الآية، ٥٤
[8] - سورة ق: الآية، ٣٥
[9] - شذا العرف في فن الصرف: الحملاوي، ١٦٧ ، والنحو الوافي: الأستاذ عباس حسن، ٧٩٧/٤
[10] - سورة البقرة: الآية، ١٢٥
[11] - التتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١٨٨

انتقلت كسرة الياء إلى الصحيح الساكن قبلها، ثم دمجت فيها، كقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾[1].

وفي مُقِيم ومُبِين، أصلهما مُقْيِم ومُبْيِن[2]، على وزن **مُفْعِل**، انتقلت كسرة الياء إلى الصحيح الساكن قبلها، ثم دمجت فيها، كقوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ﴾[3].

وفي مَشُورة ومَعِيشة الأصل فيهما مَشْوُرة، ومعْيِشة[4]على وزن **مَفْعُلة**، و**مَفْعِلة**، نقلت ضمة الواو وكسرة الياء إلى الصحيح الساكن قبلهما، ثم دمجت في الواو والياء، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾[5].

ب – أن يشابه الاسمُ الفعلَ المضارعَ زيادةً لا وزنًا، على أن يكون فيه ما يميزه عن الفعل، وذلك عند بناء صيغة من البيع أو القول على مثال تِحْلِئ، وهذه صيغة خاصة بالاسم، فيقال فيها: تِبْيِع، وتِقْوِل، تنقل كسرة الياء والواو إلى الصحيح الساكن قبلهما، فتصبح: تِبِيع، وتِقِول، ثم تقلب الواو ياء في تِقِول لمناسبة الكسرة قبلها فتصبح تِقِيل[6].

ج – إذا شابه الاسمُ الفعلَ المضارعَ في الأمرين أو اختلفا في الأمرين، فإنه وجب التصحيح، ومثال الأول: أَقْوَم، وأَبْيَن، فهما يشابهان الفعل المضارع أَعْلَم وأَفْهَم في وزنه وزيادته، فوجب التصحيح، ومثال الثاني: مِخْيَط، فقد خالف الفعل المضارع؛ لأن الفعل المضارع لا يكون مكسور الأول ولا مبدوءاً بميم زائدة، لذا وجب التصحيح، ومثله ما كان على وزن مِفْعال، نحو: مِخْياط[7].

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[8]، فلم تنقل فتحة الواو في (أقوم) إلى الصحيح الساكن قبلها؛ لأنه اسم تفضيل شابه الفعل المضارع وزنًا وزيادةً.

* * *

وبعد، فإنَّ كل ما تم تقديمه في مبحث الإعلال بالنقل يفسره د. حسام النعيمي تفسيرًا صوتيًّا آخر، فهو يرى أن تلك الأمثلة قد تشكَّل فيها مزدوج صاعد، وفي ذلك ثقل يمكن

---

[1] - سورة إبراهيم: الآية، ٢١
[2] - شذا العرف في فن الصرف: الحملاوي، ١٦٧ ، والنحو الوافي: الأستاذ عباس حسن، ٧٩٧/٤
[3] - سورة إبراهيم: الآية، ٤٠
[4] - نزهة الطرف في علم الصرف: الميداني، ٣٧ ، والتتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١٨٧
[5] - سورة طه: الآية، ١٢٤
[6] - المنصف: ابن جني، ٣٢٢/١ ، وانظر شذا العرف في فن الصرف: الحملاوي، ١٦٧ ، والنحو الوافي: الأستاذ عباس حسن، ٧٩٧/٤
[7] - النحو الوافي: الأستاذ عباس حسن، ٧٩٧/٤ ـ ٧٩٨
[8] - سورة الإسراء: الآية، ٩

التخلص منه عن طريق حذف الواو أو الياء، وإطالة الصائت القصير الذي كان يشكِّل قمة المقطع، فمثلاً في (يَقْوُل، ويَخْوَف، ويَبْيع) حذفت منها الواو والياء ثم أطيلت الضمة في الأول فأصبحت يقُول، وأطيلت الفتحة في الثاني فأصبحت يخَاف، وأطيلت الكسرة في الثالث فأصبحت يبِيع[1].

على أية حال سواء أكان الأمر إعلالاً بالنقل أم كان حذفًا للواو والياء مع إطالة صائتيهما، فإن تلك الصيغ قد حدث فيها ثقل ما، وكان لابد من إحداث تغيير فيها حتى نحصل على صيغة صرفية خفيفة مستساغة، منسجمة في صوامتها، متآلفة في صوائتها.

[1] - انظر أبحاث في أصوات العربية: ٥٦ - ٥٨

المبحث الثالث
الإعلال بالحذف

- ❖ أولاً : حذف الهمزة
- ❖ ثانيًا : حذف فاء الفعل المثال
- ❖ ثالثًا : الحذف من الفعل الأجوف
- ❖ رابعًا : حذف لام الفعل الناقص
- ❖ خامسًا : حذف فاء الفعل اللفيف المفروق ولامه
- ❖ سادسًا : حذف لام الاسم المنقوص
- ❖ سابعًا : حذف لام الاسم المقصور
- ❖ ثامنًا : حذف لام بعض الأسماء
- ❖ تاسعًا : حذف ياء الاسم المنسوب إليه

يقصد بالإعلال بالحذف هو حذف أصوات العلة (الألف والواو والياء) ملحقًا بها الهمزة، وهذا الحذف يكون ناتجًا عن وجودها ضمن منظومة معينة تسبب الثقل والجهد العضليّ في أثناء النطق بها، لذلك تحذف حتى يتم التخلص من هذا الثقل، ويتحقق الانسجام الصوتيّ بين صوامت الصيغة الصرفية وصوائتها.

فمثلاً الفعل المعتل الأول بالواو عند الإتيان بالفعل المضارع منه أو الأمر أو المصدر فإن واوه تحذف، نحو: وعد – يعد – عد – عدة، الأصل فيها: يَوْعِد – اوْعِد – وعدة، تم حذف الواو لوجود الثقل في أثناء النطق بها، وصولاً إلى التخفيف الذي يحقق الانسجام الصوتيّ لهذه الكلمات.

ولكن ليس كل موضع تكون فيها أصوات العلة والهمزة يتم حذفها، بل هناك مواضع معينة محكومة بقواعد وبشروط لا يمكن تجاوزها، ويمكن تحديد الإعلال بالحذف في المواضع الآتية:

أولاً: حذف الهمزة

تحذف الهمزة في المواضع الآتية:

أ – من الفعل المضارع الذي على وزن "أفعل"، نحو: أَكْرَمَ مضارعه أُكْرِمُ، الأصل فيه أُؤَكْرِمُ، حذفت الهمزة الثانية حتى لا يجتمع فيه همزتان[1]، وكان حذف الهمزة الثانية أَولى؛ لأن الأولى دخلت لمعنى، والثانية لم تدخل لمعنى، فلهذا كان حذف الثانية، ثم حذفت الهمزة من نكرم، ويكرم، وتكرم، حملاً على أُكرم، لئلا تختلف تصاريف الكلمة[2]، فيجري الباب على وتيرة واحدة.

معنى ذلك أن حذف الهمزة هنا كان لتوالي الأمثال، حيث كره العرب توالي همزتين، فالهمزة وحدها فيها ثقل، ونطقها يحتاج إلى جهد عضلي؛ لأن الهواء ينحبس خلف الوترين الصوتيين، ثم يخرج فجأة، ففي هذا الانحباس جهد على الوترين الصوتيين، فما بالكم بهمزة أخرى تتبعها لا يفصل بينهما سوى صائت قصير هو الضمة ؟

فهذا التتابع المستثقل أدى إلى حذف الهمزة الثانية، ولم تحذف الأولى لأنها جاءت لتفيد معنى المضارعة، ثم حذفت الهمزة مع بقية الصوامت الدالة على المضارعة (الياء، والتاء، والنون) رغم أنه قد انتفى توالي المثلين، إلا أن حذف الهمزة مع بقية صوامت المضارعـــة

[1] - التصريف الملوكي: ابن جني، ٤٤ ، الوجيز في علم التصريف: ابن الأنباري، ٣٧ ، نزهة الطرف في علم الصرف: الميداني، ٢٧، يمكن الرجوع إلى كتاب أبحاث في اللغة العربية: د. داود عبده، ١٨- ٢٠ فقد أثبت أن مضارع "أَفْعَل" هو "يُؤَفْعِل" وليس "يُفعل" ردًّا على من ادعى أن الهمزة الثانية غير موجودة أصلاً في صيغة الفعل المضارع.

[2] - الوجيز في علم التصريف: ابن الأنباري، ٣٧

كان قياسًا على المضارع المبدوء بالهمزة.

وكذلك في اسم الفاعل واسم المفعول من "أفعل"، فإن الهمزة تحذف، نحو مُكرِم ومُكرَم، الأصل: مُؤكرِم ومُؤكرَم[١]، حذفت الهمزة حملاً على المضارع من الفعل "أفعل" المبدوء بالهمزة.

وفي نظري أن الهمزة لو بقيت مع النون والتاء والياء في المضارع ومع اسم الفاعل واسم المفعول فإن ذلك يحدث ثقلاً أيضًا، وليس الحذف مجرد اطراد الباب على وتيرة واحدة كما يقول القدماء، وإنما الحذف للثقل، ونلاحظ هذا الثقل من مجيء الهمزة المفتوحة تسبقها ضمة، فالضمة صائت خلفي ترتفع مؤخرة اللسان عند النطق به وتستدير الشفتان معه، بينما الهمزة صوت حنجري، تليها الفتحة وهي من الصوائت الأمامية التي ترتفع معها مقدمة اللسان في أثناء النطق بها، فمن الصعب على اللسان أن ينتقل من أقصى الخلف إلى أقصى الأمام، لذا حذفت الهمزة.

كما أنه بحذف الهمزة مع صائتها فإن عدد المقاطع للكلمة سوف يقل، ويتحول من أربعة مقاطع إلى ثلاثة، وهذا ما تسعى إليه اللغة العربية دومًا: تقليل الجهد العضليّ، والسعي وراء الخفة والانسجام ما لم يحدث لبس في الصيغة الصرفية، ولتوضيح التغيير المقطعيّ الحادث في تلك الكلمات، يمكن بيان ذلك من خلال كلمة (أُكرم) كما يأتي:
أُؤَكْرِمُ = أ ــُ/ أ ــَ ك/ ر ــِ/ م ــُ ← أُكْرِمُ = أ ــُ ك/ ر ــِ/ م ــُ

ويمكن التمثيل لهذه الظاهرة من القرآن الكريم بقوله عز وجل: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾[٢]، الأصل في تكرمون هو تؤكرمون، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾[٣]، الأصل في مكرم هو مؤكرم، وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[٤]، الأصل في يحسنون هو يؤحسنون، وقوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾[٥]، الأصل في يرسل هو يؤرسل.

وقد يضطر بعض الشعراء إلى استخدام الأصل فيبقون الهمزة على حالها، كقول ليلى الأخيلية[٦]:

تَدَلَّتْ عَلَى حُصٍّ ظِمَاءٍ كَأَنَّهَا كُرَاتُ غُلامٍ فِي كِسَاءٍ مُؤَرْنَبِ

---

[١] - التطور اللغويّ: د. رمضان عبد التواب، ٧١
[٢] - سورة الفجر: الآية، ١٧
[٣] - سورة الحج: الآية، ١٨
[٤] - سورة الكهف: الآية، ١٠٤
[٥] - سورة الأعراف: الآية، ٥٧
[٦] - ديوان ليلى الأخيلية: ٢٧، وذكر فيه مُرَنَّب بدلاً من مؤرنب، وانظر المنصف: ابن جني، ١٩٢/١

ذكرت مؤرنب على الأصل، والقياس هو مرنب

وقال آخر[١]:

وَصَالِيَاتٍ كَكَمَا يُؤَثْفَيْنْ

ذكر يؤثفين على الأصل والقياس يثفين

وقال الراجز[٢]:

فَإِنَّهُ أَهْلٌ لأَنْ يُؤَكْرَمَا

القياس في يُؤَكْرَم هو يُكْرَم، كل ذلك من قبيل الضرورة الشعرية ولا يقاس عليه.

ب – تحذف الهمزة من فعل الأمر المهموز الفاء، ويحدث ذلك في ثلاثة أفعال مهموزة الفاء دون غيرها، وهي: أخذ، وأكل، وأمر، فإن الأمر منها هو: خذ، وكل، ومر، والأصل أن يكون: أُؤْخذ، وأُؤْكل، وأُؤْمر[٣]، حذفت الهمزة الثانية للاستثقال وكثرة الاستعمال، ثم استغني عن همزة الوصل لعدم الحاجة إليها؛ فبداية تلك الأفعال لم تعد ساكنة[٤].

وحذف الهمزة من (أخذ وأكل) في الأمر واجب سواء أكان هذان الفعلان في بداية الجملة أم كانا في درج الكلام، أما فعل الأمر من (أمر) فإن همزته تحذف في بداية الجملة وتبقى في درج الكلام[٥].

ومن الأمثلة القرآنية لهذه الأفعال قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾[٦]، ففي هذه الآية الكريمة جاء الأمر من أخذ وأكل محذوف الهمزة، أما قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[٧]، فنجد أن الهمزة لم تحذف من الفعل (وأمر) لأنها جاءت في درج الكلام.

ويعلل أحد المحدثين سبب بقاء همزة (مر) في الآية الكريمة بقوله: " فالفعل (وأمر) مسبوقًا بالنص القرآني: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ وَأْمُرْ﴾ فلو حذفت الهمزة لاختل الإيقـــاع، وهو أحد أركان الإعجاز الصوتي "[٨].

---

[١] - وهو لخِطام المجاشعي انظر خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: البغدادي، ٣١٣/٢، ٣١٥، ٣١٨، والكتاب: سيبويه، ٣٢/١، ٤٠٨، ٢٧٩/٤ ، والمنصف: ابن جني، ١٩٢/١ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ٤٢/٨

[٢] - هذا الرجز بلا نسبة انظر خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: البغدادي، ٣١٦/٢، والخصائص: ابن جني، ١٧٦/١ ، والمنصف: ابن جني، ١٩٢/١ ، وشرح التصريح على التوضيح: الأزهري، ٣٩٦/٢

[٣] - الكتاب: سيبويه، ٢٦٦/١

[٤] - التصريف الملوكي: ابن جني، ٤٦ ، ونزهة الطرف في علم الصرف: الميداني، ٣٠

[٥] - شرح ابن عقيل: ٥٢٥/٢، وانظر في علم الصرف: د. أمين علي السيد، ٧٠

[٦] - سورة الأعراف: الآية، ٣١

[٧] - سورة طه: الآية، ١٣٢

[٨] - علم الصرف الصوتيّ: د. عبد القادر عبد الجليل، ١٨١

قد ينطبق هذا الأمر على هذه الآية الكريمة، ولكن لماذا لم تحذف الهمزة من الفعل (وأمر) في قوله تعالى: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾[1] ؟ في نظري أن الأمر ليس مجرد المحافظة على الإيقاع، وإنما الأمر عائدٌ إلى أن فعل الأمر هذا جاء في درج الجملة، وهو يحتاج إلى قوة النبر الموجودة في الهمزة؛ حتى تشعر المستمع بضرورة العمل به، وتلزمه بفعله، بينما في بداية الجملة لا يوجد قبله كلام يضعفه فيكون التركيز عليه واضحًا ، فلا يحتاج إلى الهمزة.

قد يتساءل متسائل، ولماذا حذفت همزة الوصل من فعل الأمر (كل) و(خذ) في بداية الجملة وفي درج الكلام أيضًا ؟

ترى الباحثة أن الأمر راجع إلى مخرج الكاف والخاء، فكلاهما من الأصوات الطبقية، وهي قريبة المخرج من الهمزة التي هي من الأصوات الحنجرية، بالإضافة إلى وجود الضمة التي تلي الهمزة، والضمة التي تلي الكاف والخاء، بالإضافة إلى توالي الهمزتين، كل ذلك سبب ثقلاً مستكرهًا، فكان لا بد من التخلص منه عن طريق حذف الهمزة، فلم يعد هناك حاجة لهمزة الوصل فحذفت مع صائتها وأصبح الفعلان على صورة (كل) و(خذ) مطلقًا.

ج – تحذف الهمزة من الفعل المهموز العين، وذلك يحدث في فعلين هما:

١ – سأل، فإن فعل الأمر منه هو اسأل، قد يرد على الأصل وقد يحذف منه الهمزة فيصبح (سَلْ)[2]، ويبدو لي أن الذي حدث هو حذف عين الفعل وهي الهمزة، ولم تحذف فتحتها، بل انتقلت إلى السين مما أدى إلى الاستغناء عن همزة الوصل فلم تعد حاجة إليها، وأصبحت الكلمة (سَلْ)، وورد أن العرب يحذفون الهمزة من (اسأل)، في بداية الكلام، ويثبتونها في الدرج[3]، وقد ورد هذا في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[4]، حيث ثبتت الألف لأن الفعل مسبوق بكلام وهو الفاء، أما قوله عز وجل: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾[5]، فقد حذفت الهمزة في (سل) لأن الفعل في بداية الكلام، ولم يُسبق بشيء.

---

[1] - سورة الأعراف: الآية، ١٤٥
[2] - في علم الصرف: د. أمين علي السيد، ٧١
[3] - شرح ابن عقيل: ٥٢٥/٢
[4] - سورة النحل: الآية، ٤٣
[5] - سورة البقرة: الآية، ٢١١

٢ – رأى، المضارع منه أرى، ويرى، وترى، ونرى، والأصل أن يكون: أرأى، ويرأى، وترأى، ونرأى، فقد حذفت الهمزة للتخفيف[١].

وقد ورد في قول سراقة البارقي (أرى) بحذف الهمزة وإثباتها، فقال[٢]:

أُرِي عَيْنَيَّ مَا لَمْ تَرْأَيَاهُ   كِلانَا عَالِمٌ بِالتُّرَّهَاتِ

ويعلل أحد المحدثين سبب حذف الهمزة من مضارع (أرى) بقوله: " ولعل مرد الأمر يعود إلى اضطراب صوت الهمزة، وتأرجحه بين التسهيل، والتحقيق، جنح مع الفعل المضارع إلى هذه السلوكية. فالهمزة الوسطية عند أهل الحجاز، وغيرها من قبائل العرب خفيفة، وحين تخفف تقلب إلى صائت طويل، ولما توالى صوتان صائتان طويلان حذف أحدهما وهو صوت الهمزة المخففة، لكراهية توالي المثلين، خصوصًا إن كانا صائتين، وصار الفعل على صيغة المضارع (يرى) "[٣].

ترى الباحثة أن الأمر ليس عبارة عن تسهيل الهمزة كما زعم د. عبد الجليل، وإنما هو مجرد حذف للتخفيف، والذي يؤكد ما ذهبت إليه من أن الأمر ليس تسهيلاً للهمزة، أن القرآن الكريم لم يأخذ بلهجة أهل الحجاز في تسهيل الهمزة، بل أخذ بلهجة تميم في تحقيقها[٤]، ولو كان الأمر كذلك لجاء مضارع (أرى) في القرآن الكريم محققة الهمزة على لهجة تميم كالمعتاد، بيد أن الذي حدث هو العكس، فلم يرد مضارع (رأى) محقق الهمزة ولا مرة واحدة في القرآن الكريم[٥].

فحذف الهمزة هنا لثقلها ولكثرة استعمال هذه الأفعال، فأراد العرب إيجاد صيغة أسهل وأخف في النطق، فحذفت الهمزة وبقيت فتحتها، لتمتلكها الراء، كما أن التركيب المقطعيّ للكلمة قد تغير، فتحول المقطع الأول من مقطع متوسط مغلق إلى مقطع قصير مفتوح، وهو ما تميل إليه العربية، ويمكن تمثيل ذلك بالمعادلة الآتية:

أَرْأَى = أ ـَـ ر/ أ ـَـ ـَـ   ←   أرى = أ ـَـ/ ر ـَـ ـَـ

ومن الآيات القرآنية لمضارع (رأى) قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾[٦].

---

[١] - التصريف الملوكي: ابن جني، ٤٧
[٢] - أمالي الزجاجي: ٨٧، وانظر التصريف الملوكي: ابن جني، ٤٧
[٣] - علم الصرف الصوتي: د. عبد القادر عبد الجليل، ١٨٢
[٤] - انظر شرح شافية ابن الحاجب: الإسترابادي، ٣٢/٣
[٥] - يمكن التأكد من حذف الهمزة من مضارع (رأى) في القرآن الكريم بإلقاء نظرة على المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، ٢٨٢- ٢٨٥
[٦] - سورة الصافات: الآية، ١٠٢

أما الأمر من (رأى) الأصل أن يكون (ارْأَ)، حذف صوت العلة الألف لبناء الفعل، ثم نقلت فتحة الهمزة إلى الراء، وحذفت لشبهها بصوت العلة، ولما أصبحت الراء مفتوحة صار من الممكن الاستغناء عن همزة الوصل، فأصبح الفعل (رَ)، ويجوز أن تلحقه هاء السكت فيصبح (رَه)[1].

وإذا دخلت همزة التعدية على (رأى) حذفت عينها أيضًا، فنقول: أَرَى على وزن "أفل" ومضارعها يُري على وزن " يُفل"، والأصل في أرى هو أَرْأَى، ويُرِي أصلها يُؤَرْئِي[2]، حذفت همزة "أفعل" فصارت يُرْئِي ثم حذفت عين الكلمة وهي الهمزة لثقلها، وبقيت كسرتها لتأخذها الراء فأصبحت يُرِي.

وقد ورد ذلك في القرآن الكريم في أكثر من موضع كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾[3]، الأصل في أراك هو أرأاك، وكذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾[4]، الأصل في يريكم هو يرئيكم.

د – تحذف الهمزة من اسم التفضيل (خير) و(شرّ) و(حبّ)، نحو: خيرٌ منه، وشرٌّ منه، وحبٌّ منه[5]، والأصل أن تكون: أخير، وأشر، وأحب.

وقد حُذفت الهمزة من أسماء التفضيل هذه لكثرة الاستعمال[6]، فالحذف هنا طلبًا للخفة، كما يقل عدد مقاطع الكلمة، وهذا ما تسعى إليه العربية، مادام ذلك لا يؤثر في المعنى، ويمكن توضيح التغيير في التركيب المقطعيّ لهذه الأسماء من خلال المثال الآتي:
أخيرُ = أ ــَ خ/ ي ــ/ ر ــُ ← خيرٌ = خ ــَ ي / ر ــُ ن

وعليه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾[7]، حيث حذفت الهمزة من اسم التفضيل (خير)، في حين بقيت في اسم التفضيل (أطهر).

وقوله تعالى: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾[8]، حيث حذفت الهمزة من اسم التفضيل (شر)، في حين بقيت في اسم التفضيل (أضعف).

---

[1] - تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات: د. صالح سليم الفاخري، ١٤٧
[2] - في علم الصرف: د. أمين علي السيد، ٧٢
[3] - سورة النساء: الآية، ١٠٥
[4] - سورة الرعد: الآية، ١٢
[5] - شذا العرف في فن الصرف: الشيخ أحمد الحملاوي، ٨٢ ، والنحو الوافي: الأستاذ عباس حسن، ٣٩٦/٣ (الهامش)
[6] - السابق: الصفحات نفسها
[7] - سورة المجادلة: الآية، ١٢
[8] - سورة مريم: الآية، ٧٥

هـ – تحذف الهمزة من اسم الإشارة (أولاء) عند إلحاق لام البعد به ثم اتصاله بكاف الخطاب، فنقول: أولالك[1]، والأصل فيها أولائلك، وواضح ما لهذه الصيغة من ثقل مستكره، كما أننا نجد أن الكلمة قد طالت وأثقلت بزائدتين: لام البعد، وكاف الخطاب، وكلاهما جاء لمعنى لا يمكن الاستغناء عنهما، لذا حذفت الهمزة، خاصة أن حذفها لم يؤثر في المعنى.

وعليه ورد قول الشاعر[2]:

أُولالِكَ قَوْمِي لَمْ يَكُونُوا أُشَابَةً ... وَهَلْ يَعِظُ الضِّلِّيلُ إِلا أُولالِكَا

ثانيًا: حذف فاء الفعل المثال

كل فعل كان على فَعَل يفْعِل وفاؤه واو، فإن فاءه تحذف في المضارع، نحو: وَعَدَ يَعِدُ، ووَزَنَ يَزِنُ، الأصل فيهما يَوْعِدُ، ويَوْزِنُ، إلا أنه قد حذفت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة[3]، ثم استمر حذفها مع باقي صوامت المضارعة ليطرد الباب[4].

معنى ذلك أن السبب في حذف الواو من الفعل المضارع المثال – كما فسره القدماء – هو وقوعها ساكنة بين ياء وكسرة، وهو تفسير منطقي، فالواو من الأصوات الشفوية التي تخرج من مقدم الفم، بينما الياء صوت غاري يخرج من مؤخر الفم تقريباً، والكسرة من الصوائت الأمامية التي يرتفع مقدم اللسان في أثناء النطق بها إلى أقصى درجة، فكان من الصعب على اللسان النطق بتلك المتنافرات، لذا حذفت الواو.

والذي سوغ حذف الواو هو سكونها محصورة بين الياء والكسرة، فلو تغير شيء من هذه المنظومة، فإنها لا تحذف، فقد ذكر ابن جني أنه لو انفتح ما بعد الواو فإنها لا تحذف، فنقول: يُوزَن، ويُوعَد[5]، وأغلب الظن عندي أن السبب في إثبات الواو ليس في انفتاح ما بعدها فقط، وإنما أيضًا لأنها مسبوقة بالضمة، فأصبح هناك تناسب وانسجام بينهما فبقيت الواو ولم تحذف.

وقد اجتمع حذف الواو من المضارع المثال وإثباتها في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[6].

وهذه الأفعال لا تحذف منها الواو في المضارع فحسب، وإنما تحذف أيضًا في الأمر

---

[1] - انظر دراسات نقدية في النحو العربي: د. عبد الرحمن أيوب، ٩٤
[2] - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: البغدادي، ٣٩٤/١ ، وانظر شرح المفصل: ابن يعيش، ٦/١٠
[3] - الكتاب: سيبويه، ٥٢/٤ – ٥٣ ، والتصريف الملوكي: ابن جني، ٤٣ - ٤٤ ، والوجيز في علم التصريف: ابن الأنباري، ٣٧ ، ونزهة الطرف في علم الصرف: الميداني، ٢٨ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ٥٩/١٠ ، والتتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١٥٠
[4] - انظر الوجيز في علم التصريف: ابن الأنباري، ٣٩ ، والتتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١٥٠
[5] - التصريف الملوكي: ٤٤
[6] - سورة الإخلاص: الآية، ٣

والمصدر، فنقول: يعِد – عِد – عِدة، ويزِن – زِن – زِنة[1]، الأصل فيها هو: اوعِد، واوزِن، استثقلت الواو لوقوعها ساكنة بعد كسرة، ويليها صامت مكسور، مما أدى إلى حذفها، ثم استغني عن همزة الوصل لعدم الحاجة إليها، فأصبحت عِد، وزِن، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[2]، الأصل في (دع) هو (اودع)، لأن الماضي منه هو (ودع).

وفي عِدة وزِنة الأصل فيها: وِعْدة، ووِزْنة، استثقلت الكسرة بعد الواو فنقلت إلى ما بعدها وهي عين الكلمة، ثم حذفت الواو للتخفيف[3]، ومنه قوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾[4].

الأصل في حذف الواو من الفعل المضارع المثال أن تكون عينه مكسورة، إلا أنه قد ورد حذف الواو من مفتوح العين في المضارع، نحو: يدَع، ويزَع، ويضَع، ويقَع، ويلَع، ويلَغ، ويهَب، ويذَر، ويطَأ، ويسَع، وكذلك تحذف الواو من الأمر والمصدر لتلك الأفعال[5].

ويفسر القدماء سبب حذف الواو رغم فتح عين الفعل بأن أصل هذه الأفعال هو كسر العين، ولكنها فتحت لأن عين الكلمة أو لامها حرف حلقيّ، فالفتحة هنا عارضة، وبني الحكم على الأصل[6]، ولو كانت الفتحة أصلية فإن الواو لا تحذف، مثل: وَجَعَ يَوْجَعُ، ووَحَلَ يَوْحَلُ، ووَجَلَ يَوْجَلُ[7]، أي أن الأفعال التي كان أصل عينها مكسورة فتحت، فالفتحة يستريح معها اللسان في قاع الفم مع ارتفاع طفيف لوسطه في اتجاه منطقتي الغار والطبق[8]، مما يسمح بخروج الصوامت الحلقية بِحُرِّية وطلاقة.

إلا أنني لا أجد صامتًا حلقيًّا في (يذر)، ويتراءى لي أنهم حملوه على (يدع)، فهذان الفعلان من الأفعال التي وردت على صورة المضارع والأمر، ولم يرد عن العرب استخدام الفعل الماضي منهما، فلم يرد (وذر) و(ودع)[9].

وقد جاء حذف الواو من هذه الأفعال المفتوحة العين في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾[10]، وقوله: ﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾[11].

---

[1] - نزهة الطرف في علم الصرف: الميداني، ٢٨ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ٦١/١٠
[2] - سورة الأحزاب: الآية، ٤٨
[3] - التصريف الملوكي: ابن جني، ٤٤ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ٦١/١٠
[4] - سورة الطلاق: الآية، ٧
[5] - انظر الوجيز في علم التصريف: ابن الأنباري، ٣٨ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ٦١/١٠
[6] - السابق: الصفحات نفسها
[7] - شرح المفصل: ابن يعيش، ٦٢/١٠
[8] - دراسة الصوت اللغوي: د. أحمد مختار عمر، ٣١٨
[9] - المنصف: ابن جني، ٢٧٨/١
[10] - سورة الأنبياء: الآية، ٨٩
[11] - سورة الحج: الآية، ٢

ثالثًا: الحذف من الفعل الأجوف

يحدث ذلك في المواضع الآتية:

١ – عند صوغ اسم المفعول من الفعل الأجوف، فإن الواو تحذف، وعلى الأغلب أن الواو المحذوفة هي واو "مفعول"[١]، نحو: مقول ومصون، الأصل فيهما مَقْوُول ومَصْوُون، نقلت ضمة الواو إلى الصحيح الساكن قبلها، فاجتمع ساكنان متماثلان، مما أدى إلى حذف الواو الثانية، وكذلك الحال في الأجوف اليائي، نحو: مبيع ومكيل، الأصل فيهما: مَبْيُوع ومَكْيُول، نقلت ضمة الياء إلى الصحيح الساكن قبلها، فالتقى ساكنان الياء والواو، فحذفت الواو، ثم قلبت الضمة كسرة لمناسبة الياء ودمجت فيها فأصبحت: مبيع ومكيل[٢].

ويرى د. إبراهيم السامرائي أنه من الأفضل عدم التعرض لهذا التبدل والتغير الحادث في تلك الكلمات، ويستحسن تعليم الطلاب أن (مقُول) و(مبيع) قد جاءتا من الفعل المضارع (يقول) و(يبيع) بإبدال ياء المضارعة ميماً مفتوحة[٣]، وتبعه في هذا الرأي محدثون آخرون[٤].

رأي جميل ومختصر يصف البنية السطحية للكلمة، إلا أنه بعيد عن القاعدة؛ لأنه غير مصوغ على وزن مفعول؛ فالفعل يقول ويبيع على وزن "يفعُل" و"يفعِل" وعند إبدال ياء المضارعة ميماً مفتوحة فإن الوزن يصبح "مَفْعُل" و"مَفْعِل" وهما بعيدان كل البعد عن وزن "مفعول".

ويرى د. غالب فاضل المطلبي أن الفعل الأجوف قال وباع على وزن "فال"، فهو أصلاً محذوف العين وتم الاستعاضة عنه بصوت مد طويل، ومضارعهما يقول ويبيع على وزن "يفول" و"يفيل"، وبالتالي فإن اسم المفعول منهما مقول ومبيع سيكونان على وزن "مفول" و"مفيل"، وبذلك سيكون – حسب رأيه – ما جاء من اسم المفعول من الفعل الأجوف هو الوزن الأصلي للمفعول ولا حذف فيه[٥].

ويمكن التمثيل لاسم المفعول من الفعل الأجوف من القرآن الكريم، بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾[٦]، فالأصل في (مثوبة) هو مثووبة حذفت واو المفعول للتخفيف.

---

[١] - الكتاب: سيبويه: ٣٤٨/٤

[٢] - السابق: الصفحة نفسها، والوجيز في علم التصريف: ابن الأنباري، ٣٩ ، ونزهة الطرف في علم الصرف: الميداني، ٤٢ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ٦٦/١٠ - ٦٧

[٣] - انظر الفعل زمانه وأبنيته: ١١٢- ١١٣ ، وقد أورد الرأي نفسه في كتابه النحو العربي نقد وبناء: ٢٢٣

[٤] - انظر علم الصرف الصوتي: د. عبد القادر عبد الجليل، ٤١٥ – ٤١٦ ، ونظرة وصفية في تصريف الأسماء: د. محمد أبو الفتوح، ٦٠ - ٦١

[٥] - انظر في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية: ١٩٤

[٦] - سورة البقرة: الآية، ١٠٣

٢ – تحذف الألف من الفعل الأجوف عند إسناده إلى ضمائر الرفع المتحركة، فعند إسناد الفعل الماضي قال وباع إلى تاء الفاعل و(نا) الفاعلين ونون النسوة تصبح: قُلْتُ وبِعْتُ، وقُلْنَا وبِعْنَا، وقُلْنَ وبِعْنَ، وفي المضارع والأمر لا يتصل من هذه الضمائر بالفعل سوى نون النسوة، نحو: يَقُلْنَ وقُلْنَ، يَبِعْنَ وبِعْنَ.

يرى القدماء أن الأصل في (قُلْتُ) هو قَوَلْتُ على وزن "فَعَلْت" ثم نقل على وزن "فَعُلت"، وذلك بإبدال فتحة الواو ضمة، ثم نقلت الضمة إلى القاف، فسقطت الواو لالتقاء الساكنين فأصبحت قُلْتُ، وفي (بِعْتُ) الأصل فيها بَيَعْتُ على وزن "فَعَلْتُ" نقلت على وزن "فَعِلْتُ" فأصبحت بَيِعْتُ، ثم نقلت كسرة الياء إلى الباء، فالتقى ساكنان مما أدى إلى حذف الياء فأصبحت بِعْتُ[١].

وتم ضم القاف في (قُلت) للدلالة على أن أصل الألف المحذوفة هو الواو، بينما كسرت الباء في (بِعت) للدلالة على أن أصل الألف المحذوفة هو الياء[٢].

ويرى أحد المحدثين أن إسناد الفعل الأجوف إلى ضمائر الرفع لم يكن إلى أصل الفعل، بل كان إلى ظاهره وهو قال وباع، فأصبحت قالتُ، وباعتُ، وقالنا، وباعنا، وقالن، وباعن، فتشكل مقطع مرفوض مكون من صامت ونواة طويلة صائتة وصامت، ليس هذا موضعه، فلجأت العربية إلى التخلص منه بتقصير نواته الصائتة، فأصبح: قَلتُ وبَعتُ وقَلنا وبَعنا، وقَلن وبَعن، ووجود الفتحة على الفاء لا يظهر القيم الدلالية للأفعال، ولهذا تم اجتلاب صائت من جنس الصوت المحذوف (الياء والواو) فتصبح قُلتُ وبِعتُ[٣].

أما في المضارع والأمر نحو: يقلن وقلن، ويبعن وبعن، فإن التغيير الحادث أبسط من الماضي، لأن الأصل فيها هو يَقُولن وقُولن، ويبيعن وبيعن، وفي نظري أن الذي حدث هو حذف الواو والياء، أو كما يقال في الدرس الصوتي الحديث تقصير الصائت الطويل الواو والياء فأصبحتا ضمة وكسرة.

ويمكن التمثيل لهذه الأفعال من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[٤]، حيث حذفت الواو من (قلنا) عند إسناده إلى (نا) الفاعلين، أما قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً﴾[٥]، فقد حذفت الياء من (طِبن) عند إسناده إلى نون النسوة.

---

[١] - المنصف: ابن جني، ٢٣٤/١ ، ونزهة الطرف في علم الصرف: الميداني، ٢٨
[٢] - السابق: الصفحات نفسها
[٣] - أثر الحركة المزدوجة في بنية الكلمة العربية: د. عبد الله الكناعنة، ٥٠ - ٥١
[٤] - سورة الأنبياء: الآية، ٦٩
[٥] - سورة النساء: الآية، ٤

والأمر ينطبق أيضًا على الأفعال الناقصة (كان وأخواتها) الجوفاء منها، وهي كان، وصار، ودام، وزال، وليس، عند إسنادها إلى ضمائر الرفع المتحركة يحدث لها ما حدث للأفعال التامة، فنقول: كنتُ، وكنَّا، وكنَّ، صرتُ، وصرنا، وصرن، وما دمتُ، وما دمنا، وما دمن، وما زلتُ، وما زلنا، وما زلن، ولست، ولسنا، ولسن، ويكنَّ ويصرن، وما يزلن، وكنَّ، وصِرْنَ، ويمكن تفسير التغيير الحادث على هذه الأفعال بنفس التفسير الذي قدم مع الأفعال التامة السابقة الذكر، إلا أن (ليس) قد حدث لها تغيير مختلف، فعند إسنادها إلى ضمائر الرفع المتحركة تم تسكين السين، فاجتمع ساكنان هما الياء والسين، وهذا مرفوض في العربية، مما أدى إلى حذف الياء.

وقد وردت هذه الأفعال في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾[1]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾[2]، وقوله: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[3]، وقوله: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[4].

٣ – تحذف عين الفعل الأجوف عندما يكون مجزومًا، ويحدث ذلك في حالتين هما:

أ – إذا كان مضارعًا مسبوقًا بجازم، نحو: لم يقل، ولم يبع، ولم يخف، الأصل فيها: لم يقولْ، ولم يبيعْ، ولم يخافْ، ويرى القدماء أن سبب حذف عين الفعل لالتقاء الساكنين[5]، بينما يرى المحدثون أنه قد تشكل مقطع مرفوض في نهاية الفعل، وهو عبارة عن صامت ثم صائت طويل يليه صامت، وهذا مرفوض في اللغة العربية وليس هذا موضعه، ولا يحدث إلا في حالة الوقف وفي باب دابَّة، لذلك لجأت العربية إلى تغيير هذا المقطع بتقصير الصائت الطويل[6]، فتحول من الواو إلى الضمة، ومن الياء إلى الكسرة، ومن الألف إلى الفتحة.

ويمكن الاستشهاد على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾[7]، وقوله: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ﴾[8]، وقوله: ﴿يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾[9].

---

[1] - سورة الأحزاب: الآية، ٣٢
[2] - سورة غافر: الآية، ٣٤
[3] - سورة مريم: الآية، ٣١
[4] - سورة آل عمران: الآية، ١٥٩
[5] - الكتاب: سيبويه، ٣٣٩/٤- ٣٤٠ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ٦٨/١٠
[6] - انظر دراسات في علم اللغة: د. كمال بشر، ١٥٨، وفي الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية: د. غالب فاضل المطلبي، ٢٢٣، وأثر الحركة المزدوجة في بنية الكلمة العربية: د. عبد الله الكناعنة، ٦٣- ٦٤
[7] - سورة الإسراء: الآية، ٢٣
[8] - سورة القلم: الآية، ١٠
[9] - سورة القصص: الآية، ٣١

ب – إذا جاء الفعل الأجوف في صيغة الأمر فإن عينه تحذف، نحو: قلْ، وبعْ، وخفْ، الأصل فيها: قولْ، وبيعْ، وخافْ، ويرى القدماء أن عين الفعل قد حذفت لالتقاء الساكنين[1]، بينما يرى المحدثون أن فعل الأمر مأخوذ من المضارع يقول ويبيع ويخاف مع حذف الصامت الدال على المضارعة مع صائته، وحذف الضمة من نهاية الفعل، فيتولد مقطع مرفوض مكون من صامت ثم صائت طويل ثم صامت، مما أدى إلى تقصير الصائت الطويل[2].

وعلى هذه الأفعال يمكن الاستشهاد بقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[3].

رابعًا: حذف لام الفعل الناقص

إذا كان الفعل الناقص ماضيًا تحذف لامه في حالتين هما:

١ – عند إسناده إلى واو الجماعة، ولكن يجب مراعاة ما قبل اللام المحذوفة، فإن كان مفتوحًا أو مضمومًا بقي كما هو، وإن كان مكسورًا فإنه يصبح مضمومًا لمناسبة الواو، فعند إسناد الأفعال الناقصة سعَى وزكُو ورضِي إلى واو الجماعة تصبح: سَعَوْا، وزكُوا، ورَضُوا[4].

ويمكنني تفسير ما حدث في هذه الأفعال على النحو التالي:

أ – عند إسناد الفعل الناقص المعتل الآخر بالألف إلى واو الجماعة مثل (سعى)، فإنه تلتقي الألف بالواو، فيتكون مقطع مرفوض ليس هذا موضعه، فتلجأ العربية إلى تقصير الألف فتصبح فتحة.

كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[5].

ب – عند إسناد الفعل الناقص المعتل الآخر بالواو إلى واو الجماعة مثل (زكو)، فإنه يجتمع واوان، لا يفصل بينهما سوى الفتحة، ومثل هذه الصيغة مستثقلة مرفوضة في العربية، فتلجأ إلى التخلص من الواو الأولى مع صائتها؛ حتى تتمكن من نطق الكلمة بكل سهولة ويسر.

ج – عند إسناد الفعل الناقص المعتل الآخر بالياء إلى واو الجماعة مثل (قضي)، فإنه تلتقي الياء بالواو، لا يفصل بينهما سوى الفتحة، وهذه الصيغة مستثقلة مرفوضة في العربية،

---

[1] - شرح المفصل: ابن يعيش، ٦٨/١٠

[2] - انظر أبحاث في أصوات العربية: د. حسام النعيمي، ٣٣ ، وأثر الحركة المزدوجة في بنية الكلمة العربية: د. عبد الله الكناعنة، ٦٥-٦٦ ، وبنية الفعل (قراءة في التصريف العربي): عبد الحميد عبد الواحد، ٦٥ - ٦٦

[3] - سورة طه: الآية، ١١٤

[4] - انظر مدخل إلى دراسة الصرف العربي: د. مصطفى النحاس، ٦٨ ، وفي علم الصرف: د. أمين علي السيد، ٧٥ ، والتطبيق الصرفي: د. عبده الراجحي، ٥٤

[5] - سورة الحج: الآية، ٥١

فتلجأ إلى تعديلها عن طريق حذف الياء مع فتحتها، فتلتقي الكسرة بالواو مما يسبب تنافرًا بين أصوات الكلمة، فتقلب الكسرة ضمة لتتناسب مع الواو، فيتحقق الانسجام الصوتيّ بين صوامت الكلمة وصوائتها[1].

كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾[2].

٢ – عند اتصال الفعل الماضي الناقص المعتل الآخر بالألف بتاء التأنيث الساكنة، فإن الألف تحذف، سواء أكان الفعل ثلاثيًّا أم مزيدًا، نحو: غزت ورمت وأعطت واستغنت[3]، ويرى القدماء أن سبب الحذف لالتقاء الألف الساكنة بتاء التأنيث الساكنة، فتم التخلص من الألف[4].

بينما يرى المحدثون أن سبب الحذف عائدٌ إلى تشكُّل مقطع مرفوض مكوَّن من صامت وصائت طويل وصامت، تم التخلص منه عن طريق تقصير الصائت الطويل وهو الألف فأصبحت فتحة[5].

ويمكنني توضيح التغيير المقطعيّ الحادث في كلمة (غزت) – مثلاً – فيما يأتي:
غَزَاتْ = غ ــَ / ز ــَ ــَ ت ← غَزَتْ = غ ــَ / ز ــَ ت

ومن الآيات الكريمة التي ورد فيها الفعل الناقص المعتل الآخر بالألف متصلاً بتاء التأنيث، قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾[6]، حيث تم تقصير الصائت الطويل الألف في الفعل الناقص (ربا) عند اتصاله بتاء التأنيث، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾[7]، تم تقصير الألف في الفعلين الناقصين (ألقى) و(تخلى) عند اتصالهما بتاء التأنيث.

أما إذا كان الفعل الناقص مضارعًا أو أمرًا فإن لامه تحذف في حالتين:
١ – عند إسناده إلى واو الجماعة، مع بقاء الفتحة قبل المحذوف إن كان ألفًا، وبقاء الضمة إن كان المحذوف واوًا، وتقلب الكسرة ضمة لمناسبة الواو إن كان المحذوف ياءً، نحو: يسعى، ويدعو، ويرمي، عند إسنادها إلى واو الجماعة تصبح: يَسْعَوْنَ، ويَدْعُونَ، ويَرْمُونَ. والأمر منها يكون: اسْعَوْا، وادعُوا، وارمُوا[8].

[1] - يمكن الاطلاع على أبحاث في أصوات العربية: د. حسام النعيمي، ١٩
[2] - سورة الحشر: الآية، ١٩
[3] - نزهة الطرف في علم الصرف : الميداني، ٢٩، وانظر في علم الصرف: د. أمين علي السيد، ٧٥
[4] - نزهة الطرف في علم الصرف : الميداني، ٢٩
[5] - انظر التطور اللغوي: د. رمضان عبد التواب، ٧١ ، ودراسات في فقه اللغة والفنولوجيا العربية: د. يحيى عبابنة، ٢٧ ـ ٢٨
[6] - سورة الحج: الآية، ٥
[7] - سورة الانشقاق: الآية، ٤
[8] - انظر في علم الصرف: د. أمين علي السيد، ٧٥ ، والتطبيق الصرفي: د. عبده الراجحي، ٥٥

والتغيير الحادث هنا هو ذاته الذي حدث للفعل عندما كان ماضيًا، حيث قصرت الألف في (يسعون، واسعوا)، لتكوِّن مقطع مديد ليس هذا موضعه، وتم حذف الواو مع صائتها؛ لتوالي الأمثال في (يدعون، وادعوا)، كما حذفت الياء مع صائتها؛ لتنافر اجتماعها بالواو في (يرمون، وارموا)، مع ضم ما قبل الواو لتتناسب وتنسجم معها.

ويمكن التمثيل لهذه الأفعال من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾[1]، وقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[2]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾[3].

٢ – تحذف (الألف والواو والياء) من نهاية الفعل الناقص المضارع والأمر، عند إسناده إلى ياء المخاطبة، على أن تبقى الفتحة قبل الألف المحذوفة، وتبقى الكسرة قبل الياء المحذوفة، وتقلب الضمة كسرة قبل الواو المحذوفة، وذلك لتتناسب مع ياء المخاطبة، فعند إسناد الأفعال الناقصة: تسعَى، وتدعُو، وترمِي إلى ياء المخاطبة تصبح: تَسْعَين، وتَدْعِين، وتَرْمِين، والأمر منها يكون: اسْعَي، وادْعِي، وارْمِي.

في نظري أنه عند إسناد الفعل الناقص المضارع والأمر المنتهيان بالألف إلى ياء المخاطبة، فإنه قد تشكَّل مقطع مديد ليس هذا موضعه، مكوَّن من صامت وصائت طويل وصامت، فلجأت العربية إلى التخلص منه عن طريق تقصير الصائت الطويل فأصبح قصيرًا، ويمكنني توضيح التغيير المقطعيّ الحادث في تلك الأفعال من خلال المثال الآتي:

تسعاين = ت ــَ س/ ع ــَ ــَ يْ/ ن ــَ ← تسعين = ت ــَ س/ ع ــَ يْ/ ن ــَ

أما عند إسناد الفعل الناقص المضارع والأمر المنتهيان بالواو إلى ياء المخاطبة، فإنه يجتمع صوتان متنافران، يتم التخلص منه عن طريق تقصير الواو فتصبح ضمة، ثم إبدالها كسرة لتتناسب وتنسجم مع الياء.

وعند إسناد الفعل المضارع والأمر المنتهيان بالياء إلى ياء المخاطبة، فإنه يجتمع عدة أصوات من المخرج نفسه؛ لذا يتم تقصير الياء لتصبح كسرة، فتدمج في ياء المخاطبة وتصبح مدًّا.

وعلى هذه الأفعال يمكن الاستشهاد بقوله عز وجل: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي

---

[1] - سورة سبأ: الآية، ٣٨

[2] - سورة الإسراء: الآية، ١١٠

[3] - سورة النور: الآية، ٤

﴿نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾[1]، الأصل في (تَرَينَّ) هو (ترأيين)، حذفت الهمزة لثقلها كما حذفت من ترى، ثم أخذت الراء الساكنة فتحة الهمزة المحذوفة، فأصبحت (تَرَيين)، ثم حذفت ياء الفعل لالتقائها بياء المخاطبة فأصبح (تَرَيْن)، وحذفت النون لأن الفعل مجزوم بإمَّا فأصبح (تَرَيْ)، ثم أكد الفعل بنون التوكيد الثقيلة، فالتقت الياء الساكنة بالنون الأولى الساكنة من نوني التوكيد، فحركت الياء بالكسر، للدلالة على أن المخاطب مفرد مؤنث، فأصبح (تَرَينَّ)[2].

وفي أثناء بحثي عن آيات قرآنية أسند فيها الفعل الناقص المضارع والأمر إلى ياء المخاطبة لم أعثر سوى على الآية القرآنية السابقة الذكر، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن القرآن الكريم قد وجه الخطاب، بالذات، إلى الناس جميعًا؛ لذلك غلَّب صيغة المذكر على صيغة المؤنث.

وتحذف لام الفعل الناقص إذا كان مجزومًا، وذلك يكون في حالتين هما:

١ – أن يسبق بأداة جزم، فنقول في يغزو، ويرمي، ويخشى، لم يغزُ، ولم يرمِ، ولم يخشَ. ويعلل ابن يعيش سبب سقوط الواو والياء في حالة الجزم فيقول: " لأنهما قد نزلتا منزلة الضمة من حيث كان سكونهما علامة الرفع فحذفوهما للجزم "[3].

وفي نظري أن الأمر فيه خلط واضح، فكيف يعدون الواو والياء الساكنتين علامة الرفع، وفي موضع السكون تحذفان ؟

أما المحدثون فيرون أن لام الفعل الناقص المجزوم لم تحذف، وإنما تم تقصير الصائت الطويل وتحول إلى صائت قصير، فأصبحت الألف فتحة، والواو ضمة، والياء كسرة[4].

ويفسر د. غالب فاضل المطلبي سبب تقصير الصائت في هذه الأفعال بقوله: " وليس لهذا التقصير ما يسوغه من الناحية الصوتية، من نحو ما رأينا من جنوح العربية إلى تقصير صوت المد الطويل في الحالة التي يتلوه فيها صامت ساكن، ولعل ما حدث هنا كان قد حدث قياسًا على تقصير صوت المد في الأفعال المضارعة الجوف في نحو قولنا لم يبعْ في لم يبيعْ، ولم يقُلْ في لم يقولْ، وهو ما تحدثنا عنه سابقًا، وفسرناه بكراهية العربية لظهور المقطع المديد المغلق، فكأن العربية هنا استطردت في ذلك حتى صارت تنظر إلى تقصير المد في هذه الأفعال على أنه علاقة إعرابية عامة، ولعل ما سوغ ذلك أيضًا تطرف

---

[1] - سورة مريم: الآية، ٢٦

[2] - انظر نزهة الطرف في علم الصرف: الميداني، ٤٣ - ٤٤

[3] - شرح المفصل: ١٠٤/١٠

[4] - انظر مثلاً علم الصرف الصوتي: د. عبد القادر عبد الجليل، ٤١٤ ، وفي الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية: د. غالب فاضل المطلبي، ٢٩٤

هذه الأصوات "[١].

وعلى هذه الأفعال جاء قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾[٢]، وقوله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾[٣]، وقوله: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[٤].

٢ – أن يكون الفعل الناقص فعل أمر، فإن لامه تحذف، نحو: اغزُ، وارمِ، واخشَ[٥]، ويرى المحدثون أن الأصل فيها هو: يغزو، ويرمي، ويخشى، ثم حذفت ياء المضارعة مع صائتها، فأدى ذلك إلى الابتداء بالساكن، فتم اجتلاب همزة الوصل، ثم قصر الصائت الطويل، فتحولت الألف إلى فتحة، والواو إلى ضمة، والياء إلى كسرة[٦].

ومنه قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[٧]، وقوله: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾[٨]، وقوله: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[٩].

ما قيل في حذف لام الفعل الناقص الثلاثي ينطبق هو ذاته على المزيد[١٠]، كما ينطبق على اللفيف المقرون، فنقول في (طوى) في الماضي: طَوَوْا وطَوَتْ، وفي المضارع: يَطْوُونَ وتَطْوِينَ، وفي الأمر: اطْوُوا واطْوِي، وفي حالة الجزم: لم يَطْوِ، واطْوِ[١١].

وعليه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ﴾[١٢]، حيث قصرت الياء في الفعل (يلوي) عند إسناده إلى واو الجماعة، ثم أبدلت الكسرة ضمةً لتتناسب مع واو الجماعة وتنسجم معها.

خامسًا: حذف فاء الفعل اللفيف المفروق ولامه

يعامل اللفيف المفروق معاملة المثال ومعاملة الناقص في حـــذف فائـــه أو لامه أو كليهما

[١] - في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية: ٢٩٤
[٢] - سورة الشعراء: الآية، ٢١٣
[٣] - سورة لقمان: الآية، ١٨
[٤] - سورة النور: الآية، ٥٢
[٥] - نزهة الطرف في علم الصرف: الميداني، ٢٩
[٦] - انظر أثر الحركة المزدوجة في بنية الكلمة العربية: د. عبد الله الكناعنة، ٩١ ، وبنية الفعل (قراءة في التصريف العربي): عبدالحميد عبد الواحد، ٧٩
[٧] - سورة النحل: الآية، ١٢٥
[٨] - سورة طه: الآية، ٧٢
[٩] - سورة لقمان: الآية، ١٧
[١٠] - انظر في علم الصرف: د. أمين علي السيد، ٧٥
[١١] - انظر التطبيق الصرفي: د. عبده الراجحي، ٥٧ ، وتصريف الأفعال والمصادر والمشتقات: د. صالح سليم الفاخري، ١٥٥
[١٢] - سورة آل عمران: الآية، ٧٨

معًا، فنقول في (وفى)[1]:

* في الماضي: وَفَوْا ووَفَيْتُ (حذفت لام الفعل)
* وفي المضارع: ١ – أَفِي، ونَفِي، ويَفِي، وتَفِي (حذفت فاء الفعل)

٢ – تَفُونَ، وتَفِينَ (حذفت فاء الفعل ولامه)

* وفي المضارع المجزوم: لم أَفِ، ولم نَفِ، ولم يَفِ، ولم تَفِ (حذفت فاء الفعل ولامه)
* وفي الأمر: فِ، وفِي، وفُوا (حذفت فاء الفعل ولامه)، ويجوز زيادة هاء السكت على (فِ) عند الوقف فنقول: فِه.

ويمكن التمثيل على ذلك من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[2].

سادسًا: حذف لام الاسم المنقوص

يحدث ذلك في حالتين هما:

١ – عندما يكون الاسم المنقوص غير معرف بأل أو بالإضافة في حالتي الرفع والجر، فنقول: هذا قاضٍ، ومررت بقاضٍ.

ويُرجِع سيبويه سبب الحذف هنا إلى استثقال تحريك الياء بالضم أو الكسر مع تنوين التنكير نتيجة لخلوها من الألف واللام[3].

ويرى الأستاذ الطيب البكوش أنه عند إضافة تنوين التنكير للاسم المنقوص تصبح الكسرة الطويلة في مقطع منغلق فتقصر (داعِين← داعِنْ = داعٍ)[4]، و(قاضِين← قاضِنْ = قاضٍ)[5]، ويمكنني تفسير ذلك مقطعياً كما يأتي:

قاضِين = ق ـَ ـَ/ ض ـِ ـِ ن ← قاضٍ = ق ـَ ـَ/ ض ـِ ن

ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[6]، وقوله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾[7].

٢ – عند جمع الاسم المنقوص جمع مذكر سالمًا، فإن لامه تحذف، فنقول في حالة الرفع:

---

[1] - نزهة الطرف في علم الصرف: الميداني، ٥٤ ، وانظر التطبيق الصرفي: د. عبده الراجحي، ٥٦، وتصريف الأفعال والمصادر والمشتقات: د. صالح سليم الفاخري، ١٥٤

[2] - سورة البقرة: الآية، ٤٠

[3] - الكتاب: سيبويه، ١٨٣/٤

[4] - التصريف العربي: ١٥٩

[5] - السابق: ١٦٧

[6] - سورة البقرة: الآية، ١٧٣

[7] - سورة المائدة: الآية، ١٠٣

القاضُون، وفي حالتي النصب والجر: القاضِين[١].

يعلل القدماء التغيير الحادث في (القاضي) عند جمعه جمع مذكر سالمًا، أنه قد التقت الياء الساكنة مع الواو الساكنة فتم حذف الياء[٢]، ولكن الياء ليست ساكنة، فهي عبارة عن كسرتين، والذي حدث عند اجتماع الياء بالواو – والذي سبب ثقلاً وجهدًا عضليًّا كبيرًا في أثناء النطق بهما – هو تقصير الياء، فأصبحت كسرة، وليزداد الانسجام الصوتيّ بين صوامت الكلمة وصوائتها تم قلب الكسرة ضمة لمناسبة الواو، وفي حالتي النصب والجر تبقى الكسرة لمناسبة الياء.

وجاء عليه قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥)﴾[٣]، فقد قصرت الياء في (مصلين)؛ لأن أصلها (مصليين)، كما قصرت الياء في (ساهون)؛ لأن أصلها (ساهيون)، ثم أبدلت ضمة لمناسبة الواو.

سابعًا: حذف لام الاسم المقصور

ويحدث ذلك في حالتين:

١ – عند جمع الاسم المقصور جمع مذكر سالمًا، فإن لامه تحذف وتبقى الفتحة دليلاً عليها، نحو: مصطفى > مصطفَون في حالة الرفع، والمصطفَين في حالتي النصب والجر[٤].

يرى القدماء أن الاسم المقصور عند جمعه جمع مذكر سالمًا تلتقي الألف الساكنة بالواو أو الياء الساكنتين، فتحذف الألف لالتقاء الساكنين[٥]، بينما يرى المحدثون أن الألف لم تحذف، لأنها ليست ساكنة، فلم يلتق ساكنان، بل تم تقصيرها فأصبحت فتحة، كما تم تقصير واو الجمع ويائه، فأصبحتا ضمة وكسرة، ثم تنزلق الحركتان فتشكلان واواً أو ياءً[٦].

وقد ورد الاسم المقصور محذوف اللام في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾[٨].

٢ – عند النسب إلى الاسم المقصور إذا كانت ألفه رابعة، فإنه يجوز فيها ثلاثة أوجه، هي:

---

[١] - انظر نزهة الطرف في علم الصرف: الميداني، ٢٩
[٢] - السابق: الصفحة نفسها
[٣] - سورة الماعون: الآية، ٤ - ٥
[٤] - نظرة وصفية في تصريف الأسماء: د. محمد أبو الفتوح، ٩٩
[٥] - الخصائص: ابن جني، ٨٨/٢
[٦] - الصرف وعلم الأصوات: د. ديزيرة سقال، ٥٣
[٧] - سورة آل عمران: الآية، ١٣٩
[٨] - سورة ص: الآية، ٤٧

الحذف، والقلب واوًا، والقلب واوًا مع زيادة ألف قبلها، نحو: النسب إلى حبلى نقول حبليّ، وحبلويّ، وحبلاويّ، ويعد الحذف أجود[1].

أما إذا كانت الألف خامسة فأكثر فإنها تحذف دائمًا، نحو: مصطفى > مصطفيّ، وحبارى > حباريّ[2].

ثامنًا: حذف لام بعض الأسماء

ورد حذف لام بعض الأسماء، وهذه اللام قد تكون واوًا وقد تكون ياءً على النحو الآتي:
١ – أب، وأخ، وحم، وغَد، وابن، وكرة، وقلة، وسنة... ذكر القدماء أن لام هذه الأسماء محذوفة، وقدروها بالواو[3].

٢ – يد، ودم، ومئة... قدر القدماء لام الكلمة المحذوفة بالياء[4].

يبدو أن سبب الحذف هو استثقال الواو والياء في نهاية هذه الأسماء، فحذفت للاستثقال وكثرة الاستعمال.

ويمكن التمثيل لهذا النوع من الأسماء من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾[5]، وقوله: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾[6]، وقوله: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾[7].

تاسعًا: حذف ياء الاسم المنسوب إليه

تحذف الياء من الاسم المنسوب إليه على النحو الآتي:
١ – إذا كان الاسم المنسوب إليه على وزن فَعيل وفَعيلة، وفُعيل وفُعيلة، تحذف ياؤه، فنقول عند النسب إلى غَني غَنويّ، ومَدينة مَدنيّ، بحذف الياء في كليهما، وعند النسب إلى عُديّ نقول عدويّ، وجُهينة جُهنيّ، كذلك حذفت الياء في كليهما، أما إذا كان الاسم مضعفًا، أي عينه ولامه متماثلان فإن ياء فَعيلة لا تحذف، فنقول في النسب إلى جليلة جليليّ، وكذلك الحال عندما تكون عين فَعيلة معتلة، فنقول عند النسب إلى طويلة: طويليّ[8].

---

[1] - شرح المفصل: ابن يعيش، ١٥٠/٥
[2] - السابق: الصفحة نفسها
[3] - الكتاب: سيبويه، ٧٩/٢، ٨٢، ١٢٤، ١٩٠، ٣٩٢ ، والتصريف الملوكي: ابن جني، ٥٠ - ٥١ ، ونزهة الطرف في علم الصرف: ابن هشام، ١٧٢
[4] - الكتاب: سيبويه، ٦٢/٢، ٧٩، ١٢٢، ١٩٠ ، والتصريف الملوكي: ابن جني، ٥٢ ، ونزهة الطرف في علم الصرف: ابن هشام، ١٧٣
[5] - سورة آل عمران: الآية، ٧٣
[6] - سورة يوسف: الآية، ١٨
[7] - سورة لقمان: الآية، ٣٤
[8] - انظر شرح المفصل: ابن يعيش، ١٤٦/٥ ، ١٤٨

٢ – تحذف الياء من الاسم المنسوب إذا كانت رابعة فأكثر، فنقول في النسب إلى نبيّ نبويّ، حيث قلبت الياء الأولى واوًا، وحذفت الياء الثانية حتى لا يجتمع ثلاث ياءات[١].

٣ – تحذف الياء المكسورة من سيِّد وميِّت وما شابهها عند النسب إليها، فنقول: سَيْديّ، ومَيْتي، وذلك حتى لا يجتمع في الكلمة الواحدة أربع ياءات، فحذفت الياء المكسورة؛ لأنها تحذف مع كسرتها، فوجودهما يسبب ثقلاً زائدًا، لذلك بقيت الياء الساكنة لأنها أخف من أختها[٢].

*　　　*　　　*

وجدنا من عرضنا السابق أن أصوات العلة ملحقًا بها الهمزة قد توجد في صيغ صرفية تسبب لها الثقل، فيتم التخلص من هذا الثقل عن طريق حذفها، ليتحقق الانسجام الصوتيّ في تلك الصيغ، وإذا ما تغير تركيب الكلمة بإحداث اختلاف في صوائتها فإن الحذف يلغى، فمثلاً الفعل المثال المضارع نحو: يعد الأصل فيه يوعد، حذفت فاؤه لوقوعها ساكنة بين ياء مفتوحة وصامت مكسور، لو تغيرت هذه المنظومة ووقعت فاء الكلمة بين ياء مضمومة وصامت مفتوح فإنها لا تحذف، وذلك كما في (يُوعَد).

ووجدنا أيضًا أن الحذف قد يكون في صيغة معينة لتوالي الأمثال، ثم يحذف من صيغ أخرى ليس فيها توالي أمثال، ولكن جاء الحذف ليطرد الباب على وتيرة واحدة، وذلك كما في أكرم ونكرم ويكرم وتكرم، كان الحذف لتوالي الأمثال من أكرم، وباقي الصيغ جاء الحذف ليطرد الباب على وتيرة واحدة.

وقد يكون الحذف للتخفيف وكثرة الاستعمال، وذلك كما في الأمر من الفعل المهموز (أكل، وأخذ، وأمر، وسأل) فإن العرب تعارفوا على حذف الهمزة منها فيقولون: كل، وخذ، ومر، وسل، إلا أنهم يحذفون الهمزة من (مُرْ، وسَلْ) إذا لم يسبقا بشيء، ويثبتونها في درج الكلام.

وتحذف أصوات العلة من الفعل الأجوف، والناقص، واللفيف المفروق، واللفيف المقرون؛ للاستثقال، وذلك عند إسنادها لضمائر معينة أو مجيئها مجزومة.

وقد يكون حذف أصوات العلة في الأسماء أيضًا، ورأينا متى تحذف الألف من الاسم المقصور، ومتى تحذف الياء من الاسم المنقوص، فوجدنا أن الحذف من المقصــور كان لعلة

---

[١] - شرح المفصل: ابن يعيش، ١٥٤/٥
[٢] - السابق: ١٤٧/٥

التعذر، بينما كان في المنقوص لعلة الثقل.

وتحذف لام بعض الأسماء فتبقى على صامتين، مثل: دم، وأب، وأخ... وجاء الحذف من هذه الأسماء لثقل صوت العلة متطرفًا في نهاية الاسم، ولكثرة الاستعمال.

إن حذف أصوات العلة ليس مقصورًا على الأمثلة التي وردت في هذا المبحث، ولا بد أن يكون هناك أمثلة أخرى، فهذا المبحث كبير ومتشعب، وليس الهدف حصر الأمثلة، وإنما الغرض هو التمثيل والتوضيح؛ للتوصل إلى هدف العربية من الحذف.

الفصل الرابع

الإبدال

❖المبحث الأول: إبدال تاء افتعل

❖المبحث الثاني: إبدال فاء افتعل

❖المبحث الثالث: إبدال تاء تفعّل وتفاعل

❖المبحث الرابع: إبدال فاء بعض الأسماء تاءً

❖المبحث الخامس: إبدال لام بعض الأسماء تاءً

❖المبحث السادس: إبدال الواو ميمًا

❖المبحث السابع: إبدال الياء هاءً

❖ المبحث الثامن: إبدال الهاء همزةً

❖المبحث التاسع: إبدال أحد الصوامت المتماثلة ياءً

عرَّف علماء العربية القدماء مصطلح الإبدال بقولهم: " أن تقيم حرفًا مقام حرف إما ضرورة وإما صنعة واستحسانًا "[1].

يُؤخذ من هذا النص ما يأتي:

١ – أن الإبدال يقع في الأصوات الصحيحة والأصوات العليلة.

٢ – أن الهدف من الإبدال يكون لواحد من أمرين، هما:

أ – الضرورة، بمعنى وجود ثقل يشق على اللسان النطق به، فيتم إبدال مركز الثقل؛ حتى نحصل على بنية صرفية أسهل وأخف في الاستعمال.

ب – الاستحسان، بمعنى أنه يمكن النطق بالكلمة على الصورة التي هي عليها، ولكن من الأفضل والأسهل النطق بالصيغة الجديدة التي تم فيها الإبدال.

أما المحدثون فيعرفون الإبدال بأنه: " حذف حرف، ووضع آخر في مكانه، بحيث يختفي الأول، ويحل في موضعه غيره، سواء أكان الحرفان من أحرف العلة... أم كانا صحيحين، أم مختلفين. فهو أعم من (القلب)؛ لأنه يشمل (القلب) وغيره "[2].

ويحدد ابن جني فيما يحدث الإبدال بقوله: " حروف البدل من غير إدغام أحد عشر حرفًا؛ منها من حروف الزيادة ثمانية، وهي: الألف، والواو، والياء، والهمزة، والنون، والميم، والتاء، والهاء؛ وثلاثة من غيرها، هي: الطاء، والدال، والجيم "[3].

أما الزمخشري فيحدد الإبدال في: " حروف الزيادة والطاء والدال والجيم والصاد والزاي ويجمعها قولك استنجده يو صال زط "[4].

وللباحثة على هذين النصين ملاحظتان، هما:

١ – يبدو أن العلماء القدماء عندما حددوا الأصوات التي يقع فيها الإبدال، قد أدخلوا في الحسبان اللهجات العربية للقبائل المتفرقة في شبه الجزيرة العربية في ذلك الوقت، بدليل أنهم أدخلوا الجيم من ضمن الإبدال، ولم أعثر على مثال واحد أبدلت فيه الجيم في اللغة العربية الفصيحة، ولم أجد ذلك إلا في اللهجات عند إبدال بعض القبائل للجيم ياءً، كما في شجرة فإنهم ينطقونها شيرة[5].

٢ – أن العلماء القدماء قد أدخلوا أصوات العلة (الألف والواو والياء) بالإضافة إلى الهمزة ضمن باب الإبدال، بمعنى أنهم جعلوا الإعلال بالقلب جزءًا من الإبدال، إلا أن بعض

---

[1] ـ شرح المفصل: ابن يعيش، ٧/١٠

[2] ـ النحو الوافي: الأستاذ عباس حسن، ٧٥٧/٤

[3] ـ التصريف الملوكي: ٢٦ ، وانظر الوجيز في علم التصريف: ابن الأنباري، ٤٤

[4] ـ شرح المفصل: ابن يعيش، ٧/١٠

[5] ـ انظر القلب والإبدال: ابن السكيت، ٢٩

القدماء كانوا أكثر دقة من غيرهم، فقد حددوا الصوامت التي يحدث فيها الإبدال بقولهم: هدأت موطيا[1].

ويمكنني تمثيل صور الإبدال بالمعادلات الآتية:

١ – الألف والواو والياء والهمزة > الألف والواو والياء والهمزة.

٢ – صامت صحيح > الألف والواو والياء.

٣ – الألف والواو والياء > صامت صحيح.

٤ – صامت صحيح > صامت صحيح.

نلاحظ من المعادلات السابقة ما يأتي:

١ – أن المعادلة الأولى يحدث الإبدال بين أصوات العلة والهمزة بعضها من بعض، أي أنه إعلال صِرف.

٢ – أن المعادلة الرابعة يحدث فيها الإبدال بين الصوامت الصحيحة بعضها من بعض، فهو إبدال صِرف.

٣ – أن المعادلة الثانية والثالثة تتبادل الصوامت الصحيحة بأصوات العلة بعضها من بعض وبالعكس، فهما مشتركتان بين الطرفين.

وبناءً على ما تقدم يمكن عدَّ حالات الإبدال التي تقع ضمن المعادلة الأولى في باب الإعلال بالقلب، أي إخراجها من هذا الباب، وهذا ما فعلته، فقد درست في فصل الإعلال، مبحث الإعلال بالقلب فلا داعي للتكرار، والذي سيتم دراسته في هذا الفصل هو الأمثلة الواقعة ضمن المعادلات الثلاث المتبقية، علمًا بأنني لن أتطرق إلى أمثلة الإبدال التي تدخل في نطاق اللهجات، بل سأقتصر على الإبدال في البنية الصرفية في اللغة العربية الفصيحة، ويمكن تحديد المواضع التي يقع فيها الإبدال فيما يأتي:

أولاً: إبدال تاء افتعل

تبدل تاء (افتعل) إذا كانت فاؤه:

أ – صوتًا من الأصوات المطبقة، وهي: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، فإن تاء افتعل تبدل طاءً[2]، نحو: اصتبر > اصطبر، واضترب > اضطرب، واطترد > اطّرد، واظتلم > اظطلم[3].

ولكن ما الذي جعل التاء تقلب طاءً ؟

---

[1] - انظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ٤٦٤/٢

[2] - الكتاب: سيبويه، ٢٣٩/٤ ـ ٢٤٠ ، والتصريف الملوكي: ابن جني، ٣٩ـ ٤٠ ، والوجيز في علم التصريف: ابن الأنباري، ٥٥

[3] - يجوز فيما كان فاؤه ظاءً ما يلي: أ – أن تبقى الطاء المبدلة من التاء فنقول: اظطلم. ب – يجوز أن تدغم الظاء في الطاء بعد قلب الظاء طاءً فنقول: اطّلم. ج – يجوز أن تبدل الطاء ظاءً ثم تدغم في الظاء فنقول: اظّلم. انظر شرح المفصل: ابن يعيش، ٤٧/١٠

نلاحظ في الأمثلة السابقة أن التاء وهي صوت مرقق مستفل، قد التقت بالصاد والضاد والطاء والظاء، وهي أصوات مفخمة مستعلية، مما يجعلهما على طرفي نقيض من حيث الاستعلاء والاستفال، فحدث تنافر في أثناء النطق بها، مما أدى إلى قلب التاء إلى نظيرها المفخم وهو الطاء؛ ليحدث التناسب والانسجام الصوتي بين صوامت الكلمة.

ويبدو أن علماءنا الأجلاء كانوا على علم بالقيمة الصوتية التي تحملها صوامت اللغة العربية، وكانوا على وعيٍ تام لما يجري للصيغ الصرفية، فنجد أبا البركات بن الأنباري يعلل قلب التاء طاءً في صيغة (افتعل) بقوله: " فأبدلت التاء طاءً، لأنها لما وقعت وهي مهموسة بعد حرف من حروف الإطباق تنافر لفظهما، وثقل اجتماعهما، فأبدلت طاءً ليزول التنافر والثقل في اللفظ لموافقتها لها في الإطباق "[1].

ما حدث لصيغة (افتعل) من إبدال التاء طاءً مع أصوات الإطباق يعد إبدالاً مطردًا[2]، بمعنى أنه سيحدث مع الفعل المضارع والأمر والمصادر والمشتقات لهذه الأفعال، ويمكن تفصيل ذلك من خلال الجدول الآتي:

الفعل	المضارع	الأمر	المصدر	اسم الفاعل	اسم المفعول
اصطبَر	يصطبر	اصطبِر	اصطبار	مصطبِر	مصطبَر
اضطرَب	يضطرب	اضطرِب	اضطراب	مضطرِب	مضطرَب
اطَّرَد	يطَّرد	اطَّرِد	اطَّراد	مطَّرِد	مطَّرَد
اظطلَم	يظطلم	اظطلِم	اظطلام	مظطلِم	مظطلَم

ويمكن التمثيل لهذه الظاهرة من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾[3]، وقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾[4]، وقوله: ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾[5].

ولم أعثر على مثال من القرآن الكريم تم فيه إبدال تاء الافتعال طاءً عندما تكون فاؤه ظاءً، وربما يعود ذلك إلى قلة الكلمات المبدوءة بصوت الظاء، ويمكن الاستشهاد لهذه الحالة بقول زهير بن أبي سلمى[6]:

هُوَ الجَوَادُ الَّذِي يُعْطِيكَ نَائِلَهُ عَفْوًا وَيُظْلَمُ أَحْيَانًا فَيَظْطَلِمُ

[1] - الوجيز في علم التصريف: ٥٥
[2] - شرح المفصل: ابن يعيش، ٤٦/١٠
[3] - سورة مريم: الآية، ٦٥
[4] - سورة النمل: الآية، ٦٢
[5] - سورة الهمزة: الآية، ٧
[6] - ديوان زهير بن أبي سلمى: ٩١ ، ذكر فيه فيظَّلِم بدلاً من فيظطلم، وانظر شرح المفصل: ابن يعيش، ٤٧/١٠

بعد عرضنا السابق لقلب تاء الافتعال طاءً عندما تكون الفاء صوتًا من أصوات الإطباق، لي ملاحظة بسيطة مفادها أن الأصوات المطبقة لو جاءت عينًا للكلمة وليست فاءها، فإن التاء لا تقلب طاءً في الرسم ولكنها تفخم في اللفظ، وذلك كما في: ارتطم، وانتصر[1]، وانتظر، وارتضى.

في نظري أن السبب يعود إلى أن التاء هنا وقعت بين صوتين أحدهما مرقق مستفل والآخر مفخم مستعلٍ، وقد تجاذباها فوقعت أسيرة بينهما، إلا أنها كانت أقرب للصوت المرقق؛ لأنه ساكن فلا يوجد بينهما فاصل، بينما الصوت المفخم يوجد بينها وبينه فاصل هو الفتحة، مما أضعف من تأثير المفخم عليها رغم قوته الذاتية، فأدى ذلك إلى أن تحافظ على رسمها بيد أنها قد فخمت لفظاً، وبذلك قد أرضت كلا الطرفين، أما التاء في الأمثلة السابقة عندما كان فاء (افتعل) صوتًا من أصوات الإطباق، فإنها حقًّا وقعت بين مفخم ومرقق إلا أن المفخم هذه المرة كان الأسبق وهو الأقوى، بالإضافة إلى أنه كان ساكنًا أي لا يفصله عن التاء فاصل، فكان تأثيره عليها قويًّا، فجذبها ناحيته رسمًا ولفظًا.

ب – إذا كانت فاء (افتعل) دالاً أو ذالاً أو زايًا فإن التاء تبدل دالاً[2]، نحو: ادتعى > ادَّعى، اذتكر > اذدكر[3]، ازتجر > ازدجر.

والذي أدى إلى قلب التاء دالاً هو أنها قد سبقت بالدال والذال والزاي، وهي أصوات أسنانية مجهورة، بينما التاء صوت أسناني مهموس؛ لذا قلبت التاء إلى نظيرها المجهور وهو الدال؛ ليتناسب مع ما يجاوره من الأصوات المجهورة، ويعدُّ ذلك نوعاً من المماثلة الصوتية وتقريب الأصوات بعضها من بعض، ليحدث بينها الانسجام التام.

ونجد القدماء على علم بصفات الأصوات وخصائصها من حيث الجهر والهمس والترقيق والتفخيم وغيرها، وكانوا يعلمون أن الأصوات تتجاذب بعضها بعضًا، فتبدل من الأخرى لأجل التقريب والانسجام بينها، فها هو ذا العلامة ابن جني يعلل سبب إبدال التاء دالاً في (ازدجر) ونحوها، فيقول: " ولكن الزاي لما كانت مجهورة، وكانت التاء مهموسة، وكانت الدال أخت التاء في المخرج، وأخت الزاي في الجهر، قرّبوا بعض الصوت من بعض، فأبدلوا التاء أشبه الحروف من موضعها بالزاي، وهي الدال "[4].

---

[1] - انظر التصريف العربي: الطيب البكوش، ٧٠

[2] - الخصائص: ابن جني، ٤٩٦/١ ، والوجيز في علم التصريف: ابن الأنباري، ٥٥ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ٤٨/١٠

[3] - يجوز بعد إبدال التاء دالاً أن تبدل الدال ذالاً فتصبح اذكر، أو تبدل الذال دالاً فتصبح ادَّكر. انظر المنصف: ابن جني، ٣٣١/٢

[4] - سر صناعة الإعراب: ١٧١/١ - ١٧٢

والإبدال هنا مطردٌ، بمعنى أنه لا يحدث في صيغة (افتعل) الماضية فحسب، بل يحدث في المضارع والأمر والمصادر والمشتقات لتلك الأفعال، ويمكن إيضاح ذلك من خلال الجدول الآتي:

الفعل	المضارع	الأمر	اسم الفاعل	اسم المفعول
ادّعَى	يدّعي	ادّعِ	المُدَّعِي	المُدَّعَى
اذدكَرَ	يذدكر	اذدكِرْ	مُذدكِر	مُذدكَر
أو اذَّكَرَ	يذَّكر	اذَّكِرْ	مُذَّكِر	مُذَّكَر
أو ادَّكَرَ	يدَّكر	ادَّكِرْ	مُدَّكِر	مُدَّكَر
ازدجَرَ	يزدجر	ازدجِرْ	مُزْدَجِر	مُزْدَجَر

ومن الآيات القرآنية لهذه الظاهرة قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ﴾[1]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[2]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾[3].

ثانيًا: إبدال فاء افتعل

تبدل فاء (افتعل) عندما تكون واوًا أو ياءً، فإنها تقلب تاءً وتدغم في التاء[4]، نحو: اوتصل > اتَّصل، وايتسر > اتَّسر.

ويعلل ابن يعيش سبب إبدال الواو والياء تاءً، بأن التاء قريبة المخرج من الواو والياء[5]، ولكنني أرى أن التاء ربما تكون قريبة بعض الشيء من الواو، إلا أنها ليست قريبة المخرج من الياء البتة، فلماذا قلبت الواو والياء تاءً دون غيرها من الصوامت ؟

في البداية لا بدَّ من توضيح سبب القلب، فقد قلبت الواو والياء لأنهما ساكنتان بعد كسرة، مما سبب ثقلاً يمكن التخلص منه عن طريق القلب، وقد قلبتا تاءً بالذات وذلك يعود – في نظري – إلى سببين هما:

١ – لمجانسة الصامت التالي لهما وهو التاء، ويحدث الانسجام الصوتي أكثر بالإدغام بعد الإبدال.

٢ – لأن إبدال الواو والياء تاء لن يحدث لبسًا، ولن يغير معنى الكلمة؛ لذلك كانت التاء أولى

---

[1] - سورة يس: الآية، ٥٧
[2] - سورة القمر: الآية، ١٥
[3] - سورة القمر: الآية، ٤
[4] - انظر الكتاب: سيبويه، ٢٣٩/٤ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ٣٦/١٠ - ٣٧ ، ونزهة الطرف في علم الصرف: الميداني، ٤٤
[5] - شرح المفصل: ٣٧/١٠

من غيرها في عملية الإحلال بدلاً من الواو والياء.

وإبدال الواو والياء تاء في صيغة (افتعل) مطردٌ[1]، بمعنى أنه ينطبق على المضارع والأمر والمصادر والمشتقات لتلك الأفعال، فنقول: اتَّصَلَ، ويتَّصل، واتَّصِلْ، ومُتَّصِل، ومُتَّصَل، واتَّسَرَ، ويتَّسر، واتَّسِرْ، ومُتَّسِر، ومُتَّسَر.

وعلى هذه الظاهرة جاء قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾[2]، الأصل في (اتسق) هو اوتسق، وقوله: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾[3]، الأصل في (اتقى) هو اوتقى، وقوله: ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ﴾[4]، الأصل في (يتَّكؤون) هو يوتكؤون.

ولم أعثر في القرآن الكريم على آية قرآنية قد أبدلت فيها الياء تاء في صيغة (افتعل) وتقلباتها، وربما يعود ذلك إلى قلة الكلمات التي فاؤها ياء.

ثالثًا: إبدال تاء تفعَّل وتفاعل

تبدل تاء (تفعّل) و(تفاعل) صوتًا من جنس فاء الكلمة فينشأ صامتان متماثلان، ثم يدغمان ويؤدي تسكين الصامت الأول – لغرض الإدغام – إلى اجتلاب همزة الوصل للتمكن من النطق بالساكن[5]، نحو:

تذكر > ذذكر > اذّكر، وتطير > ططير > اطّير، وتدارأ > ددارأ > ادّارأ، وتثاقل > ثثاقل > اثّاقل.

ولكن السؤال المطروح هنا، هل التاء تبدل من جنس الفاء في صيغة (تفعّل) و(تفاعل) مع جميع الصوامت ؟

بالطبع لا، فنحن نقول تقدّم على وزن (تفعّل)، وتماثل على وزن (تفاعل)، فلم تبدل التاء من جنس فاء الكلمة، فما هي الصوامت التي تستطيع أن تؤثر في التاء فتجذبها ناحيتها، وتقلبها صوتًا من جنسها ؟

حدد د. رمضان عبد التواب هذه الأصوات فحصرها في أصوات الصفير أو الأسنان[6]، وأصوات الصفير والأسنان هي: الظاء، والذال، والثاء، والضاد، والدال، والطاء، والتاء، والزاي، والصاد، والسين.

---

[1] - نزهة الطرف في علم الصرف: الميداني، ٤٤
[2] - سورة الانشقاق: الآية، ١٨
[3] - سورة البقرة: الآية، ١٨٩
[4] - سورة الزخرف: الآية، ٣٤
[5] - نزهة الطرف في علم الصرف: الميداني، ٢٧ ، وانظر التطور اللغويّ: د. رمضان عبد التواب، ٢٩
[6] - التطور اللغويّ: ٢٩

ولكن لماذا هذه الأصوات دون غيرها هي التي تؤثر في التاء وتقلبها من جنسها ؟

يبدو لي أن السبب هو اشتراكها في المخرج نفسه أو أنها قريبة من مخرجها، فمجاورة التاء لهذه الأصوات التي من مخرجها أو القريبة منها، جعلها تتأثر بها فتقلب من جنسها، ثم يسكن الصوت المقلوب؛ ليتم إدغامه فيما بعده؛ حتى يقل الجهد العضلي، الناتج عن توالي صوتين متماثلين، وهذا التسكين في بداية الكلمة مرفوض في العربية؛ لذا تلجأ إلى التخلص من الابتداء بالساكن عن طريق إدخال همزة الوصل على الكلمة.

إن التغيير الحادث في صيغة (تفعّل) و(تفاعل) هنا من قبيل التخفيف والبحث عن صيغة أكثر استحساناً، ولكن هذا لا يعني أن الصيغة الأصلية مستكرهة منبوذة، أو يتعذر النطق بها، بل على العكس من ذلك، فقد ورد في القرآن الكريم كلتا الصيغتين، إلا أن الصيغة التي حدث فيها الإبدال أكثر ورودًا.

فمن الآيات القرآنية التي وردت على هذه الظاهرة:

١ – قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾[١].

٢ – وقوله: ﴿لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى المَلإِ الأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾[٢].

٣ – وقوله: ﴿لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[٣].

٤ – وقوله: ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ﴾[٤].

٥ – وقوله: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[٥].

٦ – وقوله: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾[٦].

٧ – وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ﴾[٧].

٨ – وقوله: ﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ﴾[٨].

٩ – وقوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾[٩].

١٠ – وقوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى(٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى(٤)﴾[١٠].

---

[١] - سورة يونس: الآية، ٢٤
[٢] - سورة الصافات: الآية، ٨
[٣] - سورة المنافقون: الآية، ١٠
[٤] - سورة النمل: الآية، ٦٦
[٥] - سورة التوبة: الآية، ١٠٨
[٦] - سورة النمل: الآية، ٤٧
[٧] - سورة المؤمنون: الآية، ٦٨
[٨] - سورة التوبة: الآية، ٣٨
[٩] - سورة البقرة: الآية، ٧٢
[١٠] - سورة عبس: الآية، ٣ - ٤

١١ – وقوله: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾[١].

ترى الباحثة أن ميل القرآن الكريم إلى إبدال تاء (تفعّل) و(تفاعل) من جنس الفاء عائدٌ إلى سببين هما:

١ – ميله إلى استخدام الألفاظ الأكثر سهولةً ويسرًا في نطقها، والأكثر توافقًا وانسجامًا بين أصواتها.

٢ – عند إبدال تاء (تفعّل) و(تفاعل) من جنس الفاء ثم حدوث الإدغام للتماثل، فإنه يزيد من الضغط والتركيز على صوت الفاء التي أدغمت فيها التاء بعد قلبها من جنسها، أي يزيد من النبر على هذا المقطع، مما يدلل على أهمية هذه الكلمة في سياق الجملة.

رابعًا: إبدال فاء بعض الأسماء تاءً

يحدث ذلك عندما تكون فاء الاسم واوًا مضمومةً فإنها تقلب تاءً، نحو: تُراث أصلها من ورث، وتُجاه أصلها من وجه، وتُقية أصلها من وقي، والتُّكأة أصلها من وكأ، والتُّكلان أصلها من وكل، وتيقور جاءت من الوقار، وتلاد وتليد من ولد، والتُّخمة من الوخامة[٢]، والتهمة من الوهم، وتترى من المواترة[٣].

كقول العجَّاج[٤]:

فَإِنْ يَكُنْ أَمْسَى البِلَى تَيْقُورِي

أي أمسى وقاري[٥].

ومن الكلمات السابقة الذكر التي وردت في القرآن الكريم كلمة (تراث) في قوله تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾[٦]، كما وردت كلمة (التقوى) وتقلباتها مرات عديدة، نذكر منها قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِن لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾[٧]، ووردت كلمة (تترى) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى﴾[٨].

ولكن ما الذي أدى إلى قلب فاء الكلمة تاءً ؟

---

[١] - سورة الأنعام: الآية، ١٢٥

[٢] - الوخامة هي الثقل الذي يصيب الإنسان من كثرة الطعام، انظر لسان العرب: ابن منظور، (وخم) ٢٤٤/١٥ - ٢٤٥

[٣] - الكتاب: سيبويه، ٣٣٢/٤ ، والتصريف الملوكي: ابن جني، ٣٤ - ٣٥ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ٣٨/١٠ ، ونزهة الطرف في علم الصرف: ابن هشام، ١٦٠- ١٦١

[٤] - ديوان العجَّاج: ٢٢٤ ، وانظر الكتاب: سيبويه، ٣٣٢/٤ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ٣٨/١٠

[٥] - انظر لسان العرب: ابن منظور، (وقر) ٣٦٤/١٥

[٦] - سورة الفجر: الآية، ١٩

[٧] - سورة مريم: الآية، ١٣

[٨] - سورة المؤمنون: الآية، ٤٤

يبدو أن السبب هو الثقل الناتج عن اجتماع الواو مع الضمة في بداية الكلمة، وكلاهما من جنس واحد، فأراد العرب التخفيف من هذه الصيغة المستثقلة، فلم يجدوا غير التاء لتحل محل الواو، وذلك لأن إبدالها تاء لن يغير المعنى ولن يحدث لبسًا.

وقد حاول أحد المحدثين تفسير سبب إبدال الواو تاءً في هذه الكلمات باختراع نظرية أشبه ما تكون بالمتاهة، فهو يرى أن تلك الكلمات جاءت من صيغة (افتعل)، ثم تم حذف الواو الساكنة للتخلص من المزدوج الهابط، ومن ثم تقوم اللغة بتعويض الفجوة التي يحدثها هذا الحذف عن طريق التشديد الذي يتم في تاء الافتعال، ثم حدث عدة خطوات أخرى، من ضمنها صياغة أفعال جديدة، ثم اشتقاق المصدر الجديد عن طريق التوهم، ولتقريب هذه النظرية للأذهان أورد مثالاً من أمثلته، وهو كيفية الوصول إلى كلمة تراث:
ورث > اوترث > اتَّرث > اتِّراث > ترث[1].

ويمضي في تفسير بقية الكلمات مستخدمًا النظرية نفسها، والسبب في هذا اللف والدوران – حسب زعمه – هو أن " التقارب غير موجود بين التاء والواو "[2]، أي أنه لا يحق لنا – في وجهة نظره – أن نسمي ما حدث في تلك الكلمات إبدالاً، بل هو حذف ثم تعويض.

صحيح أن التاء والواو ليستا من المخرج نفسه، إلا أنهما ليستا متباعدتين إلى حد كبير، فالواو شفوية، والتاء أسنانية لثوية، كما أنه يوجد العديد من الأمثلة التي تم فيها إبدال الواو تاءً غير الأمثلة المذكورة، من ضمنها البند السابق الذكر وهو إبدال الواو تاءً في صيغة "افتعل"، مثل: اتَّزن، واتَّعد، واتَّصل، واتَّسم...

خامسًا: إبدال لام بعض الأسماء تاءً

يحدث إبدال لام الاسم تاءً إبدالاً غير مطرد فيما يأتي:

أ – عندما تكون لام الاسم واوًا، نحو: بنت، وأخت، لأنها من البنوة والأخوة، وكلتا أصلها كلوا، وهنت من هنوات[3]، لقول الشاعر[4]:

أَرَى ابْنَ نِزَارٍ قَدْ جَفَانِي وَمَلَّنِي   عَلَى هَنَوَاتٍ شَأْنُهَا مُتَتَابِعُ

واضح ما لصيغة بنو، وأخو، وكلو، وهنو من ثقل، حيث وقعت الواو متطرفة وهذا مستكره في العربية، وتحاول التخلص منه ما أمكنها ذلك، لذا تم إبدال الواو تاءً، فالتاء أخف من الواو، بالإضافة إلى أنها حافظت على معنى الكلمة ولم يحدث لبس بعد الإبدال.

---

[1] - انظر دراسات في فقه اللغة والفنولوجيا العربية: د. يحيى عبابنة، ٥٠ ـ ٥١

[2] - السابق: ٥٣

[3] - انظر الكتاب: سيبويه، ٣٦٣/٣ـ ٣٦٤ ، والتصريف الملوكي: ابن جني، ٣٤ ، ٣٦ ، والوجيز في علم التصريف: ابن الأنباري، ٥٢ـ ٥٣ ، ونزهة الطرف في علم الصرف: ابن هشام، ١٦١ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ٣٩/١٠ ـ ٤٠

[4] - الوجيز في علم التصريف: ابن الأنباري، ٥٢ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ٤٠/١٠

ولم ترد كلمة (بنت) في القرآن الكريم، بل وردت كلمة (ابنة) في قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾[1]، ووردت كلمة (أخت) في قوله عز من قائل: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [2]، ووردت (كلتا) في قوله عز وجل: ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾[3].

ب – تبدل لام بعض الأسماء تاءً عندما تكون ياءً، وذلك كما في كلمة ثنتان؛ لأنها من ثنيت، والاثنان تعني أنه قد ثني أحدهما على الآخر[4]، كما أبدلت الياء تاءً في " كيت وكيت وذيت وذيت "، أصلها كيَّة، وذيَّة[5].

وأغلب الظن أن السبب في إبدال الياء هو الثقل، فقد اجتمع في (ثنيان) الياء مع الألف، وفي ذلك ثقل كبير، كما أنه في حالة النصب والجر تصبح: (ثنيين)، فيجتمع ياءان، وفي هذا ثقل وجهد عضلي كبير، تم التخلص منه عن طريق إبدال الياء تاءً.

أما في كيَّة وذيَّة، ففي اجتماع الياءين ثقل، لذا قلبت الياء الثانية تاءً بعد حذف تاء التأنيث.

ج – تبدل لام الكلمة تاءً في (سدس) فتصبح ست؛ لأنها من التسديس، وتصغيرها سُديسة[6]، فقد أبدلت لام الكلمة وهي السين تاءً، فاجتمعت التاء المهموسة مع الدال المجهورة، فأدى ذلك إلى إحداث تنافر؛ لأنهما من المخرج نفسه، وتختلفان في الصفة – من حيث الجهر والهمس – فقلبت الدال تاءً للمماثلة وطلبًا للانسجام الصوتي، ونلاحظ أن الأضعف هنا هي التاء المهموسة، قد أثرت على الدال المجهورة، فجذبتها ناحيتها وقلبتها من جنسها، وكان من المتوقع أن يكون العكس، لأنه في أغلب الأحيان تكون الغلبة للأقوى، ويبدو أن هذا التأثير ليس من التاء وحدها فللسين دور في هذا الإبدال، حيث إنها مهموسة، فكأنما المهموسان قد أثرا باجتماعهما معًا على المجهور المفرد، فحلَّ مكانه مهموس مناسب لهما.

وكان علماؤنا القدماء على علم بالناحية الصوتية للصوامت، وأنه قد يحدث إبدال بعضها من بعض مراعاة للانسجام الصوتيّ بين صوامت الكلمة، فها هو ذا العلامة ابن جني يقول: " ولكنهم قلبوا السين الآخرة تاء لتقرب من الدال التي قبلها، وهي مع ذلك

[1] - سورة التحريم: الآية، ١٢
[2] - سورة مريم: الآية، ٢٨
[3] - سورة الكهف: الآية، ٣٣
[4] - الكتاب: سيبويه، ٣٤٦/٣ ، والوجيز في علم التصريف: ابن الأنباري، ٥٣ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ٤٠/١٠
[5] - نزهة الطرف في علم الصرف: ابن هشام، ١٦١ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ٤٠/١٠
[6] - شرح المفصل: ابن يعيش، ٤٠/١٠

حرف مهموس، كما أن السين مهموسة، فصار التقدير: سِدْت، فلما اجتمعت الدال والتاء وتقاربتا في المخرج أبدلوا الدال تاء لتُوافقها في الهمس، ثم أدغمت التاء في التاء، فصارت (سِتّ) كما ترى "[1].

وقد وردت كلمة (ستّ) ملحقاً بها تاء التأنيث لتذكير المعدود سبع مرات في القرآن الكريم[2]، ويمكن الاكتفاء بقوله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[3].

سادسًا: إبدال الواو ميمًا

يحدث ذلك في كلمة (فوه)، حيث تبدل الواو ميمًا في حالة الإفراد، فنقول: فم[4]، أما في حالة الإضافة فيجوز إبدال الواو ميماً ويجوز عدم الإبدال، فنقول: فوك وفمك[5]، وقد وردت كلتا الصيغتين في قول الفرزدق[6]:

هُمَا تَفَلا فِي فِيَّ مِنْ فَمَوَيْهِمَا   عَلَى النَّابِحِ العَاوِي أَشَدُّ رِجَامِ

وإبدال الواو ميمًا ليس بغريب، فكلاهما من الأصوات الشفوية، فهما من مخرج واحد، ولم ترد كلمة (فم) في القرآن الكريم، بل وردت على الأصل دون إبدال الواو ميمًا، كقوله تعالى: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾[7].

سابعًا: إبدال الياء هاءً

يحدث ذلك في كلمة (هذه) الأصل فيها هذي[8]، فاسم الإشارة للمذكر ذا، وللمؤنث ذي[9]، وأغلب الظن عندي أن الياء لم تبدل هاءً في (هذه) كما أشار القدماء، وإنما تم تقصير الصائت الطويل فأصبح كسرة، وتعويضاً عن هذا التقصير أضيفت الهاء إلى (هذِ) لتماثل هاء التنبيه في بداية الكلمة، وكسرت لمناسبة الكسرة قبلها.

ومن الشواهد القرآنية على (هذه) قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ

---

[1] - سر صناعة الإعراب: ١٤٥/١
[2] - انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، ٣٤٤
[3] - سورة الأعراف: الآية، ٥٤
[4] - الكتاب: سيبويه، ٣٦٥/٣ ، والوجيز في علم التصريف: ابن الأنباري، ٥٠
[5] - المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها: محمد الأنطاكي، ١١٥/١
[6] - ديوان الفرزدق: ٤٨٥ ، وانظر الكتاب: سيبويه، ٣٦٥/٣
[7] - سورة النور: الآية، ١٥
[8] - الكتاب: سيبويه، ٢٣٨/٤ ، والتصريف الملوكي: ابن جني، ٣٨ ، والوجيز في علم التصريف: ابن الأنباري، ٥٤ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ٤٤/١٠- ٤٥
[9] - شرح المفصل: ابن يعيش، ٤٥/١٠

الظَّالِمِينَ﴾[1]، وقوله: ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾[2].

ثامنًا: إبدال الهاء همزةً

تبدل الهاء همزةً كما في كلمة (ماء)، أصلها موه لقولهم أمواه، حيث قلبت الواو ألفًا، وقلبت الهاء همزةً[3]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[4].

ومثال آخر على قلب الهاء همزة كلمة (آل)، أصلها أهل، أبدلت الهاء همزةً فصارت (أأْل)، فلما توالت همزتان وتوالي الأمثال مستكره، أبدلت الثانية ألفًا فأصبحت آل[5]، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[6].

تاسعًا: إبدال أحد الصوامت المتماثلة ياءً

هذا الإبدال إمَّا أن يحدث لعين الكلمة وإمَّا للامها، وفيما يلي تفصيل ذلك:

أ – تبدل العين الأولى من الاسم الذي على وزن (فِعَّال) ياءً، نحو: ديباج، وقيراط، وشيراز، ودينار، الأصل فيها: دبَّاج، وقرَّاط، وشرَّاز، ودنَّار[7].

ويبدو أن الإبدال هنا كان لثقل المتماثلين، فلجأت العربية إلى المخالفة الصوتية لتختزل الجهد العضليّ، وتيسر النطق، وتحقق الانسجام الصوتيّ.

ب – تبدل لام (تفعّل) ياءً، شرط أن تكون العين المضعفة واللام صوامت متماثلة، نحو: تسرَّر، وتظنَّن، وتسنَّن، وتملَّل، وتقصَّص، وتقضَّض، وتلعَّع، فإن لام الكلمة تقلب ياءً فتصبح: تسرَّي، وتظنَّي، وتسنَّي، وتملَّي، وتقصَّي، وتقضَّي، وتصدَّي، وتلعَّي، وقد أشار القدماء إلى ذلك فذكروا أن تسرَّيت، وتظنَّيت، وتسنَّيت، وأمليت، وقصَّيت، وتقضَّيت، الأصل فيها: تسرّرت، وتظنَّنت، وتسنَّنت، وأمللت، وقصَّصت، وقضَّضت، والتصدية من الصد، وتلعَّيت من اللعاعة[8].

وهناك أفعال أخرى أضافها د. إبراهيم السامرائيّ مثل: دسَّى من دسَّس، وتمطَّى من تمطَّط، وتمدى من تمدَّد[9]، ويبدو أن التضعيف قد أحدث ثقلاً في الكلمة، فلجأت العربية إلى

---

[1] - سورة البقرة: الآية، ٣٥
[2] - سورة الطور: الآية، ١٤
[3] - سر صناعة الإعراب: ابن جني، ٩٨/١
[4] - سورة الأنبياء: الآية، ٣٠
[5] - سر صناعة الإعراب: ابن جني، ٩٩/١
[6] - سورة آل عمران: الآية، ٣٣
[7] - التصريف الملوكي: ابن جني، ٣١، ونزهة الطرف في علم الصرف: ابن هشام، ١٦٣- ١٦٤، وشرح المفصل: ابن يعيش: ٢٦/١٠
[8] - نزهة الطرف في علم الصرف: ابن هشام، ١٦٤- ١٦٥ ، وشرح المفصل: ابن يعيش: ٢٤/١٠- ٢٥
[9] - النحو العربي نقد وبناء: ٢٢٨ ، وانظر كتابه الفعل زمانه وأبنيته: ١١٦

المخالفة الصوتية، وذلك عن طريق إبدال لام الكلمة ياءً.

وقد وردت هذه الظاهرة في القرآن الكريم، كما في قوله عز وجل: ﴿فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[1]، وقوله: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾[2]، وقوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[3]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾[4]، وقوله: ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾[5]، وقوله: ﴿فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾[6]، وهنا في كلمة (يتسنه) حذفت الألف المبدلة من الياء للجزم في (يتسنَّى)، والأصل (يتسنن)، والهاء للسكت[7].

* * *

نكتفي بهذا القدر من أمثلة الإبدال، علمًا بأنه يوجد هناك العديد من الأمثلة الفردية التي لا تُشكِّل ظاهرةً يُنظر إليها بعين الاعتبار، فالهدف ليس حصر أمثلة الإبدال، فهذا الأمر يكاد يكون مستحيلاً؛ فاللغة العربية بحر عميق لا قرار له، واكتفيت بعرض الأمثلة المشهورة في الإبدال؛ لأدلل من خلالها على أن هذه الظاهرة في اللغة العربية منتشرة، وتلجأ إليها للتحول عن الصيغة الأصلية عندما يحدث فيها ثقل، ويكون هناك جهد عضلي في أثناء النطق بها، أو أنه يمكن النطق بالصيغة القديمة، إلا أن الصيغة التي حدث فيها إبدال أسهل نطقًا، فاللغة العربية تسعى دومًا وراء صيغة صرفية أكثر خفةً وانسجامًا بين أصواتها.

---

[1] - سورة الفرقان: الآية، ٥
[2] - سورة القيامة: الآية، ٣٣
[3] - سورة الشمس: الآية، ١٠
[4] - سورة الأنفال: الآية، ٣٥
[5] - سورة عبس: الآية، ٦
[6] - سورة البقرة: الآية، ٢٥٩
[7] - شرح المفصل: ابن يعيش، ٢٥/١٠

الفصل الخامس

الإدغــام

❖المبحث الأول: أنواع الإدغام

❖المبحث الثاني: حالات الإدغام، وهي:

أولاً: المتماثلان متحركان

ثانيًا: الأول متحرك والثاني ساكن

ثالثًا: الأول ساكن والثاني متحرك

يُعدُّ الإدغام مظهرًا آخر من مظاهر التحول عن الأصل، ويوضح العلامة سيبويه الثقل الناتج عن توالي صوتين متماثلين ولجوء العرب إلى الإدغام للتخفيف فيقول: " لأنه لما كانا من موضع واحد ثقل عليهم أن يرفعوا ألسنتهم من موضع ثم يعيدوها إلى ذلك الموضع للحرف الآخر، فلما ثقل عليهم ذلك أرادوا أن يرفعوا رفعة واحدة "[١].

ويعرِّف المبرد الإدغام بقوله: " اعلم أن الحرفين إذا كان لفظهما واحدًا فسكن الأول منهما فهو مدغم في الثاني. وتأويل قولنا (مدغم) أنه لا حركة تفصل بينهما، فإنما تعتمد لهما باللسان اعتمادةً واحدةً، لأنّ المخرج واحد، ولا فصل. وذلك قولك: قطّع، وكسّر "[٢].

أما ابن جني فقد عرَّفه بقوله: " هو تقريب صوت من صوت. وهو في الكلام على ضربين: أحدهما أن يلتقي المِثْلان على الأحكام التي يكون عنها الإدّغام، فيدَّغم الأول في الآخر. والأول من الحرفين في ذلك على ضربين: ساكن ومتحرك؛ فالمدّغم الساكن الأصل كطاء قطّع، وكاف سُكّر الأُوليين؛ والمتحرك نحو دال شدّ، ولام معتلّ. والآخر أن يلتقي المتقارِبان على الأحكام التي يسوغ معها الإدّغام، فتقلب أحدهما إلى لفظ صاحبه فتَدَّغمه فيه. وذلك مثل (وَدٍّ) في اللغة التميمية، وامَّحى، وامّاز، واصَّبر، وأثَّاقل عنه "[٣].

ويقول أيضًا: " ألا ترى أنك في قطَّع ونحوه قد أخفيت الساكن الأول في الثاني حتى نبا اللسان عنهما نبوة واحدة "[٤].

ويعرِّفه ابن الأنباري بقوله: " أن تصل حرفًا بحرف مثله من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف فينبو اللسان عنهما نبوة واحدة "[٥].

معنى ذلك أن الهدف من الإدغام هو اختصار الجهد العضلي وتجنب العمليات النطقية التي يمكن الاستغناء عنها، وكذلك تجنب النطق بحرف واحد مرتين، وهذا فيه ثقل على اللسان، فلجأت العربية إلى الإدغام من أجل الخفة التي هي جزء من الانسجام الصوتيّ.

وهناك تفسير مهم لثقل التقاء المتماثلين فسره الأستاذ الطيب البكوش بثقل التتابع المقطعيّ للغة العربية، فيرى أن اللغة العربية تستثقل " تتابع مقطعين قصيرين متماثلين "[٦]، لذا فإن العربية تسقط فتحة عين الفعل كما في (شدَدَ) التي تتكون من ثلاثة مقاطع قصيرة هي: ش ـَ / د ـَ / د ـَ، وعند التقاء الدال المفتوحة بالدال المفتوحة أي مقطعين قصيرين، فإن

---

[١] ـ الكتاب: ٥٣٠/٣
[٢] ـ المقتضب: ١٩٧/١
[٣] ـ الخصائص: ٤٩٥/١
[٤] ـ السابق: الصفحة نفسها
[٥] ـ أسرار العربية: ٤١٨
[٦] ـ التصريف العربي: ١٠٠ ، واضح من خلال المثال الذي ضربه (شدد) أنه يقصد المقطعين القصيرين المتماثلين من حيث المكونات الصوتية.

العربية تميل إلى التخلص من ذلك بإسقاط الصائت الذي يلي عين الكلمة، فتصبح شَدْدَ = شَدَّ، أي تصبح مكونة من مقطعين: ش ـَـ د / د ـَـ.

ويوضح الأستاذ البكوش ذلك بقوله: " وينتج عن إسقاط العين[1] أن العين التي كانت بداية المقطع الثاني، وهو منفتح قصير، تصبح نهاية مقطع منغلق، ويصبح الفعل مركباً من مقطعين فقط، الأول منغلق، والثاني منفتح قصير (شَدْ – دَ) ولا يخفى ما في ذلك من اقتصاد في الجهد النطقي وخفة في الصيغة الحاصلة "[2].

أولاً: أنواع الإدغام

يتضح من نص ابن جني الذي ورد في بداية هذا الفصل[3] أن الإدغام نوعان هما:

١ – إدغام المتماثلين، نحو: قطَّع، وسُكَّر، وشدَّ.

٢ – إدغام المتقاربين، ويحدث ذلك عند تجاور صامتين متحدين في المخرج، ولكنهما مختلفان في الصفة، أو يكونان متقاربين في المخرج، ومثل هذا التجاور للأصوات ثقيل على اللسان في أثناء النطق به، فيتجاذب الصوتان أحدهما الآخر ليتحدا في المخرج والصفة، ويصبحا متماثلين فيدغما[4].

ومثاله إدغام النون في الراء في قوله عز وجل: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾[5]، تنطق مِرَّبِّهِمْ.

ويُعنى الصرفيون بالنوع الأول، وهو ما سنفصله هنا – إن شاء الله تعالى – أما النوع الثاني[6] فهو موضع عناية علماء القراءات ومحط اهتمامهم، فلا داعي للخوض فيه.

علمًا بأنني سوف أتحدث عن إدغام المتماثلين الواقع في كلمة واحدة، أي في بنية صرفية واحدة، ولن أتطرق إلى إدغام المتماثلين في كلمتين منفصلتين.

ثانيًا: حالات الإدغام

للإدغام ثلاث حالات: الوجوب، والجواز، والامتناع، وهذه الحالات تتوقف على شكل المتماثلين من حيث التحرك والسكون، ويمكن عرضها في ثلاث صور[7]، هي:

١ – أن يكون المتماثلان متحركين.

---

[1] - هكذا ورد، ويبدو أنه يريد إسقاط فتحة العين وليس إسقاط العين.
[2] - التصريف العربي: ١٠٠
[3] - يمكن الرجوع إليه ص ١٤٢
[4] - انظر علم الأصوات اللغوية: د. مناف مهدي محمد، ١٤٠
[5] - سورة البقرة: الآية، ٥
[6] - يمكن الاستزادة حول هذا الموضوع بالرجوع إلى الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، ١٨٨ ـ ٢٠٧
[7] - انظر التطبيق الصرفي: د. عبده الراجحي، ٢٠٤ ، والمغني في علم الصرف: د. عبد الحميد مصطفى السيد، ١١٣

٢ – أن يكون الأول متحركًا، والثاني ساكنًا.
٣ – أن يكون الأول ساكنًا، والثاني متحركًا.

وفيما يلي تفصيل ذلك:

أولاً: المتماثلان متحركان

هذه الحالة يتردد فيها الإدغام بين الوجوب والجواز والامتناع على وفق التالي:
١ – إذا التقى المتماثلان المتحركان وليس أحدهما للإلحاق أو زائدًا وجب إدغامهما كما في شدَّ، أصلها شدَدَ، وردَّ أصلها ردَدَ، وحبَّ أصلها حبُبَ[١].

واضح ما لصيغة المتماثلين المتحركين من ثقل، لذا يتم حذف فتحة الصامت الأول من المتماثلين، ثم يدغمان بعضهما في بعض، فتخف وطأة توالي الصوتين المتماثلين، ومن أمثلته القرآنية قوله عز وجل: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا﴾[٢].

٢ – إذا تصدر المتماثلان المتحركان الكلمة امتنع الإدغام، وذلك كما في دَدَن[٣]، ويبدو أن السبب في عدم الإدغام هو أنه لو تم، فإنه سيؤدي إلى حذف الصائت الذي يلي الدال الأولى، وهذا مستكره في العربية أن نبدأ الكلمة بصوت ساكن، لذا سنضطر إلى إدخال همزة الوصل عليها، وبالتالي ستصبح الكلمة ادَّن، وهذا التغيير سيؤدي إلى الحصول على كلمة أخرى ليست هي المطلوبة.

٣ – إذا تصدر المتماثلان المتحركان، وكان الأول تاءً زائدةً بعده تاء أصلية هي فاء الفعل في (تفعلل) و(تفاعل) فإنه يجوز الإدغام، نحو تتلمذ وتتابع، يجوز أن نقول اتّلمذ، واتّابع[٤]، حيث سقطت الفتحة التي تلي التاء الأولى، وأدغمت التاءان بعضهما في بعض، ثم دخلت همزة الوصل على الكلمة حتى نتمكن من النطق بالساكن.

٤ – إذا اجتمع ثلاثة متماثلات فإنه يجب إدغام الأول في الثاني، ويمتنع الإدغام في الثالث، نحو قرَّر أصلها قَرْرَرَ، وجُسّسٌ أصلها جُسْسَسٌ (جمع جاسّ)[٥].

كقوله تعالى: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾[٦]، وقوله: ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾[٧].

---

١ - شرح المفصل: ابن يعيش، ١٢١/١٠ ، وانظر التطبيق الصرفي: د. عبده الراجحي، ٢٠٥ - ٢٠٦
٢ - سورة الزمر: الآية، ٤٩
٣ - التطبيق الصرفي: د.عبده الراجحي، ٢٠٦
٤ - السابق: ٢٠٦ - ٢٠٧
٥ - السابق: ٢٠٧
٦ - سورة يس: الآية، ٧٢
٧ - سورة التوبة: الآية، ٤٥

٥ – إذا جاء المتماثلان المتحركان في كلمة فيها زيادة للإلحاق، فإنه يمتنع الإدغام، نحو جلبب وشملل، فهما ملحقتان بدحرج، وقعدد ملحقة ببرثن، ورمدد ملحقة بزبرج، وعفنجج وألندد ملحقتان بسفرجل[١].

وتجدر الإشارة إلى أن هذا النوع من الكلمات غير وارد في القرآن الكريم، لأنه – في نظري – يوجد فيه ثقلان:

أ – ثقل اجتماع المتماثلين المتحركين، اللذين امتنع تخفيف اجتماعهما بالإدغام؛ لعلة الإلحاق بأوزان أخرى قد تكون غير مستعملة، أو نادرة الاستعمال.

ب – الثقل الثاني يتمثل في أن هذه الكلمات من الأوزان الرباعية أو الخماسية، وهذه الأوزان قليلة الاستعمال في القرآن الكريم، ويكاد يطرد ورود الأوزان الثلاثية؛ وذلك لخفتها وسهولة النطق بها.

٦ – إذا جاء المتماثلان المتحركان على وزن (فَعَل)، نحو: طَلَل، و(فُعُل) نحو: ذُلُل وسُرُر، و(فِعَل) نحو: لِمَم، و(فُعَل) نحو: دُرَر، فإنه يمتنع الإدغام، والعلة في عدم الإدغام أن هذه الأوزان للأسماء، فلو أدغم فإنه لن يؤمن اللبس، فربما يعتقد أنها أفعال[٢].

ومن هذه الأسماء التي يمتنع فيها الإدغام الواردة في القرآن الكريم كلمة (سُرُر) في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾[٣].

٧ – إذا كانت عين الفعل ولامه ياءين، ثانيتهما لازمة التحريك فإنه يجوز الإدغام، نحو: حَيِي، وعَيِي يجوز أن ندغم فنقول: حَيَّ وعَيَّ[٤]، كقوله تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾[٥].

أما إذا تحركت الياء الثانية حركة إعراب عارضة، أو إذا سكنت سكونًا عارضًا، فإنه يمتنع الإدغام، نحو: لن يُحْيِيَ، وعَيِيْتُ[٦].

ومنه قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[٧]، حيث بنيت الياء الثانية من الفعل (فلنحيينه) على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، فامتنع الإدغام.

---

[١] - شرح المفصل: ابن يعيش، ١٢٢/١٠
[٢] - السابق: ١٢٣/١٠
[٣] - سورة الطور: الآية، ٢٠
[٤] - الصرف وعلم الأصوات: د. ديزيرة سقال، ١٣٧
[٥] - سورة الأنفال: الآية، ٤٢
[٦] - الصرف وعلم الأصوات: د. ديزيرة سقال، ١٣٧ ، والتطبيق الصرفي: د. عبده الراجحي، ٢٠٨- ٢٠٩
[٧] - سورة النحل: الآية، ٩٧

٨ – إذا كان المتماثلان المتحركان تاءين في فعل على وزن (افتعل)، بحيث كانت التاء الثانية هي عين الفعل، فإنه يجوز الإدغام ويجوز الفك، نحو: اقتتل، فإذا أدغم المثلان، ففيه وجهان[١]:

أ – فتح القاف؛ لأنه عندما سكنت التاء الأولى انتقلت فتحتها إلى القاف، فاستغني عن همزة الوصل، ثم تم الإدغام، فأصبحت الكلمة قَتَّل.

ب – كسر القاف؛ لأنه أسقطت فتحة التاء الأولى، فكسرت القاف لالتقاء الساكنين، فاستغني عن همزة الوصل، ثم تم الإدغام، فأصبحت الكلمة قِتَّل.

يتراءى لي أن الإدغام هنا قد غير المعنى، فصيغة (اقتتل) على وزن (افتعل) فيها معنى المشاركة بين طرفين، بينما صيغة (قَتَّل) على وزن (فعَّل) فيها معنى المبالغة والزيادة في الحدث، فإذا كان الإدغام ملبساً، فلا داعي – في نظري – إليه.

ومما يؤيد ما ذهبت إليه أن كلمة (اقتتل) و(اقتتلوا) وردت في القرآن الكريم من غير إدغام، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾[٢]، وقوله: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾[٣].

ثانيًا: الأول متحرك والثاني ساكن

ويحدث ذلك فيما يلي:

١ – إذا جاء الفعل الثلاثي المضعف متصلاً بضمائر الرفع المتحركة، فإنه يمتنع الإدغام[٤]، فنقول: مَرَرْت، ومَرَرْنا، ومَرَرْن، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾[٥].

٢ – إذا جاء الفعل الثلاثي المضعف مضارعًا مجزومًا، فإنه يجوز فيه الإدغام ويجوز الفكُّ، فنقول: لم يمرَّ، ولم يمرُرْ.

ويعد الإدغام لهجة تميم، بينما الفكُّ لهجة أهل الحجاز[٦]، وقد جاء التنزيل على كلتا اللهجتين، كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[٧]،

---

[١] - انظر شرح المفصل: ابن يعيش، ١٢٢/١٠
[٢] - سورة البقرة: الآية، ٢٥٣
[٣] - سورة الحجرات: الآية، ٩
[٤] - التطبيق الصرفي: د. عبده الراجحي، ٢٠٤
[٥] - سورة الحجر: الآية، ١٩
[٦] - شرح التصريح على التوضيح: الشيخ خالد الأزهري، ٤٠١/٢
[٧] - سورة المائدة: الآية، ٥٤

وقال أيضاً: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾[1]، وقوله: ﴿وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[2]، وقال أيضاً: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[3]، وغيرها الكثير من الأمثلة.

٣ – إذا جاء الفعل الثلاثي المضعَّف على صورة الأمر، فإنه يجوز فيه الإدغام، وهي لهجة تميم، كما يجوز الفكُّ، وهي لهجة أهل الحجاز[4]، وجاء على الإدغام قول جرير يهجو الراعي النميريّ[5]:

فَغُضَّ الطَرْفَ إنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ ... فَلا كَعْبًا بَلَغْتَ وَلا كِلابَا

ويبدو أن التنزيل جاء على لهجة أهل الحجاز، كقوله تعالى: ﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾[6]، وقوله: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾[7].

٤ – إذا جاء المتماثلان في التعجب على صيغة (أَفْعِلْ بِهِ) فإنه يمتنع الإدغام، نحو: أَحْبِبْ بزيد، واشْدُدْ، ببياض وجه المتقين[8].

ترى الباحثة أن امتناع الإدغام هنا عائدٌ إلى سكون الفاء في فعل التعجب، فلو تم الإدغام فإنه سيجتمع ساكنان، فاء الفعل وعينه التي أصبحت ساكنة بعد إبدال حركتها مع سكون اللام ليتم الإدغام، وبالتالي سيلتقي ساكنان، مما يضطرنا إلى تحريك فاء الفعل بالكسرة، عندها سيتغير وزن صيغة التعجب من أفْعِل إلى أفِعِل، وهذا ليس من أوزان العربية.

ثالثًا: الأول ساكن والثاني متحرك

ويحدث ذلك في الحالات الآتية:

١ – إذا كان الفعل مضعف العين سواء أكان في الماضي أم في المضارع أم الأمر، فإنه يجب فيه الإدغام، نحو: سلَّم، ويسلِّم، وسلِّمْ[9]، كقوله تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾[10].

---

[1] - سورة البقرة: الآية، ٢١٧
[2] - سورة الحشر: الآية، ٤
[3] - سورة الأنفال: الآية، ١٣
[4] - شرح التصريح على التوضيح: الشيخ خالد الأزهري، ٤٠٥/٢
[5] - ديوان جرير: ٩٧، وانظر الكتاب: سيبويه، ٥٣٣/٣ (العجز في الهامش) ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ١٢٨/٩ ، وشرح التصريح على التوضيح: الشيخ خالد الأزهري، ٤٠١/٢
[6] - سورة لقمان: الآية، ١٩
[7] - سورة طه: الآية، ٢٧
[8] - شذا العرف في فن الصرف: الشيخ أحمد الحملاوي، ١٧٣
[9] - التطبيق الصرفي: د. عبده الراجحي، ٢٠٥
[10] - سورة محمد: الآية، ١٥

٢ – إذا اتصل الفعل المضعَّف الثلاثي بتاء التأنيث الساكنة، وألف الاثنين، وواو الجماعة، وياء المخاطبة، فإنه يجب الإدغام، نحو: مدَّتْ، ومدَّا، ومدُّوا، ومُدِّي.

ويمكن التمثيل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ﴾[1]، وقوله: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً﴾[2].

* * *

من عرضنا السابق لظاهرة الإدغام في اللغة العربية، يتضح أن الإدغام جزء من القواعد المقننة في لغتنا، التي تهدف من خلاله إلى تجنب ثقل التقاء المتماثلين، بيد أن الإدغام لا يحدث لأي متماثلين، بل هناك شروط معينة تحكمه.

فإذا أدى الإدغام إلى الالتباس بصيغ أخرى، مثل سُرُر (جمع سرير)، لو أدغم المتماثلان فإن الاسم سيتحول إلى فعل وهو سُرَّ (من السرور)، وبالتالي يمتنع الإدغام هنا، كما يمتنع عند اختراق قواعد صرفية أخرى، مثل جلبب التي ألحقت بدحرج، ويمتنع الإدغام عندما يؤدي إلى ثقل أكبر من ثقل الإظهار، وشاهدنا بعض الصيغ الصرفية التي يحدث فيها الإدغام تارة، ثم يختلف وضعها فيمتنع الإدغام فيها تارة أخرى، وذلك عند إسنادها إلى ضمائر الرفع.

الصيغ التي تم عرضها هنا هي التي حدث فيها التغيير لأجل الإدغام فقط، علمًا بأنه يوجد هناك صيغ صرفية أخرى حدث فيها الإدغام، ولكن بعد خطوة أخرى كالإعلال أو الإبدال، مثل كلمة (سيِّد)، أصلها سَيْوِد، قلبت الواو ياءً ثم أدغمت في الياء، و(اتَّصف)، أصلها اوتصف، قلبت الواو تاءً ثم أدغم في التاء، مثل هذه الأمثلة لم نتعرض لها هنا لأنها قد ذكرت في مكانها من هذه الدراسة، فلا داعي للتكرار.

وهكذا فإننا نرى أن الإدغام يهدف إلى الخفة في النطق مع توافر الانسجام الصوتيّ في بنية الكلمة، وذلك وفق قواعد صرفية منظمة تحكم الأمر وتقننه.

---

[1] - سورة يوسف: الآية، ٢٥
[2] - سورة مريم: الآية، ٢٥

الفصل السادس

الحـــذف

❖ المبحث الأول: حذف التاء

❖ المبحث الثاني: حذف النون الساكنة من مضارع كان

❖ المبحث الثالث: حذف التنوين من:

أ – المعرف بـ (أل)

ب – الممنوع من الصرف

❖ المبحث الرابع: الحذف من الاسم الخماسي

❖ المبحث الخامس: حذف عين الفعل المضعف

لا شك أن الحذف[1] في اللغة العربية نوع من التخفيف، ناتج عن وجود ثقل ما، وهذا الثقل يعرقل مسيرة الانسجام الصوتي بين صوامت الكلمة وصوائتها، لذا لا بد من التخلص من هذه العقبة حتى يتم الانسجام الصوتيّ الذي اعتاد عليه العربي في معظم كلامه، شرط أن يكون هذا الحذف غير مؤدٍ إلى حدوث لبس، أو إلى ظهور صيغة جديدة للكلمة أكثر ثقلاً، فالهدف من الحذف هو التخفيف.

يقول العلامة ابن جني بهذا الشأن: " وذلك أن العرب إذا حذفت من الكلمة حرفًا، إما ضرورة أو إيثارًا، فإنها تصوّر تلك الكلمة بعد الحذف منها تصويرًا تقبله أمثلة كلامها، ولا تعافه وتمجُّه لخروجه عنها "[2].

وتجدر الإشارة إلى أن المقصود بالحذف في هذا الفصل هو حذف أي صوت من أصوات العربية غير الألف والواو والياء والهمزة؛ لأنها قد درست في فصل الإعلال، مبحث الإعلال بالحذف، لذا سنتناول هنا بقية الأصوات اللغوية.

أولاً: حذف التاء

تحذف في المواضع الآتية:

١ – تحذف التاء من صيغ الأفعال التي على وزن **(تتفعَّل)**، و**(تتفاعل)**، و**(تتفعلل)**، نحو: تتقدَّم، وتتشارك، وتتبختر، فإنه يجوز أن نحذف التاء فنقول: تقدَّم، وتشارك، وتبختر.

يقول سيبويه: " فإن التقت التاءان في تتكلمون وتَتَتَرّسُون، فأنت بالخيار، إن شئت أثبتها، وإن شئت حذفت إحداهما. وتصديق ذلك قوله عز وجل: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾[3]، و﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾[4]. وإن شئت حذفت التاء الثانية. وتصديق ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾[5]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾[6]. وكانت الثانية أولى بالحذف "[7].

يستنتج من هذا النص أمران، هما:

أ – حذف التاء هنا جائز وليس واجبًا، إلا أن الحذف فيه خفة أكثر، وسنلاحظ بعد قليل أن القرآن الكريم قد جنح نحو الصيغة التي فيها حذف أكثر من الإثبات.

---

[1] - يطلق بعض المحدثين على الحذف مصطلح " الترخيم " انظر مثلاً التطور النحوي: براجشتراسر، ٧٠
[2] - الخصائص: ٣٤١/٢
[3] - سورة فصلت: الآية، ٣٠
[4] - سورة السجدة: الآية، ١٦
[5] - سورة القدر: الآية، ٤
[6] - سورة آل عمران: الآية، ١٤٣
[7] - الكتاب: ٤٧٦/٤

ب – أقرَّ سيبويه أن الحذف في هذه الأفعال يكون للتاء الثانية، وقد أيَّده في ذلك ابن جني فقال: " فيُكره اجتماع المثلين زائدين، فحذف الثاني منهما طلبًا للخفة بذلك "[1].

إذًا حذف التاء الثانية رأي البصريين، إلا أن الكوفيين يرون أن التاء المحذوفة هي تاء المضارعة؛ لأنها طارئة على صيغة الفعل فكانت زائدة، والزائد أولى بالحذف[2].

وقد أيَّد الكوفيين من المحدثين د. أحمد كشك فقال: " وحين تحرص اللغة على مبدأ درء التوالي المكروه. فإنها في سبيل ذلك تضحي بقواعد لغوية أخرى. فقد أمكن التضحية بتاء المضارع التي هي دليل المضارعة في الفعل تجنبًا من ثقل تجاور تاءين؛ ومن هنا فقد جاء المضارع أحيانًا خلوًا من تائه "[3].

ولكن لماذا نخلي الفعل من تاء المضارعة التي هي دليل مضارعته ؟ أليس الأولى حذف التاء الثانية التي هي زائدة على بنية الفعل المجرد ؟

على كل حال سواء أكانت التاء المحذوفة هي الأولى أم الثانية، المهم هو لماذا تم حذفها ؟

يجيب د. أحمد عبد المجيد هريدي عن هذا السؤال بقوله: " توالي التاءين ليس وحده هو المبرر أو المسوغ للحذف وإلا لوجدنا الحذف في تاء تفعَّل وتفاعل وتفعلل في الفعل الماضي فائي التاء مثل تَتَبَّع وتَتَابَع، وتَتَرَّب وتَتَرَّس وتَتَلْمَذ وتَتَامَّ، ولكن لا بد من وجود صوت آخر أو أصوات أخرى من مخرج التاء أو المخارج القريبة منه في موقع سابق أو لاحق هي التي أسهمت في إيجاد الثقل أو الجهد العضلي الزائد المبذول من اللسان في إصدار الأصوات اللغوية المكونة للكلمة في سياق الكلام "[4].

بمعنى أن حذف التاء هنا لأنها جاورت أصوات من محيطها الصوتيّ، كمجاورتها الأصوات الأسنانية وهي: (ظ، ذ، ث)، أو الأصوات الأسنانية اللثوية وهي: (ض، د، ط، ت، ز، ص، س)، أو الأصوات اللثوية وهي: (ل، ر، ن)، مما سبَّب هذا التقارب إلى إحداث ثقل مستكره، فتم حذف التاء.

وهذه الظاهرة منتشرة في القرآن الكريم، فعلى سبيل المثال وردت كلمة (تذكرون) في القرآن الكريم ١٧ مرة بحذف التاء في مقابل (تتذكرون) ٣ مرات بلا حذف[5]، كقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1].

---

[1] - المحتسب: ١١١/٢
[2] - شرح المفصل: ابن يعيش، ١٥٢/١٠
[3] - من وظائف الصوت اللغويّ: ١٦
[4] - حذف تاء تتفعَّل وتتفاعل في القرآن الكريم: ٤٨
[5] - انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، ٢٧٢

كما وردت (تنزل) بحذف التاء ٣ مرات، في مقابل مرة واحدة بلا حذف[٢]، كقوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[٣].

ووردت (تفرقوا) مرة واحدة بالحذف في مقابل (تتفرقوا) مرة واحدة بلا حذف[٤]، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[٥].

وورد (توفَّاهم) مرة واحدة بالحذف في مقابل (تتوفَّاهم) مرتين بلا حذف[٦]، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾[٧].

وهناك أمثلة كثيرة وردت في القرآن الكريم مرة واحدة بالحذف دون الإثبات، نذكر منها: قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ﴾[٨]، وقوله: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾[٩]، وقوله: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾[١٠]، وقوله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾[١١]، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[١٢]، وقوله: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾[١٣]، وقوله: ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾[١٤]، وقوله: ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾[١٥]، وقوله: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾[١٦]، وقوله: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾[١٧].

وقد وردت هذه الظاهرة في أشعار العرب، كقول المثقَّب العبديّ[١٨]:

لِمَنْ ظُعُنٌ تَطَلَّعُ مِنْ ضُبَيْبٍ   فَمَا خَرَجَتْ مِنَ الوَادِي لِحِينِ

وقال مالك بن الريب[١٩]:

وَلا تَنْسَيَا عَهْدِي خَلِيلَيَّ بَعْدَمَا   تَقَطَّعُ أَوْصَالِي وَتَبْلَى عِظَامِيَا

يبدو أن هذه الظاهرة كانت متفشيةً، فيا ترى ما هو السر وراء هذا التفشي ؟

---

[١] - سورة الأنعام: الآية، ١٥٢
[٢] - انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، ٦٩٨
[٣] - سورة الشعراء: الآية، ٢٢٢
[٤] - انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، ٥١٦
[٥] - سورة آل عمران: الآية، ١٠٣
[٦] - انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، ٧٥٦
[٧] - سورة النساء: الآية، ٩٧
[٨] - سورة البقرة: الآية، ٢٦٧
[٩] - سورة الأحزاب: الآية، ٣٣
[١٠] - سورة الحجرات: الآية، ١١
[١١] - سورة الحجرات: الآية، ١٢
[١٢] - سورة الحجرات: الآية، ١٣
[١٣] - سورة الأنفال: الآية، ٤٦
[١٤] - سورة عبس: الآية، ٦
[١٥] - سورة عبس: الآية، ١٠
[١٦] - سورة الليل: الآية، ١٤
[١٧] - سورة الملك: الآية، ٨
[١٨] - ديوان المثقَّب العبدي: ١٤٢
[١٩] - نوادر القالي: ١٣٧

ترى الباحثة أن الأمر راجع إلى السببين الآتيين:

أ – ليس الأمر مجرد حذف للتاء فقط، بل هو حذف للتاء مع الفتحة التي تليها، بمعنى أنه حذف مقطع قصير من بنية الكلمة، وبالتالي فإن عدد المقاطع في هذه الكلمة سيقل، ويجعلها أخف نطقًا، وهذا ما تسعى إليه العربية ما أمكنها ذلك، فهي تسعى إلى الخفة والسهولة مع توافر الانسجام الصوتيّ في بنية الكلمة العربية.

ويمكن توضيح التغيير المقطعيّ الحادث في هذه الكلمات من خلال المثال الآتي:

تتنزلُ = ت ـَ / ت ـَ/ ن ـَ ز/ ز ـَ/ ل ـُ ←

تنزل = ت ـَ/ ن ـَ ز/ ز ـَ/ ل ـُ

ب – إن تقليل عدد مقاطع الكلمة بحذف مقطع قصير منها سيؤدي – في اعتقادي – إلى زيادة النبر على الصوت المشدد في الكلمة، فمثلاً عندما نقرأ كلمة (تتلظَّى)، صحيح أنه يوجد نبر على الظاء المشددة، ولكنه ليس بقوة النبر في حال حذف التاء، حاول أن تنطق كلمة (تلظَّى)، وستلاحظ قوة النبر على الظاء المشددة، مما يشعرنا بشدة التهديد الكامن في هذه الكلمة، والكلمات التي حدث فيها حذف التاء بحاجة إلى قوة النبر؛ لأن أغلبها تقع في مجال التهديد والوعيد والنهي عن منكر ما، وقليل منها ما جاء للترغيب.

٢ – تحذف التاء من **استطاع ويستطيع**، يقول سيبويه: " كما حذفوا التاء من قولهم: يَسْتَطِيعُ فقالوا يَسْطِيعُ؛ حيث كثرت، كراهية تحريك السين، وكان هذا أحرى إذ كان زائدًا، استثقلوا في يسطيع التاء مع الطاء، وكرهوا أن يدغموا التاء في الطاء فتحرك السين، وهي لا تحرك أبدًا، فحذفوا التاء "[١].

يفهم من هذا النص أن حذف التاء من (استطاع) و(يستطيع) للأسباب الآتية:

أ – كثرة الاستعمال، فحذفت التاء كنوع من التخفيف.

ب – لاجتماع التاء مع الطاء، ومن المعلوم أن صوت الطاء هو النظير المفخم للتاء، وفي اجتماعهما ثقل على اللسان؛ لذا حذفت التاء.

ج – كره العرب إدغام التاء في الطاء طلبًا للخفة والسرعة في النطق؛ لأنهم إن أدغموهما فسيؤدي ذلك إلى تحريك السين، والسين صوت ساكن لا يتحرك هنا، فآثروا حذف التاء.

وحذف التاء من (استطاع) و(يستطيع) لم يرد في القرآن الكريم إلا في سورة الكهف، في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾[٢]، نلاحظ هنا أنه قد تم حذف التاء من (يستطيع)، كما قصرت الياء لتكون مقطع مديد ليس هذا موضعه، وكأن هذا التقصير

---

[١] - الكتاب: ٤٨٣/٤

[٢] - سورة الكهف: الآية، ٨٢

والتقليص من بنية الكلمة فيه سرعة في النطق، مما ينبئ عن تسرع سيدنا موسى – عليه السلام – وعدم صبره على المواقف التي مر بها خلال مرافقته للعبد الصالح.

وورد الحذف أيضًا في قوله عز وجل: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾[1]، حيث وردت في هذه الآية الكريمة (استطاعوا) بحذف التاء وإثباتها.

٣ – تحذف **تاء العوض** من نهاية المصدر، فقد ورد جواز حذفها من المصادر، وذلك عند إضافتها، فجاء المصدر (إقامة) في القرآن الكريم محذوف التاء في موضعين هما:

١ – قوله عز وجل: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾[2].

٢ – وقوله: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾[3].

وفي اعتقادي أن التاء حذفت من المصدر (إقامة) فأصبحت (إقام) حتى يحدث التوازن الموسيقيّ والانسجام الصوتيّ بينها وبين المصدر (إيتاء) الذي تخلو نهايته من التاء.

وورد أيضًا حذف التاء من نهاية المصدر في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾[4]، حذفت التاء من المصدر (غلبهم) والأصل أن يكون (غلبتهم).

يتراءى لي أن سبب الحذف هنا هو أن الصيغة الأخيرة مستثقلة، فهي مكونة من خمسة مقاطع، منها أربعة مقاطع متوالية قصيرة، وهذا مستكره في اللغة العربية، لذلك حذفت التاء للتخفيف، فحذفها لن يغير في المعنى، بالإضافة إلى أنه سيؤدي إلى تقليل المقاطع من خمسة إلى أربعة مقاطع، وستصبح بنية الكلمة أخف وأكثر انسجامًا.

ويمكن توضيح ما حدث من تغيير مقطعيّ في كلمة (غلبتهم) من خلال ما يأتي:

غَلَبَتِهِمْ = غ ــَ / ل ــَ / ب ــَ / ت ــِ / هـــِ م ←

غَلَبِهِمْ = غ ــَ / ل ــَ / ب ــِ / هـــِ م

وقد ورد ذلك في قول الفضل بن عباس[5]:

إِنَّ الخَلِيطَ أَجَدُّوا البَيْنَ فَانْجَرَدُوا وَأَخْلَفُوكَ عِدَ الأَمْرِ الَّذِي وَعَدُوا

ذكر: عِدَ، والأصل أن يقول: عِدَةَ مصدر الفعل وعد.

[1] - سورة الكهف: الآية، ٩٧
[2] - سورة الأنبياء: الآية، ٧٣
[3] - سورة النور: الآية، ٣٧
[4] - سورة الروم: الآية، ٣
[5] - شرح التصريح على التوضيح: الشيخ خالد الأزهري، ٣٩٦/٢

٤ – تحذف تاء التأنيث من نهاية **الاسم المنسوب إليه**[١]، فنقول في مكة > مكيّ، وفاطمة > فاطميّ، ولو أن هذه التاء لم تحذف، لكان نطق الكلمات السابقة مكتيّ، وفاطمتيّ، وواضح ما لتلك الصيغة من ثقل في أثناء النطق بها، وأن حذف التاء سيؤدي إلى تقليل بنية الكلمة بتقليل عدد المقاطع، فتصبح أخف وأسهل في النطق، مما يحقق الانسجام الصوتي فيها.

ومن الأمثلة الواردة في القرآن الكريم على حذف التاء من نهاية الاسم المنسوب إليه، قوله تعالى: ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ﴾[٢]، لجيّ نسبة إلى لجَّة، حيث حذفت التاء عند النسب إليه.

٥ – تحذف التاء من نهاية الاسم عند جمعه **جمع مؤنث سالمًا**[٣]، فنقول في جمع شجرة > شجرات، وبنت > بنات، وطلحة > طلحات، ولو أن هذه التاء لم تحذف، فإن نطق الكلمة سيكون فيه ثقل وجهد عضلي كبير، ناتج عن توالي تاءين لا يفصل بينهما سوى الألف، وحذف هذه التاء الزائدة لن يؤثر في المعنى، كما أنه سيؤدي إلى تقليل عدد مقاطع الكلمة، ويجعلها أكثر خفة وانسجامًا في أصواتها.

ومن الأمثلة الواردة في القرآن الكريم على حذف تاء التأنيث من نهاية الاسم المجموع جمع مؤنث سالمًا، قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ﴾[٤]، فقد ورد حذف التاء من (بقرة) و(سنبلة) و(يابسة) عند جمعها جمع مؤنث سالمًا.

ثانيًا: حذف النون الساكنة من مضارع كان

يجوز حذف النون من مضارع (كان) في حالة الجزم، شرط أن يكون الصوت التالي للنون متحركًا، وألا يكون المتحرك ضميرًا متصلاً[٥]، ويرى سيبويه أن ذلك قد ورد كثيرًا في كلام العرب، وأرجع حذف النون هنا لكثرة الاستعمال[٦].

وفي القرآن الكريم ورد حذف النون من (أكن) مرة واحدة في قولـــه عز وجل: ﴿وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا﴾[١]، بينما وردت ست مرات غير محذوفة النون[٢]، وورد حذف النون من (يكن) ثماني مرات منها قوله تعالى: ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡ﴾[٣]، في حين ورد ثبوتها ٣١ مرة[٤]، وورد حذف

[١] - انظر الكتاب: سيبويه، ٣/٣٣٥-٣٦١ ، لاحظ أن سيبويه يطلق على النسب باب الإضافة ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ١٤٤/٥
[٢] - سورة النور: الآية، ٤٠
[٣] - انظر الكتاب: سيبويه، ٣٦٤/٣
[٤] - سورة يوسف: الآية، ٤٣
[٥] - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ٢٥٤/١
[٦] - الكتاب: ١٩٦/٢

النون من (تكن) سبع مرات منها قوله تعالى:﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾[5]، بينما وردت ٢١ مرة من غير حذف النون[6]، وورد حذف النون من (نكن) مرتين، هما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾[7]، وقوله: ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾[8]، بينما وردت ٤ مرات غير محذوفة النون[9]، وتدل هذه الإحصاءات أن حذف النون هنا ليس واجباً، وما ذلك إلا من قبيل التخفيف.

ثالثًا: حذف التنوين

أ – المعرف بـ (أل)

عند دخول (أل) التعريف على الاسم النكرة فإن التنوين يحذف منه، نحو: الرجلُ[10]، والأصل الرجلٌ.

أقر النحاة القدماء أن الحذف هنا واجب لناحية معنوية، فـــ (أل) التعريف تدل على أن هذه الكلمة أصبحت معرفة لدى السامع أو القارئ، بينما التنوين يدل على التنكير، " فأل التعريف والتنوين نقيضان ولا يجتمعان "[11].

وترى الباحثة أنه يوجد بالإضافة إلى ذلك سبب آخر يتعلق بالناحية الصوتية، فكلمة (رجلٌ) مثلاً، التنوين فيها زائد للتنكير، وعند تعريفها بـــ (أل)، سيدخل عليها زائدة أخرى، فسيجتمع في الكلمة زائدتان، مما يسبب لها ثقلاً ناتجًا عن زيادة عدد مقاطع الكلمة، والعربية تسعى دائمًا نحو التخفيف، طالما أن ذلك التخفيف متسق مع قواعدها، ولا يخل بالمعنى، فكان لا بد من التخفيف عن طريق حذف التنوين لثقل العنصر اللغويّ.

وقد أشار المالقي إلى ثقل اجتماع التعريف مع التنوين بقولـــه: " إن الألف واللام زائدتان في أول الاسم والتنوين زائدٌ في آخره فثقلت الزيادة "[12].

---

[1] - سورة مريم: الآية، ٢٠
[2] - انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، ٦٣٧
[3] - سورة التوبة: الآية، ٧٤
[4] - انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، ٦٣٩
[5] - سورة غافر: الآية، ٢٠
[6] - انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، ٦٣٨
[7] - سورة المدثر: الآية، ٤٣
[8] - سورة المدثر: الآية، ٤٤
[9] - انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، ٦٣٩
[10] - الخصائص: ابن جني، ١٣٧/٢ ، ومغني اللبيب: ابن هشام، ٨٤٣
[11] - رصف المباني في شرح حروف المعاني: المالقي، ٣٥٧
[12] - رصف المباني في شرح حروف المعاني: المالقي، ٣٥٧

والآيات القرآنية على المعرف بـــ(أل) كثيرة نذكر منها قوله تعالى:﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾[1]، حيث دخلت (أل) التعريف على (ليل) فحذف التنوين منها، بينما لم تدخل على (لباسًا) فبقي التنوين.

وقوله: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾[2]، حيث دخلت (أل) التعريف على (قمر، وشمس) فحذف التنوين منهما، بينما لم تدخل على (نورًا وسراجًا) فبقيتا منونتين.

ب – الممنوع من الصرف

يحذف التنوين من الممنوع من الصرف طلبًا للخفة، على اعتبار ثقله فأراد العرب التخفيف عن طريق حذف التنوين منه، نحو جاء أحمدُ[3].

ويوضح د. أحمد عفيفي ذلك بقوله عن الممنوع من الصرف: " وهذا الباب يؤثر فيه الثقل بشكل كبير مجسد، فحذف التنوين الذي هو علم الخفة، هو حذف تتخفف فيه الكلمة من بعض حروفها المنطوقة لا المكتوبة، وللنطق دور كبير في حذف مثل هذه الحروف؛ لأن في النطق إحساسًا بمدى ثقل الكلمة أو الجملة أو خفتها "[4].

ومن الآيات القرآنية على الممنوع من الصرف قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾[5]، حيث حذف التنوين من (إبراهيمُ) و(إسماعيلُ) لثقل الممنوع من الصرف.

رابعًا: الحذف من الاسم الخماسي

يقول ابن يعيش: " اعلم أن التصغير إنما هو للثلاثي والرباعي من الأسماء فأما الثلاثي فهو أقعد في التصغير من الرباعي لأنه أعدل الأبنية وأخفها ولذلك كثرت أبنيته وكان له في التكسير بناآن بناء قلة وبناء كثرة فكان أقبل للتغيير وأحمل للزيادة وأما الرباعي فهو متوسط بين الثلاثي والخماسي وأثقل من الثلاثي ولذلك قل التصرف فيه فلم يكن له في التكسير إلا بناء واحد وهو للكثير والقليل، وأما (الخماسي) فثقيل جداً لكثرة حروفه فلم يزد ثقلاً بزيادة ياء التصغير وتغيير بضم أوله وكسر ما بعد يائه وذلك مما يزيده ثقلاً فإذا أريد تصغيره حذف منه حرف حتى يرجع إلى الأربعة ثم يصغر بمثال الرباعي وهو فُعَيْعِل نحو سُفيرج كما كسر على مثال الرباعي وهو فعالل نحو سفارج كجعافر "[6].

---

[1] - سورة النبأ: الآية، ١٠
[2] - سورة نوح: الآية، ١٦
[3] - الكتاب: سيبويه، ١٩٣/٣
[4] - ظاهرة التخفيف في النحو العربيّ: ٢٩٠
[5] - سورة البقرة: الآية، ١٢٧
[6] - شرح المفصل: ١١٦/٥

يُؤخذ من هذا النص ما يلي:

١ – أن البنية الصرفية للاسم الثلاثي أكثر الأبنية العربية انتشارًا، وتقبل التصغير وجمع التكسير دون حذف من بنيتها الأصلية.

٢ – أن البنية الصرفية للاسم الرباعي أقل انتشارًا من الاسم الثلاثي، وأكثر انتشارًا من الاسم الخماسي، وتقبل التصغير وجمع التكسير دون حذف من بنيتها الأصلية.

٣ – أن البنية الصرفية للاسم الخماسي فما فوق هي الأقل انتشارًا؛ لكثرة صوامت الكلمة مما يزيدها ثقلاً، وخاصة إذا حاولنا تصغيرها أو جمعها جمع تكسير، وإذا ما فعلنا ذلك فإنه لا بد من حذف صامت منها حتى تصبح على بنية الاسم الرباعي، نحو كلمة سفرجل، عند تصغيرها نقول سُفيرج، وعند جمعها جمع تكسير نقول: سفارج، حيث حذف الصامت الأخير منها عند التصغير وعند جمع التكسير.

ليس دائمًا الذي يحذف هو الصامت الأخير من الاسم الخماسي، فربما يكون المحذوف الصامت الذي يسبق الأخير، نحو فرزدق، تصغر على فُريزد، وفريزق، وعند جمعها جمع تكسير نقول: فرازد، وفرازق[1].

هذا عن الاسم الثلاثيّ والرباعيّ والخماسيّ الذي جميع صوامته أصلية، ولكن ماذا عن الاسم الذي ليست جميع صوامته أصلية؛ لوجود زيادة فيها، مثل (منطلق) فكيف تصغر ؟ وكيف تجمع جمع تكسير ؟

يجيب العلامة ابن جنيّ عن هذا السؤال فيقول: " فإذا أنت حذفتها بقي لفظه بعد حذفها: مُطَلِق، ومثاله مُفَعِل. وهذا وزن ليس في كلامهم؛ فلا بدّ إذاً من نقله إلى أمثلتهم. ويجب حينئذ أن يُنقل في التقدير إلى أقرب المُثُل منه؛ ليقرب المأخذ، ويقلّ التعسف. فينبغي أن تقدّره قد صار بعد حذفه إلى: مُطْلِق؛ لأنه أقرب إلى مُطَلِق من غيره، ثم حينئذٍ من بعدُ تحقّره، فتقول: مُطَيلق، وتكسّره فتقول: مطالق "[2].

نلاحظ أن ابن جنيّ استخدم المبدأ نفسه، وهو تقليل بنية الكلمة من الخماسيّ إلى الرباعيّ، فبحث عن الصامت الذي يمكن الاستغناء عنه، فلم يجد سوى النون؛ لأنه زائد وحذفه لن يؤثر في معنى الكلمة.

معنى ذلك أن الحذف من الخماسي ليس دائمًا يكون للصامت الرابع أو الخامس من الاسم، بل قد يكون الثاني كما في (مُطيلق) و(مطالق)، فهذا الأمر يتوقف على أصلية صوامت الاسم من زيادتها.

---

[1] - السابق: ١١٧/٥

[2] - الخصائص: ٣٤١/٢

ومن الجدير بالذكر أن القرآن الكريم يخلو من مثال ولو واحد على هذه الأبنية الخماسية العسيرة النطق، مما يدل على أن كلام الله – عز وجل – أغلبه من الأبنية الثلاثية لخفتها وانتشارها، ثم من الأبنية الرباعية، وأن كلامه – عز وجل – يبتعد عن اللفظ المستثقل، ويميل إلى اللفظ السلس الذي يمتاز بخفته وانسجام أصواته.

خامسًا: حذف عين الفعل المضعف

الفعل الثلاثي المضعف هو الذي تكون عينه ولامه من جنس واحد مثل: مدَّ، والأصل في الفعل الثلاثي المضعف عند إسناده إلى ضمائر الرفع المتحركة أن يفك التضعيف، دون حذف إن كان عين الفعل مفتوحًا، فنقول: مددتُ، ومددنا، ومددن، وعلى ذلك جاء التنزيل كما في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾[١].

بيد أنه قد وردت أفعال مضعَّفة قد شذت عن تلك القاعدة، هي: ظلَّ، وأحسَّ، ومسَّ عند إسنادها إلى تاء الفاعل تصبح: ظلْتُ، وأحسْتُ، ومسْتُ، فقد بنيت لام الفعل على السكون لاتصالها بضمائر الرفع المتحركة، وحذفت عين الفعل، وهو حذف شاذ عند سيبويه، أي أنه مقصور على ما نقل ولا يطرد في غيره[٢].

والقياس في هذه المسألة أنه متى كان الفعل ماضيًا ثلاثيًّا مكسور العين، وكانت عينه ولامه من جنس واحد، جاز عند إسناده إلى ضمائر الرفع المتحركة ثلاثة أوجه، هي[٣]:

١ – عدم الحذف مع فك الإدغام، نحو: ظَلِلْتُ، وظَلِلْنَا، وظَلِلْنَ.
٢ – حذف العين مع نقل الصائت الذي يليها إلى الفاء، نحو: ظِلْتُ، وظِلْنَا، ظِلْنَ.
٣ – حذف العين مع الصائت الذي يليها، نحو: ظَلْتُ، وظَلْنَا، ظَلْنَ.

وعلى الوجه الثالث جاء قوله تعالى: ﴿وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾[٤]، وقوله: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾[٥].

أما إذا زاد الفعل عن ثلاثة فالقياس عدم الحذف، وشذَّ عن ذلك أحسست، حيث تحذف عينه، نحو: أحَسْتُ[٦].

---

[١] - سورة الإنسان: الآية، ٢٨
[٢] - الكتاب: ٤٢١/٤
[٣] - السابق: ٤٢٢/٤
[٤] - سورة طه: الآية، ٩٧
[٥] - سورة الواقعة: الآية، ٦٥
[٦] - الكتاب: سيبويه: ٤٢١/٤

وإذا كان الفعل المضعَّف مكسور العين في المضارع أو الأمر، واتصل بنون النسوة جاز فيه الإثبات وجاز الحذف مع نقل الصائت الذي يلي العين إلى الفاء، نحو: يقْرِرْنَ، ويقِرْن، واقْررن، وقِرْن[1]، وعليه جاء قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾[2].

*   *   *

يتضح من خلال عرضنا السابق أن الحذف في العربية قد يكون لأحد الأسباب الآتية:

١ – للتخفيف، وذلك كما رأينا في حذف تاء (تتفعّل)، و(تتفاعل)، و(تتفعلل)، وجاء الحذف للتخفيف أيضًا في (استطاع) و(يستطيع)، وحذفها جائز لا واجب، وتحذف تاء العوض من المصدر عند إضافته؛ وذلك أيضًا للتخفيف.

٢ – للثقل، كما في حذف التاء من نهاية الاسم المنسوب إليه، وحذف التنوين من المعرف بـــ (أل) والممنوع من الصرف.

٣ – لتوالي الأمثال، حيث تحذف التاء من الاسم المختوم بها، عند جمعه جمع مؤنث سالمًا؛ كراهية توالي الأمثال لا يفصل بينهما سوى الألف.

٤ – لكثرة الاستعمال، وذلك كما في حذف النون من مضارع (كان) في حالة الجزم، فإنه يجوز أن نقول: لم يك.

٥ – لكثرة صوامت الكلمة، فعند تصغير الاسم الخماسي وما فوق أو جمعه جمع تكسير فإن بعض صوامته تحذف؛ لكثرتها في الصيغة الصرفية مما يسبب ثقلاً فيها، كما أن أوزان التصغير لا تنطبق عليها إلا بعد الحذف منها حتى تصل إلى أربعة صوامت.

٦ – للعُرف السائد، قد يكون الحذف شذوذًا عن القاعدة، حيث تعارف عليه بعض العرب في أفعال معينة دون غيرها، كما في ظلت، وأحست، ومست، وهذا الحذف يحفظ ولا يقاس عليه.

وتجدر الإشارة إلى أن العربية تلجأ أحيانًا إلى نقيض الحذف وهو الزيادة، كما في الفعل المضارع المسند إلى نون النسوة المؤكد بالنون، إذ تزيد العربية فيه ألفًا تفصل بين نون النسوة ونون التوكيد[3]، منعًا من توالي الأمثال فنقول في توكيد الفعل يكتبْنَ > يكتبنانِّ، فالزيادة هنا للتخفيف من حدة توالي الأمثال، فيتحقق الانسجام الصوتي في بنية الكلمة.

---

[1] - نزهة الطرف في علم الصرف: الميداني، ٥٦
[2] - سورة الأحزاب: الآية، ٣٣
[3] - التطور اللغويّ: د. رمضان عبد التواب، ٤٤

الفصل السابع
القلب المكانيّ

❖ المبحث الأول: أسباب القلب المكاني

❖ المبحث الثاني: أنواع القلب المكاني، وهي:

١ – تقديم العين على الفاء

٢ – تقديم اللام على الفاء

٣ – تقديم اللام على العين

٤ – تقديم العين واللام على الفاء

يوضح الإستراباذي المقصود بالقلب المكانيّ بقوله: " يعني بالقلب تقديم بعض حروف الكلمة على بعض، وأكثر ما يتفق القلب في المعتل والمهموز، وقد جاء في غيرهما قليلاً "[1].

معنى ذلك أن القلب المكانيّ يحدث فيه تغيير الوضع الأصلي لبعض صوامت الكلمة الواحدة، فيتقدم صامت على غيره من صوامت الكلمة أو يتأخر، فإذا تصورنا مادة الميزان الصرفي **(فعل)** قد حدث فيها قلب مكانيّ بتقديم اللام على العين فإن وزن الكلمة يصبح **(فلع)** وإذا تقدمت العين على الفاء فإن الوزن الصرفي للكلمة يصبح **(عفل)**.

أولاً: أسباب القلب المكانيّ

يمكن تلخيص الأسباب المؤدية إلى القلب المكاني في النقاط الآتية[2]:

١ – التخلص من مستقبح في الكلام، أي أن عدم القلب سيؤدي إلى وجود ما لا يقبله الذوق السليم، كاجتماع همزتين وبينهما حاجز غير حصين، كما في كلمة أشياء جمع شيء، كان ينبغي أن تجمع على شيئاء.

٢ – طلب الخفة كما في جاءٍ، اسم الفاعل من جاء، وأصله جائئ، فقد اجتمعت همزتان في طرف الكلمة، فقدمت الثانية ثم قلبت الأولى ياءً فأصبحت الكلمة جائي، ثم أعلت مثل قاضٍ.

٣ – قد يكون القلب المكانيّ نتيجة خطأ في اللغة أو تلاعب فيها، وما يهمنا في مجال البحث والدراسة ما جاء للتخلص من مستقبح في الكلام ولطلب الخفة.

ثانيًا: أنواع القلب المكانيّ

يمكن تقسيم القلب المكانيّ – حسب الصامت المتقدم في الكلمة – إلى أربعة أنواع، هي:

١ – تقديم العين على الفاء

عند تقديم العين على الفاء تصبح الكلمة على وزن **(عفل)** ومن أمثلته:

أ – **جاه:** أصل الكلمة وَجْه[3]، على وزن "فَعْل"، تقدمت العين على الفاء فأصبحت جوْه، ثم فتحت الفاء فأصبحت جَوَه، ثم قلبت الواو ألفًا لانفتاحها وانفتاح ما قبلها فأصبحت جاه[4].

ب – **أينق:** أصلها أنيق جمع ناقة على وزن "أفعُل" وأصلها أنوق، استثقلت الضمة على الواو فقدمت وأصبحت أونق، ثم أبدلت الواو ياء فأصبحت أينق، على وزن "أعفل"[5].

---

[1] - شرح شافية ابن الحاجب: ٢١/١

[2] - انظر تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات: د. صالح سليم الفاخري، ٦١

[3] - شرح شافية ابن الحاجب: الإستراباذي، ٢٣/١

[4] - أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب: د. عصام نور الدين، ١٦٢

[5] - الكتاب: سيبويه، ٤٦٦/٣ ، وشرح شافية ابن الحاجب: الإستراباذي، ٢٢/١

ج – **أيس:** أصلها يئس[1]، على وزن "فَعِل"، قدمت الهمزة على الياء فصارت أيس على وزن "عفل".

د – **آراء:** جمع رأي، والأصل أن يكوم جمعها على "أفعال" أي أرأاء[2]، قدمت الهمزة الثانية على الراء فأصبحت آراء على وزن "أعفال"، وينطبق على آبار[3]، وآرام[4] ما انطبق على آراء، ويمكن تلخيص ذلك في المعادلتين الآتيتين:

بئر (فِعْل) > أبأار (أَفْعال) > آبار (أَعْفال)

رئم (فَعْل) > أرأام (أَفْعال) > آرام (أَعْفال)

٢ – تقديم اللام على الفاء

عند تقديم اللام على الفاء تصبح الكلمة على وزن "لفع"، وهذا النوع نادر، ومثاله كلمة **أشياء** جمع شيء، و**أفياء** جمع فيء.

اختلف القدماء في أصل أشياء، ولكن الذي يهمنا في هذا المقام هو مذهب سيبويه، حيث يري أن أصل أشياء هو شيئاء[5]، على وزن "فعلاء"، ثم تقدمت الهمزة التي هي لام الكلمة على الفاء؛ كراهية اجتماع همزتين لا يفصل بينهما حاجز غير حصين وهو الألف، فصارت الكلمة أشياء على وزن "لفعاء"، وتعد هذه الكلمة ممنوعة من الصرف[6]؛ لانتهائها بألف مد زائدة للتأنيث، وذلك عندما تكون غير معرفة بأل ولا بالإضافة.

وقد جاء عليها قوله تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[7].

٣ – تقديم اللام على العين

عند تقديم اللام على العين تصبح الكلمة على وزن "فلع"، ومن أمثلتها:

أ – **ناء:** أصلها نأي[8]، على وزن "فعل"، تقدمت الياء على الهمزة، ثم قلبت ألفًا؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها، فأصبحت ناء على وزن "فلع".

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾[9]، روي أن أبا

---

[1] - شرح شافية ابن الحاجب: الإستراباذي، ٢٤/١
[2] - السابق: الصفحة نفسها
[3] - السابق: الصفحة نفسها
[4] - شذا العرف في فن الصرف: الشيخ أحمد الحملاوي، ٢٤
[5] - الكتاب: ٣٨٠/٤
[6] - شرح شافية ابن الحاجب: الإستراباذي، ٢٨/١
[7] - سورة المائدة: الآية، ١٠١
[8] - شذا العرف في فن الصرف: الشيخ أحمد الحملاوي، ٢٣
[9] - سورة الإسراء: الآية، ٨٣

جعفر وابن ذكوان قد قرآ (ناء) بدلاً من (نأى)[١].

وقال امرؤ القيس في معلقته الشهيرة[٢]:

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ   وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَلْكَلِ

ب – **راء:** أصلها رأي[٣]، على وزن "فعل"، وقد حدث فيها مثلما حدث بنأي، حيث تقدمت الياء على الهمزة، ثم قلبت ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها، فأصبحت راء على وزن "فلع".

كقول كثير عزة[٤]:

وَكُلُّ خَلِيلٍ رَاءَنِي فَهْوَ قَائِلٌ   مِنْ اجْلِكِ هَذَا هَامَةُ اليَوْمِ أَوْ غَدِ

ذكر راءني: والأصل رآني.

ج – **سأى:** أصلها ساء[٥]، على وزن "فعل"، تقدمت الهمزة على الألف، فأصبحت سأى على وزن "فلع".

كقول كعب بن مالك[٦]:

لَقَدْ لَقِيَتْ قُرَيْظَةُ مَا سَآهَا   وَحَلَّ بِدَارِها ذُلٌّ ذَلِيلُ

ذكر سآها: والأصل ساءها.

د – **لاثٍ:** أصلها لائث[٧]، على وزن فاعل، تقدمت الثاء على الهمزة، ثم قلبت الهمزة ياء فأصبحت لاثي على وزن "فالع"، وعوملت معاملة قاضٍ حيث حذفت الياء وأصبحت لاثٍ.

كقول العجَّاج[٨]:

لاثٍ بِهِ الأَشَاءُ وَالعُبْرِيُّ

هـ – **شاكٍ:** أصلها شائك[٩]، على وزن فاعل، تقدمت الكاف على الهمزة، ثم قلبت الهمزة ياء، فأصبحت شاكي على وزن "فالع"، ثم حذفت الياء كقاضٍ فأصبحت شاكٍ.

كقول الشاعر طريف بن تميم[١٠]:

فَتَعَرَّفُونِي أَنَّنِي أَنَا ذَاكُمُ   شَاكٍ سِلاحِي فِي الحَوَادِثِ مُعْلِمُ

---

[١] ـ النشر في القراءات العشر: ابن الجزريّ، ٣٠٨/٢
[٢] ـ ديوان امرئ القيس: ٤٨
[٣] ـ الكتاب: سيبويه، ٤٦٧/٣
[٤] ـ ديوان كثير عزة: ١١٦، وانظر الكتاب: سيبويه، ٤٦٧/٣
[٥] ـ الكتاب: سيبويه، ٤٦٧/٣
[٦] ـ ديوان كعب بن مالك: ٨٦، وانظر الكتاب: سيبويه، ٤٦٧/٣
[٧] ـ الكتاب: سيبويه، ٤٦٦/٣
[٨] ـ ديوان العجَّاج: ٣١٤، وانظر الكتاب: سيبويه، ٤٦٦/٣
[٩] ـ الكتاب: سيبويه، ٤٦٦/٣
[١٠] ـ الأصمعيات: الأصمعي، ١٢٨ ، ذكر فتوسموني بدلاً من فتعرفوني، وانظر الكتاب: سيبويه، ٤٦٦/٣

و – **جاءٍ:** ورد في تفسيرها عدة آراء، الذي يناسبنا في هذا المقام التفسير الآتي:
عند صياغة اسم الفاعل من الفعل جاء، فإنه سيكون جائئ، واجتماع الهمزتين في نهاية الكلمة ثقيل مستكره؛ لذلك حدث في الكلمة قلب مكانيّ بأن تقدمت الهمزة على الألف فأصبحت الكلمة جأي على وزن "فلع"، ثم صيغ اسم الفاعل منه فأصبحت الكلمة جائي، وحذفت الياء كما نفعل مع الاسم المنقوص النكرة في حالتي الرفع والجر، فأصبحت جاءٍ[1].

ز – **قِسِيّ:** مفردها قوس، والأصل في جمع قوس قووس على وزن "فعول"[2]، وواضح ما لهذه الصيغة من ثقل في أثناء النطق بها، ويعلل سيبويه هذا الثقل بسبب اجتماع واوين وضمتين[3]، وفي الحقيقة هي ليست واوين – حسب الدرس اللغوي الحديث – فهي عبارة عن واو تسبقها ضمة قصيرة، وتليها ضمة طويلة، أي أنه توالى في هذه الكلمة ثلاث ضمات بينها واو، وفي ذلك جهد عضلي كبير، وثقل لا بد من التخلص منه؛ لذلك لجأت العربية إلى تغيير بنية هذه الكلمة، سعيًا وراء التخفيف اللفظيّ والانسجام الصوتيّ.

والتغيير الحادث فيها هو أنه تقدمت لام الكلمة على عينها، فأصبحت قسوو، على وزن "فلوع"، ثم قلبت الواو الثانية ياء لتطرفها، ثم قلبت الواو الأولى ياء لمناسبة الياء، وأدغمت الياءان بعضهما في بعض، ثم قلبت الضمة التي تلي السين كسرة لمناسبة الياء، ثم قلبت الضمة التي تلي القاف كسرة لمناسبة الكسرة[4].

ويمكن اختصار ما حدث لصيغة "قووس" من تغيير بالمعادلة الآتية:
قُووس > قُسُوو > قُسُوي > قُسُيي (قُسُيّ) > قُسِيّ > قِسِيّ.

في نظري أن العربي لا يعرف أن كل تلك التغيُّرات قد تمت على كلمة قُوُوس لتصبح قِسِيّ، وأن ما فعله هو أنه قد قاس قِسِيّ على عِصِيّ.

٤ – تقديم العين واللام على الفاء

عند تقديم العين واللام على الفاء تصبح الكلمة على وزن (علف)، ومثالها كلمة **الحادي**، فإن أصلها هو الواحد[5]، على وزن (فاعل)، تأخرت فاء الكلمة (الواو) إلى موضع اللام (الدال) (الدال) فصارت احدُو، على وزن (اعلف) ثم قدمت الحاء على الألف، فصارت حادُو، ثم

---

[1] - شرح شافية ابن الحاجب: الإستراباذي، ٢٥/١ ، وانظر شذا العرف في فن الصرف: الشيخ أحمد الحملاوي، ٢٤
[2] - الكتاب: سيبويه، ٤٦٧/٣
[3] - السابق: ٣٨٠/٤
[4] - انظر شذا العرف في فن الصرف: الشيخ أحمد الحملاوي، ٢٣ ، وفي علم الصرف: د. أمين علي السيد، ٦٣ ، وأبنية الفعل في شافية ابن الحاجب: د. عصام نور الدين، ١٦٤
[5] - شرح شافية ابن الحاجب: الإستراباذي، ٢٣/١

قلبت الكسرة التي تلي الحاء فتحة لمناسبة الألف فأصبحت حَادُو على وزن (عالف)، ثم قلبت الواو ياءً لتطرفها فأصبحت حادُي، ثم قلبت الضمة التي تلي الدال كسرةً لمناسبة الياء، فأصبحت حَادِي[١].

من المؤكد أن الناطق العربيّ لم يفكر في كل تلك التغييرات المعقدة التي جعلت (واحد) تنقلب إلى (حادي)، إنما ذلك من وضع الصرفيين، فهم يحاولون بشتى الطرق تفسير التغيُّرات الحادثة على بنية الكلمة الصرفية، وفي اعتقادي أن السليقة العربية والفطرة الربانية هي التي دفعت الناطق إلى مثل تلك الصيغة.

ترى الباحثة أن الناطق العربيّ بينما كان في خلوته مع أغنامه في المرعى يعدها، فيقول: الواحد عشر والثاني عشر، اكتشف بفطرته التي جبلت على الموسيقى الشعرية، أن كلمة الواحد لا تتناسب مع كلمة الثاني، مما جعله يقول الحادي، حتى يحدث التناغم الموسيقيّ والانسجام الصوتيّ بينهما، دون أن يعلم ما الذي حدث لصيغة واحد من تغيير.

*   *   *

نلاحظ من عرضنا السابق أن ظاهرة القلب المكانيّ غير منتشرة في القرآن الكريم، فلم يرد – حسب علمي – سوى في كلمة أشياء التي وردت في القرآن الكريم أربع مرات[٢]، ورغم ذلك فإن هذه الظاهرة منتشرة بشكل واسع بين القبائل العربية، إلا أنني لم أتطرق إلى جميع الأمثلة؛ لأن أغلبها يقع في دائرة اللهجات، وما أوردته هنا هو القلب المكانيّ في العربية الفصيحة الناتج عن أحد الأسباب الآتية:

١ – التخلص من ثقل مستقبح في الكلمة، وذلك كما في أشياء، وأفياء، جمع شيء وفيء، وما شاكلها، وكذلك الأمر في جمع رأي، وبئر، ورئم.

٢ – طلب الخفة، قد تكون الصيغة الصرفية الأصلية مستعملة، ولا يوجد فيها ثقل مستقبح، إلا أنه قد حدث فيها القلب المكانيّ طلبًا لزيادة الخفة، وذلك كما في اسم الفاعل من جاء هو جائئ، ولكن بعد القلب المكانيّ أصبحت جاءٍ، والأخيرة أخف وأكثر سلاسة، خصوصًا بعد التخلص من توالي الهمزتين.

٣ – القياس على كلمات أخرى، وذلك كما في جمع قوس، الأصل أن تجمع على قووس، إلا أن العرب يقولون قِسِيّ، وربما قاسوها على عِصِيّ.

---

[١] ـ انظر أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب: د. عصام نور الدين، ١٦٣

[٢] ـ انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، ٣٩٨

٤ – إحداث التوازن الموسيقيّ، وذلك كما في اسم الفاعل من وحد هو الواحد، إلا أن العرب يقولون الحادي، ولم أجد تفسيرًا لهذا القلب المكانيّ سوى أنهم قد جعلوا الحادي على وزن الثاني حتى يتحقق التوازن الموسيقيّ بينهما في أثناء العد، فيقولون الحادي عشر، والثاني عشر بدلاً من الواحد عشر والثاني عشر.

الفصــل الثامــن

التوافق الحركيّ

- ❖ المبحث الأول: توافق الصوائت القصيرة مع الصوامت ومع أصوات العلة
- ❖ المبحث الثاني: توافق الصوائت القصيرة مع الصوائت القصيرة، ويقسم إلى:

١ – التوافق التراجعيّ

٢ – التوافق التقدميّ

أطلق د. إبراهيم أنيس على التوافق الحركي مصطلح (انسجام أصوات اللين) وذلك بقوله: " هي ظاهرة من ظواهر التطور في حركات الكلمات. فالكلمة التي تشتمل على حركات متباينة تميل في تطورها إلى الانسجام بين هذه الحركات، حتى لا ينتقل اللسان من ضم إلى كسر إلى فتح في الحركات المتوالية "[1].

ويعرِّفه أحد المحدثين بقوله: هو " تأثير الحركة الأساسية في الكلمات أو المقطع على الحركة التالية أو السابقة بالمماثلة "[2].

فالمقصود بالتوافق الحركيّ هو انسجام الصوائت وتآلفها في الصيغة الصرفية، فإذا وُجِد في كلمة ما تنافر في صوائتها، فذلك يستدعي تأثير أحدها على الآخر ليتحول إلى صوت يماثله؛ حتى يتم الانسجام والتآلف بينهما، وهذا التوافق في الكلمة العربية يسير وفق نغم موسيقيّ لا يعرف النشاز أو الانحراف.

وقد اختلف اللغويون في تحديد المصطلح الذي يماثل هذا المعنى، فقد أطلق سيبويه عليه مصطلح الإتباع[3]، وتبعه في ذلك كثير من القدماء[4] والمحدثين[5]، أما ابن جني فقد أطلق عليه مرة لفظ التقريب[6]، ومرة أخرى لفظ التجانس[7]، بينما أطلق عليه ابن يعيش لفظ التشاكل[8]، ومنهم من أطلق عليه لفظ المناسبة[9].

وتهدف الباحثة في هذا الفصل إلى دراسة توافق الصوائت القصيرة مع الصوامت، وتوافق الصوائت القصيرة مع الصوائت القصيرة ضمن صيغة صرفية واحدة، مع العلم أنه لم يتم التطرق إلى اللهجات أو القراءات القرآنية، بل اقتصرت الدراسة على اللغة العربية الفصيحة، كما أنه لم يتم التحدث عن التغيير الحادث للصوائت القصيرة التي تخص الناحية الإعرابية لأنه سوف يتم ذلك في الباب القادم إن شاء الله تعالى.

ويمكنني تقسيم مواضع التوافق الحركيّ إلى قسمين هما:

١ – توافق الصوائت القصيرة مع الصوامت ومع أصوات العلة.

٢ – توافق الصوائت القصيرة مع الصوائت القصيرة.

---

[1] - في اللهجات العربية: ٩٦ - ٩٧

[2] - أصول تراثية في علم اللغة: د. كريم زكي حسام الدين، ١٩٦ - ١٩٧

[3] - الكتاب: ١ /٤٣٦، ٥٣٣/٣، ١٠٧/٤، ١٠٩، ١٩٥

[4] - انظر شرح التصريح على التوضيح: الشيخ خالد الأزهري، ٣٤٦/٢ ، والأشباه والنظائر في النحو: جلال الدين السيوطي، ١٥/١

[5] - انظر ظاهرة التخفيف في النحو العربي: د. أحمد عفيفي، ١٤٩ ، وفي الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية: د. غالب فاضل المطلبي، ١٨٣

[6] - الخصائص: ١٦١/١

[7] - سر صناعة الإعراب: ٦٠/١

[8] - شرح المفصل: ٥٤/٩

[9] - اللغة العربية معناها ومبناها: د. تمام حسان، ٢٧٣ - ٢٧٤

أولاً: توافق الصوائت القصيرة مع الصوامت ومع أصوات العلة

يمكن توضيح ذلك من خلال الأمثلة الآتية:

١ – فتح لام الفعل المضارع والأمر عند إسناده إلى ألف الاثنين، نحو: يضربَان، واضربَا، الأصل أن تكون لام الفعل المضارع مضمومة، إلا أنها قد حركت بالفتح لمناسبة الألف، هذا على حد تعبير القدماء، إلا أن الباحثة ترى أن الضمة حذفت ولم تقلب فتحة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾[١].

والأصل في لام فعل الأمر أن تكون ساكنة، إلا أنها قد فتحت لمناسبة الألف، هذا على حد تعبير القدماء، والباحثة ترى أن هذه الفتحة جزء من الألف، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا﴾[٢].

٢ – ضم لام فعل الأمر عند إسناده إلى واو الجماعة، نحو: اضربُوا، والأصل أن تكون ساكنةً، إلا أنها قد ضمت لمناسبة واو الجماعة، ثم دمجتا لتصبحا مدًّا بالواو، ومنه قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾[٣].

٣ – كسر لام الفعل المضارع وفعل الأمر عند إسناده إلى ياء المخاطبة، نحو: تضربِين، واضربِي، الأصل أن تكون الباء في المضارع مضمومة، إلا أنها كسرت لمناسبة الياء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾[٤]، وفي فعل الأمر الأصل أن تكون لام الكلمة ساكنة إلا أنها كسرت لمناسبة الياء، ومنه قوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[٥].

٤ – ضم عين الفعل الناقص – المعتل الآخر بالياء – عند إسناده إلى واو الجماعة، وذلك بعد حذف يائه، الأصل أن تكون عين الفعل مكسورة إلا أنها ضمت لمناسبة الواو، ويمكن توضيح ذلك من خلال ما يأتي:

* الماضي: نَسِيَ + وا > نَسُوا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾[٦].

---

[١] - سورة البقرة: الآية، ٢٢٩
[٢] - سورة يونس: الآية، ٨٩
[٣] - سورة الحاقة: الآية، ٣٠
[٤] - سورة النمل: الآية، ٣٣
[٥] - سورة آل عمران: الآية، ٤٣
[٦] - سورة الفرقان: الآية، ١٨

* المضارع: يَقْضِي + ون > يَقْضُون، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾[1].

* الأمر: اقضِ + وا > اقضُوا، ومنه قولــه تعالى: ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾[2].

٥ – كسر عين الفعل الناقص – المعتل الآخر بالواو – عند إسناده إلى ياء المخاطبة، وذلك بعد حذف لامه، الأصل أن تكون عين الفعل مضمومة إلا أنها كسرت لمناسبة الياء، نحو:

* المضارع: تدعُو + ين > تدعِين.

* الأمر: ادعُ + ي > ادعِي.

٦ – توافق الصائت الذي يلي فاء الفعل الماضي الأجوف المسند إلى ضمائر الرفع المتحركة مع صوت العلة المحذوف[3]، فنقول في (قال) و(باع): قُلت، وقُلنا، وقُلن، وبِعت، وبِعنا، وبِعن، فقد قلبت الفتحة التي تلي فاء الفعل ضمة في (قُلت)، و(قُلنا)، و(قُلن)، لتوافق الواو المحذوفة، بينما قلبت الفتحة كسرة في (بِعت)، و(بِعنا)، و(بِعن)، لتوافق الياء المحذوفة.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾[4]، حيث ضمت القاف في (قُلتم) لتوافق الواو المحذوفة، وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[5]، حيث كسرت الطاء في (طبتم) لتوافق الياء المحذوفة.

٧ – كسر عين اسم المفعول – من الفعل الناقص – فاسم المفعول من الفعل رمى هو مَرْمُوي على وزن مفعول، إلا أن الواو قلبت ياءً لمناسبة الياء، فالتقت الياء المشددة بالضمة، وفي ذلك ثقل وتنافر، مما أدى إلى قلب الضمة كسرة لمناسبة الياء، وأصبحت مرمِيّ، ومنه قوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾[6].

٨ – كسر نهاية الاسم المنسوب إليه، فعند إضافة اللاحقة الصرفية – ياء النسب – إلى الاسم، فإنه يكسر لمناسبة الياء، نحو: بصرَة > بصرِيّ، وعرب > عربِيّ، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾[7].

٩ – كسر فاء الصفة التي على وزن (فُعل)، وذلك عندما تكون عينها ياءً، فالصفة التي على وزن (أفعل) الدالة على لون، المعتلة العين بالواو أو الياء، عند جمعها فإنها تجمع على

---

[1] - سورة الحج: الآية، ٢٩
[2] - سورة يونس: الآية، ٧١
[3] - انظر دراسات في علم أصوات العربية: د. داود عبده، ١٣٩
[4] - سورة البقرة: الآية، ٥٥
[5] - سورة الزمر: الآية، ٧٣
[6] - سورة مريم: الآية، ٢٣
[7] - سورة آل عمران: الآية، ٦٧

وزن (فُعْل)، نحو أبيض > بُيْض، وأسود > سُوْد، حيث اجتمعت في (بُيْض) الياء الساكنة تسبقها ضمة، وفي ذلك ثقل وتنافر مستكره، لذلك قلبت الضمة كسرة لمناسبة الياء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾[1].

١٠ – فتح عين الفعل الماضي والمضارع إذا كانت عينه أو لامه صوتاً حلقياً، والصوامت الحلقية – حسب تحديد القدماء لها – هي: الهمزة، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، إذا وقعت هذه الصوامت عيناً أو لاماً لفعل ماضٍ على وزن فَعَل، أو لفعل مضارع على وزن يفْعَل، فإن عينه تكون مفتوحة، نحو: قَرَأَ يَقْرَأُ، وسَأَلَ يَسْأَلُ، ونَفَعَ يَنْفَعُ، ومَنَحَ، يَمْنَحُ، وسَلَخَ يَسْلَخُ، وذَهَبَ يَذْهَبُ[2]...

ويعلل سيبويه ذلك بقوله: " وإنما فتحوا هذه الحروف لأنها سفلت في الحلق، فكرهوا أن يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع من الحروف، فجعلوا حركتها من الحرف الذي في حيزها وهو الألف "[3].

أي أن الصوامت الحلقية تخرج من مؤخر الفم، وتحتاج إلى صائت يحدث حال النطق به اتساع في الفم؛ حتى يخرج الصامت حرًّا طليقًا، لذلك ناسبها الفتحة.

ويؤكد د. إبراهيم أنيس ذلك بقوله: " كل أصوات الحلق بعد صدورها، من مخرجها الحلقي، تحتاج إلى اتساع في مجراها بالفم، فليس هناك ما يعوق هذا المجرى في زوايا الفم، ولهذا ناسبها من أصوات اللين أكثرها اتساعًا، وتلك هي الفتحة ولم يشذ عن هذه القاعدة بين أفعال القرآن الكريم إلا أفعال قليلة هي: نكح ينكِح، نزع ينزِع، رجع يرجِع، بلغ يبلُغ، قعد يقعُد، زعم يزعُم، نفخ ينفُخ، وأخيراً قبظ يقبظ "[4].

ويمكن التمثيل على الأفعال التي يكون عينها أو لامها صوتًا حلقيًّا مفتوح العين من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[5]، وقوله: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾[6]، فالفعل (سأل) جاءت عينه من الأصوات الحلقية، في حين الفعل (ينفع) جاءت لامه من الأصوات الحلقية.

١١ – تفخيم الصائت الذي يلي صوتًا من أصـــوات الإطباق، وهي: الصاد، والضاد، والطاء،

---

[1] - سورة فاطر: الآية، ٢٧
[2] - الكتاب: سيبويه، ١٠١/٤ ، والخصائص: ابن جني، ٤٩٧/١
[3] - الكتاب: ١٠١/٤ ، ويورد ابن جني النص نفسه ثم يضيف أن الألف التي منها الفتحة، انظر الخصائص: ٤٩٧/١
[4] - في اللهجات العربية: ١٧٠
[5] - سورة البقرة: الآية، ١٨٦
[6] - سورة المائدة: الآية، ١١٩

والظاء[1]، وذلك كما في صَبر، وضَمر، وطَبع، وظَهر، نلاحظ أن الفتحة التي تلت أصوات الإطباق قد فخمت لتوافق التفخيم في هذه الأصوات، وليس هذا مقصوراً على الفتحة، بل ينطبق أيضاً على جميع الصوائت القصيرة منها والطويلة.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾[2]، حيث جاءت الفتحة بعد الصاد في (صَبَّ) مفخمة، بينما جاءت مرققة بعد السين في (سوط)، لتوافق التفخيم في الأولى، والترقيق في الثانية.

١١ – ترقيق اللام المفخمة في لفظ الجلالة (الله) لوجود الكسرة قبلها، وتبقى مفخمة إن سبقت بفتحة أو ضمة، ويمكن التمثيل على ذلك من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[3]، نلاحظ أن اللام في لفظ الجلالة (الله) الأولى قد رققت لأنها سبقت بكسرة، بينما بقيت مفخمة في الثانية لأنها سبقت بفتحة.

ثانيًا: توافق الصوائت القصيرة مع الصوائت القصيرة

يمكنني تقسيم هذا التوافق بين الصوائت القصيرة في الصيغة الصرفية إلى قسمين هما[4]:

١ –توافق تراجعيّ: وهو الذي يتأثر فيه الصائت الأول بالصائت الثاني، نحو: قولنا امرُؤٌ في حالة الرفع، وامرَأً في حالة النصب، وامرِئٍ في حالة الجر[5]، حيث تأثر الصائت الذي يلي الراء بالعلامة الإعرابية للكلمة.

٢ – توافق تقدميّ: وهو الذي يتأثر فيه الصائت الثاني بالصائت الأول، نحو: بهِ، وعليْهِ، أصلهما بهُ، وعليْهُ[6]، حيث تأثرت الضمة التي تلي الهاء في (بهِ) بالكسرة قبلها، وتأثرت في (عليْهِ) بالياء الساكنة فقلبت كسرة في كليهما، ليحدث التوافق والانسجام بينهما.

أولاً: التوافق التراجعيّ

من أمثلته:

١ – توافق الصائت الذي يلي همزة الوصل مع الصائت الذي يلي الصامت الثالث من الكلمة، فالأصل في همزة الوصل أن تكون مكسورة[7]، وهي بذلك توافق الصائت الذي يلي الصامت

---

[1] - انظر مثلاً دراسة الصوت اللغوي: د. أحمد مختار عمر، ٣٨٣

[2] - سورة الفجر: الآية، ١٣

[3] - سورة البقرة: الآية، ٢٠٧

[4] - استوحيت هذا التقسيم من د. إبراهيم أنيس في كتابه الأصوات اللغوية: ١٨١

[5] - انظر شرح المفصل: ابن يعيش، ١٣٤/٩

[6] - انظر الكتاب: سيبويه، ١٩٥/٤

[7] - شرح المفصل: ابن يعيش، ١٣٧/٩

الثالث من الكلمة، نحو: اِضرِب، ومنه قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[1].

أما عندما يصبح الصائت الذي يلي الصامت الثالث ضمة، فإن همزة الوصل تضم كذلك لتتوافق معها، فنقول: اُقتُل، واُنصُر، واُستُضعف، واُنطُلق، واُخرُج[2].

يقول ابن جني: " قالوا: اُقتُل، فضموا الأول توقعًا للضمة تأتي من بعد "[3]، أي أن العرب كانوا حريصين على توافق الصوائت فيما بينها في الكلمة الواحدة، ولديهم حس موسيقيّ، وذوق عالٍ كفيل بتحقيق هذا التوافق الصوتيّ، فقد أدركوا بفطرتهم الأصيلة أن الكسرة هنا لا تتوافق مع الضمة؛ لذلك قلبوا الكسرة ضمة لتتوافق مع الضمة التي تلي الصامت الثالث.

ومنه قوله عز وجل: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾[4]، حيث وافقت ضمة همزة الوصل ضمة الصامت الثالث في (استضعفوا).

٢ – توافق الصائت الذي يلي العين مع العلامة الإعرابية، وذلك يحدث فيما يأتي:

أ – كلمة (امرؤ)، فنقول في حالة الرفع: امرُؤٌ، وفي حالة النصب: امرَأً، وفي حالة الجر: امرِئٍ[5]، حيث تأثر الصائت الذي يلي الراء بالعلامة الإعرابية للكلمة، فتحول من ضمة في حالة الرفع، إلى فتحة في حالة النصب، وإلى كسرة في حالة الجر.

ويمكن التمثيل على ذلك من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾[6]، نجد أن (امرؤ) جاءت في موقع رفع فوافق الصائت الذي يلي الراء نهاية الكلمة في الضم.

أما في قوله تعالى: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[7]، نجد أن (امرأ) جاءت في موقع نصب، فوافق الصائت الذي يلي الراء نهاية الكلمة في الفتح.

وفي قوله عز وجل: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[8]، جاءت (امرئ) في موقع جر، فوافق الصائت الذي يلي الراء نهاية الكلمة في الكسر.

[1] - سورة الفاتحة: الآية، ٦
[2] - شرح المفصل: ابن يعيش، ١٣٧/٩
[3] - الخصائص: ٤١٦/١
[4] - سورة القصص: الآية، ٥
[5] - الكتاب: سيبويه، ٥٣٣/٣ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ١٣٤/٩
[6] - سورة النساء: الآية، ١٧٦
[7] - سورة مريم: الآية، ٢٨
[8] - سورة عبس: الآية، ٣٧

ب – كلمة (ابنم)، فنقول في حالة الرفع: ابنُمٌ، وفي حالة النصب: ابنَمًا، وفي حالة الجر: ابنِمٍ[1]، حيث وافق الصائت الذي يلي النون في (ابنم) العلامة الإعرابية.

٣ – توافق الصائت الذي يلي الفاء مع الصائت الذي يلي العين في جمع التكسير على وزن (فُعُول)، وذلك كما في عِصِيّ، وقِسِيّ، وغِزِيّ[2]، الأصل فيها: عُصُوو، وقُسوو – بعد القلب المكانيّ – وغُزُوو، قلبت الواو الثانية ياء لتطرفها، ثم قلبت الواو الأولى ياء لمناسبة الياء الثانية ثم أدغمتا، ثم قلبت ضمة العين كسرة لمناسبة الياء فأصبحت: عُصِيّ، وقُسِيّ، وغُزِيّ، ثم يأتي الآن دور التوافق الحركيّ بين فاء الكلمة وعينها، وذلك عن طريق تأثر ضمة الفاء بكسرة العين فقلبت كسرةً لتتوافق وتنسجم معها، فأصبحت: عِصِيّ، وقِسِيّ، وغِزِيّ.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَوا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الغَالِبُونَ﴾[3].

ثانيًا: التوافق التقدميّ

ومن أمثلته ما يلي:

١ – توافق الصائت الذي يلي ضمير الغائب مع الصائت السابق له، والأصل أن يكون للمفرد المذكر مضمومًا (ـهُ) وكذلك الحال في المثنى (هُما) وفي جمع المذكر(هُم) وفي جمع المؤنث (هُنَّ)[4].

إلا أن هذه الضمة تتأثر بما قبلها، فإن سبقت بكسرة قصيرة أو طويلة أو ياء ساكنة فإنها تقلب كسرة لتتوافق مع الصائت السابق لها، نحو: برجلِهُ > برجلِهِ، وفِيهُ > فِيهِ، وعليْهُ > عليْهِ، وضربتِهُ > ضربتِهِ، وبصاحبِهُم > بصاحبِهِم، وقاضيِهُم > قاضيِهِم، وبِهُنَّ > بِهِنَّ، وبِهُما > بِهِما[5].

ويمكن التمثيل على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾[6]، حيث جاءت الكسرة التي تلي ضمير الغائب في (مكرهِن) لتوافق الكسرة قبلها، وفي (إليْهِن) لتوافق الياء الساكنة قبلها، بينما بقيت الضمة في (لَهُن) على حالها؛ لعدم وجود تنافر بينها وبين الفتحة التي تسبقها.

---

[1] - الكتاب: سيبويه، ٥٣٣/٣ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ١٣٤/٩ ، والأشباه والنظائر: السيوطي، ١٦/١
[2] - المقتضب: المبرد، ١٨٩/١
[3] - سورة الشعراء: الآية، ٤٤
[4] - الكتاب: سيبويه، ١٩٥/٤ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ٩٧/٣
[5] - التطور اللغويّ: د. رمضان عبد التواب، ٢٥
[6] - سورة يوسف: الآية، ٣١

وفي قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾[1]، جاءت الكسرة التي تلي ضمير الغائب في (أبيه) لتوافق الكسرة الطويلة قبلها.

هذا هو القياس الذي سارت عليه العربية فيما يخص الصائت الذي يلي ضمير الغائب، بيد أنه ورد في القرآن الكريم ضمير الغائب على الأصل، فقد بقي مضمومًا، وهي لغة أهل الحجاز[2]، فهم يبقون ضمير الغائب مضمومًا في جميع أحواله، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ﴾[3]، فقد جاء ضمير الغائب في (عليه) مضمومًا رغم أنه سبق بياء ساكنة، وفي قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلا الشَّيْطَانُ﴾[4]، ورد ضمير الغائب في (أنسانيه) مضمومًا رغم أنه سبق بكسرة طويلة.

قد يتساءل متسائل: لماذا وردت اللهجة الحجازية في هاتين الآيتين ولم ترد في غيرهما؟ فلماذا جاء ضمير الغائب فيهما مضمومًا على الأصل ولم يكسر ؟

ترى الباحثة أن ضم الهاء في (عليهُ) لم يكن مجرد اختيار لهجة على أخرى، بل الأمر عائدٌ إلى جو التفخيم في الآية الكريمة، فقد ضمت الهاء حتى تبقى اللام في لفظ الجلالة (الله) مفخمة، فتعطي التفخيم المطلوب الذي يتوافق مع العهد الوارد فيها.

أما ضم الهاء في كلمة (أنسانيهُ) – في نظري – قد حدث ذلك حتى لا يتوالى الكسر، فبعد النون كسرة طويلة، وفي (إلا) الهمزة مكسورة، فلو كسرت الهاء في (أنسانيه) سيتوالى أربع كسرات، وفي ذلك ثقل مستكره، كما أن ضم الهاء فيها يتوافق مع الضم في كلمة (الشيطانُ)، فيحدث التوازن الموسيقى والانسجام الصوتي بين ما قبل (إلا) مع ما بعدها.

٢ – توافق الصائت الذي يلي العين مع الصائت الذي يلي الفاء في الاسم المجموع جمع مؤنث سالمًا، فقد أقر الصرفيون أن الاسم الثلاثي المفرد الذي يكون على وزن (فَعْلة) فإنه يجمع على فَعَلات، نحو: قَصْعة > قَصَعات، وجَفْنة > جَفَنات، وتَمْرة > تَمَرات[5]، والأصل أن تكون العين ساكنة، إلا أنها فتحت لتوافق الفتحة قبلها، وحتى يتم التفريق بين الاسم والصفة[6].

أما إذا كانت الفاء مكسورةً أو مضمومةً، فإنه عند جمعها جمع مؤنث سالمًا، يجوز

---

[1] - سورة مريم: الآية، ٤٢
[2] - الكتاب: سيبويه، ١٩٥/٤
[3] - سورة الفتح: الآية، ١٠
[4] - سورة الكهف: الآية، ٦٣
[5] - شرح المفصل: ابن يعيش، ٢٨/٥
[6] - السابق: الصفحة نفسها

في الصائت الذي يلي العين ثلاثة أوجه، هي[1]:

١ – التوافق   ٢ – السكون على الأصل   ٣ – الفتح

فمثلاً كِسْرة وغُرْفة يجوز فيها الأوجه الآتية[2]:

١ – كِسِرات، وغُرُفات: حيث وافق الصائت الذي يلي العين ما قبله.

٢ – كِسْرات، وغُرْفات: حيث سكنت العين على الأصل المفرد.

٣ – كِسَرات، وغُرَفات: حيث فتحت العين لخفة الفتحة.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾[3]، حيث جاءت الضمة التي تلي الراء في (الغُرُفات) لتوافق الضمة قبلها، والأصل أن تكون ساكنة.

٣ – توافق الصائت الذي يلي اللام مع الصائت الذي يلي الفاء في البناء، وذلك يحدث في:

أ – كلمة (مُنْذُ): عند جمهور النحاة (مُنْذُ) كلمة مفردة وهي في الأصل ساكنة الذال(مُنْذْ)، ولكنها ضمت لمناسبة ضمة الميم، وإن كان بينهما حاجز، فبنيت على الضم[4].

وذهب الفراء إلى أن (مُنْذُ) مكونة من حرف الجر (مِنْ) و(ذُو) الطائية، إلا أن الواو قد حذفت واكتفي بضمة الذال[5]، وعلى هذا الرأي فأصل (مُنْذُ) هو (مِنْذُ)، فقد قلبت كسرة الميم ضمة لتوافق ضمة الذال، وبذلك يكون قد حدث فيها توافق تراجعيّ.

ب – كلمة (بَلْهَ): اسم فعل أمر بمعنى دع، وكان الأصل أن يبنى على السكون لوقوعه موقع الأمر، ولكنه حرِّك لالتقاء الساكنين، وهما اللام الساكنة والهاء، إلا أنه بُني على الفتح ليوافق فتحة الباء، ولم يعتد باللام حاجزاً لسكونها[6].

٤ – توافق الصائت الذي يلي التاء في (لاتَ)، و(ثُمَّتَ)، و(رُبَّتَ)، مع الصائت السابق لها، حيث يرى جمهور النحاة أن (لات) مكونة من لا النافية وتاء التأنيث الساكنة، و(ثُمَّتَ) و(رُبَّتَ) مكونتان من ثُمَّ + تاء التأنيث، ورُبَّ + تاء التأنيث، وأن التاء في (لاتَ) قد تحركت منعاً لالتقاء الساكنين[7].

فالقدماء يرون أن الألف ساكنة قد التقت بتاء التأنيث الساكنة، إلا أن الألف عبارة عن فتحتين، والسبب – في نظري – في تحريك التاء هو تكون مقطع مديد غير مرغوب فيه،

---

[1] - شرح المفصل: ابن يعيش، ٣٠/٥

[2] - السابق: الصفحة نفسها

[3] - سورة سبأ: الآية، ٣٧

[4] - انظر الكتاب: سيبويه، ٢٨٧/٣ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ٤٥/٨ ، والأشباه والنظائر: السيوطي، ١٦/١ - ١٧

[5] - شرح المفصل: ابن يعيش، ٤٥/٨

[6] - السابق: ٤٨/٤ ، والأشباه والنظائر: السيوطي، ١٧/١

[7] - مغني اللبيب: ابن هشام، ٣٣٥

وليس هذا موضعه، ففرت منه العربية عن طريق تحريك التاء، وحُركت بالفتحة ولم تحرك بالكسرة لتوافق الألف السابقة لها.

ويمكنني توضيح التغيير في التركيب المقطعيّ الحادث من خلال المعادلة الآتية:
لاتْ = ل ــَ ــَ ت ← لاتَ = ل ــَ ــَ / ت ــَ

ووردت (لاتَ) في القرآن الكريم مرةً واحدةً فقط في قوله تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾[1].

أما (ثُمَّتَ)، و(رُبَّتَ)، فالسبب في تحريك التاء عائدٌ إلى تكون مقطعين متوسطين مغلقين، مما أحدث هذا التماثل في المقطعين ثقلاً مستكرهًا، فرت منه العربية عن طريق تحريك التاء، وحركت بالفتحة لخفتها ولتتوافق مع الفتحة قبلها، ويمكنني توضيح التغيير في التركيب المقطعيّ لهما من خلال ما يأتي:
ثُمَّتْ = ث ــُ م/ م ــَ ت ← ثُمَّتَ = ث ــُ م/ م ــَ / ت ــَ

* * *

رأينا من عرضنا السابق لظاهرة التوافق الحركي أن الصوائت القصيرة لها دور كبير في الثقل والخفة، فإذا ما وجدت في صيغة صرفية لا تتوافق مع ما حولها من الصوائت أو الصوامت فإنها سرعان ما تتبدل وتتغير لتنسجم مع محيطها الصوتي، وهذا التغيير قد يكون بتأثير الصوت الأول على الثاني، فأطلقت عليه مسمى "التوافق التقدميّ"، وقد يكون بتأثير الصوت الثاني على الأول، فأطلقت عليه مسمى "التوافق التراجعيّ".

ومما هو جدير بالملاحظة أن أغلب الأمثلة – إن لم يكن جميعها – تم فيها إبدال الصائت القصير ليتوافق مع محيطه الصوتيّ وينسجم معه، بيد أنه يوجد بعض الأمثلة القليلة النادرة التي تم فيها الانسجام الصوتيّ عن طريق المخالفة الصوتية، بمعنى أن الصوائت كانت متماثلة فأحدث ذلك ثقلاً، وكان لا بد من إزالة هذا الثقل، بإبدال الصائت بصائت آخر مخالف لمحيطه.

وذلك كما في النسب إلى الثلاثيّ المكسور العين، نحو: نَمِر، ودُئِل، نقول: نَمَرِيّ، ودُؤَلِيّ[2]، والأصل أن تكون العين مكسورة، إلا أنه سيجتمع كسرتان وياء مشددة، مما سيسبب

---

[1] - سورة ص: الآية، ٣
[2] - شرح المفصل: ابن يعيش، ١٤٥/٥

ثقلاً وجهدًا عضليًّا في أثناء النطق بها؛ لذلك تم إبدال الكسرة فتحةً لإزالة الثقل وإحداث الانسجام بين أصوات الكلمة.

ومن المخالفة الحركية أيضًا كسر نون المثنى والأصل فتحها[1]، فالأصل في نون المثنى في كلمة (مسلمانِ) – مثلاً – أن تكون مفتوحة، فنقول: مسلمانَ، إلا أنه سيجتمع فتحة طويلة ثم الفتحة التي تلي النون مما يسبب ثقلاً، لذا تقلب الفتحة كسرة للتخفيف والانسجام والصوتيّ عن طريق المخالفة الحركية.

ويمكن التمثيل على ذلك من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾[2]، حيث كسرت نون المثنى في كلمة (الجمعانِ) والأصل فتحها.

وسواء أكان التغيير الحادث في صوائت البنية الصرفية بالمماثلة أم بالمخالفة، فإن الهدف هو تحقيق الانسجام والتآلف بين أصوات الكلمة، وهذا ما تسعى إليه اللغة العربية دومًا، التآلف والانسجام بين صوامت الكلمة وصوائتها، والتخلص من كل شائبة تدعو للثقل أو التنافر، ولا عجب في ذلك، فهي لغة القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

---

[1] - التطور اللغويّ: د. رمضان عبد التواب، ٤٢
[2] - سورة آل عمران: الآية، ١٥٥

الفصل التاسع
تركيب الأدوات

- ❖ المبحث الأول: إبدال النون لامًا :

١ –أَلا

٢ –إِلا

- ❖ المبحث الثاني: إبدال النون ميمًا :

١ – مِمَّا ومِمَّ

٢ –عَمَّا وعَمَّ

٣ – مِمَّن

٤ –عَمَّن

٥ –أَمَّا

٦ –إِمَّا

يعد تركيب الأدوات من المواضع التي يتم فيها العدول عن الأصل؛ لوجود ثقل مستكره عند تركيب أداتين بعضهما ببعض، ونقصد هنا الأدوات التي أحدث تركيبها ثقلاً مستكرهًا، فهناك بعض الأدوات عند تركيبها لم يحدث هذا الثقل، فلا يوجد فيها تغيير، نحو: أين +ما = أينما، ربَّ +ما = ربَّما، ليست هذه الأدوات هي المقصودة بالدراسة هنا، ما نعنيه هو تلك الأدوات التي أدى تركيبها إلى إحداث تنافر بين أصواتها، فسبب ذلك ثقلاً وجهدًا عضليًّا في أثناء النطق بها، نحو: من + ما عند التقاء النون بالميم وكلاهما من الأصوات الأنفية، أحدث ذلك ثقلاً مستكرهًا فرت منه العربية عن طريق إبدال النون ميمًا وإدغامها في الميم التي تليها لتصبح ممَّا.

نلاحظ أنه عند تركيب هذه الأدوات التي حدث فيها ثقل، أن العربية قد فرت منه عن طريق إبدال صامت بصامت آخر؛ ليوافق المحيط الصوتي له وينسجم معه، ويمكنني وفق هذا المبدأ – الإبدال – تقسيم هذه الأدوات إلى مجموعتين هما:

المجموعة الأولى: الأدوات التي تم فيها إبدال النون لامًا، وهي:

١ – ألا، وأصلها أَنْ + لا

٢ – إلا، وأصلها إِنْ + لا

المجموعة الثانية: الأدوات التي تم فيها إبدال النون ميمًا، وهي:

١ – مِمَّا ومِمَّ، وأصلهما مِنْ + مَا

٢ – عَمَّا وعَمَّ، وأصلهما عَنْ + مَا

٣ – مِمَّن، وأصلها مِنْ + مَنْ

٤ – عَمَّن، وأصلها عَنْ + مَنْ

٥ – أَمَّا، وأصلها أَنْ + مَا

٦ – إمَّا، وأصلها إنْ + مَا

أولاً: إبدال النون لامًا

١ – **ألا:** وهي مكونة من أَنْ الناصبة ولا النافية، أو أَنْ المفسرة ولا النافية[1]، أو أَنْ المخففة من الثقيلة ولا الناهية[2]، والذي حدث أنه عند التقاء نون (أَنْ) بلام (لا) أحدث ذلك ثقلاً مستكرهًا؛ لأن النون واللام كلاهما من الأصوات المائعة، فهما لثويان يخرجان من المخرج نفسه، وهذا يحدث ثقلاً وجهدًا عضليًّا في أثناء النطق بهما، مما أدى إلى تأثير اللام على النون تأثيرًا تراجعيًّا، فقلبت النون لامًا، ثم أدغمتا فأصبحت (ألا).

[1] - مغني اللبيب: ابن هشام، ١٠٣ ، ومعجم الأدوات النحوية وإعرابها في القرآن الكريم: جلال الدين السيوطي، ٤٢ ، وانظر المدخل إلى علم الأصوات: د. صلاح الدين صالح حسنين، ٩١

[2] - مغني اللبيب: ابن هشام، ١٠٣

قد يتساءل متسائل لماذا أبدلت النون لامًا ولم يحدث العكس، فتبدل اللام نونًا ؟

النون واللام كلاهما من المخرج نفسه، وكلاهما مجهور، وكلاهما مرقق، فيحق لأي منهما أن يبدل من الآخر، إلا أن إبدال النون لامًا وليس العكس راجع – في نظري – إلى السببين الآتيين:

١ – النون من الأصوات الأنفية، بينما اللام صوت جانبي، فهو أكثر وضوحًا من صاحبه، لأنه يخرج من الفم، في حين يخرج النون من الأنف، فتجويف الفم أكبر وأقوى من الأنف مما يعطي اللام قوة ووضوحًا أكثر من الوضوح في صوت النون، والذي دعم اللام وجعلها أقوى أنها محركة، بينما النون ساكنة.

٢ – لأمن اللبس، فلو أبدلت اللام نونًا لأصبحت (أنَّا)، وستلتبس بأنَّ المتصلة بنا المتكلمين، التي حذف منها النون لتوالي الأمثال.

ومن الآيات القرآنية عليها قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾[١]، ومن الممكن أن تدخل عليها اللام الجارة فتصبح (لئلا)[٢]، ومنه قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[٣].

وقد اجتمعت (ألا) و(لئلا) في قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾[٤].

٢ – إلا: وهي مكونة من إنْ الشرطية ولا النافية[٥]، وقد حدث لها مثلما حدث في (ألا)، حيث قلبت النون لاماً؛ لوجود ثقل مستكره؛ لأنهما من المخرج نفسه، وعليها قول الأحوص[٦]:

فَطَلِّقْهَا فَلَسْتَ لَهَا بِأَهْلٍ   وَإِلا شَقَّ مَفْرِقَكَ الحُسَامُ

ذكر (إلا) والأصل إنْ لا.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾[٧]، وقوله ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[٨].

---

[١] - سورة النمل: الآية، ٣١
[٢] - الكتاب: سيبويه، ٢٢٢/٤ ، وانظر دراسات نحوية في إعراب الفعل المضارع: د. عبد النعيم علي محمد، ٢٠٤
[٣] - سورة النساء: الآية، ١٦٥
[٤] - سورة الحديد: الآية، ٢٩
[٥] - الكتاب: سيبويه، ٦٦/٣ ، ومغني اللبيب: ابن هشام، ٣٣ ، ورصف المباني في شرح حروف المعاني: المالقي، ٩٣ ، ومعجم الأدوات النحوية وإعرابها في القرآن الكريم: جلال الدين السيوطي، ٤٤
[٦] - ديوان الأحوص الأنصاري: ١٩١ ، وانظر شرح ابن عقيل: ٣٢٣/٢ ، ورصف المباني في شرح حروف المعاني: المالقي، ١٠٦
[٧] - سورة التوبة: الآية، ٤٠
[٨] - سورة يوسف: الآية، ٣٣

ثانيًا: إبدال النون ميمًا

١ – **مِمَّا:** وهي مكوَّنة من حرف الجر (مِنْ) و (ما) الزائدة أو الموصولة[١]، نحو: سُررت مِمَّا قلته عني، إلا أن (ما) عندما تكون استفهامية فإن ألفها تحذف[٢] فتصبح **مِمَّ؛** للتفريق بينها وبين ما الزائدة أو الموصولة، نحو: مِمَّ يتكون الماء ؟

على أية حال ما يهمنا هو التغيير الحادث عند تركيب الأداة، فقد التقت النون في (مِنْ) بالميم في (ما)، فأحدث ذلك ثقلاً مستكرهًا ناتجًا عن كون كلا الصوتين من الأصوات الأنفية، فكان لا بد من التخلص من هذا الثقل، فأثرت الميم المتحركة على النون الساكنة تأثيراً تراجعياً فقلبتها من جنسها، ثم أدغمتا لتصبح ممَّا أو ممَّ.

ومن الآيات القرآنية على اتصال (مِنْ) بما الزائدة قوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾[٣]، وورد اتصال (مِنْ) بما الموصولة كما في قوله تعالى: ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾[٤].

٢ – **عَمَّا:** وهي مكونة من حرف الجر (عَنْ) و(ما) الزائدة أو الموصولة[٥]، نحو: سأعود عَمَّا قريب، وعندما تكون (ما) استفهامية فإن ألفها تحذف[٦]؛ للتفريق بينها وبين (ما) الزائدة أو الموصولة، فتصبح: **عمَّ**، نحو: عَمَّ تتحدث ؟

وما حدث في عَمَّا، وعَمَّ من تغيير هو ذاته الذي حدث في (ممَّا) و(ممَّ)، ومن الآيات القرآنية على اتصال (عن) بما الزائدة قوله تعالى: ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾[٧]، وورد اتصالها بما الموصوله، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[٨]، كما ورد اتصال (عَنْ) بما الاستفهامية في قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾[٩].

٣ – **مِمَّن:** وهي مكوَّنة من حرف الجر (مِنْ) والاسم الموصول (مَنْ)، نحـــو: سُررت مِمَّن

---

[١] - شرح ابن عقيل: ٣٠/٢ ، ومغني اللبيب: ابن هشام، ٤١١ ، ٤٢٩
[٢] - شرح ابن عقيل: ٤٣٨/٢
[٣] - سورة نوح: الآية، ٢٥
[٤] - سورة البقرة: الآية، ٦١
[٥] - شرح ابن عقيل: ٣٠/٢ ، ومغني اللبيب: ابن هشام، ٤١١
[٦] - شرح ابن عقيل: ٤٣٨/٢
[٧] - سورة المؤمنون: الآية، ٤٠
[٨] - سورة الأنعام: الآية، ١٣٢
[٩] - سورة النبأ: الآية، ١

ساعدني في أزمتي، حيث التقت النون في (مِن) بالميم في (مَن)، وكلاهما صوتان أنفيان، مما أحدث ثقلاً، فأثرت الميم على النون تأثيرًا تراجعيًّا لأنها الأقوى، فهي محركة بينما النون ساكنة، فقلبت النون ميمًا وأدغمت في الميم.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾[1]، وقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾[2].

٤ – **عَمَّن:** وهي مكوَّنة من حرف الجر (عَنْ) والاسم الموصول (مَنْ)، نحو: لا يختلف عمَّن سواه، والتغيير الحادث فيها هو ذاته الذي حدث في (مِمَّن).

٥ – **أمَّا:** وهي مكونة من (أَنْ) الشرطية و(ما)[3]، فعند التقاء النون في (أنْ) بالميم في (ما)، حدث ثقل مستكره أدى إلى قلب النون ميمًا، والذي سوغ قلب النون وليس الميم رغم أن كليهما من الأصوات الأنفية، أن النون ساكنة بينما الميم متحركة، فالميم هي الأقوى، فأثرت عليها تأثيرًا تراجعيًّا وقلبتها من جنسها، ثم أدغمتا في بعضهما البعض، ومن ذلك قول العرب: أمَّا أنت منطلقًا انطلقتُ معك، وأمَّا زيدٌ ذاهبًا ذهبتُ معك[4].

ومنه قول العباس بن مرداس[5]:

أَبَا خُرَاشَةَ أَمَّا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ   فَإِنَّ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمُ الضَّبُعُ

حيث دخلت (أنْ) في المعنى على (كنت)، فحذفت كان وعوِّض منها (ما)، وانفصل الضمير فصار (أنت)[6].

٦ – **إِمَّا:** وهي مكونة من (إنْ) الشرطية و(ما) الزائدة[7]، والتغيير الحادث فيها هو ذاته الذي حدث في (أمَّا).

وقد اجتمعت (إمَّا) و(أمَّا) في قول الشاعر[8]:

إِمَّا أَقَمْتَ وَأَمَّا أَنْتَ مُرْتَحِلاً   فَاللهُ يَكْلأُ مَا تَأْتِي وَمَا تَذَرُ

وقد وردت (إمَّا) في القرآن الكريم كقولـــه تعالـــى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي

---

[1] - سورة البقرة: الآية، ١١٤
[2] - سورة البقرة: الآية، ١٤٠
[3] - الكتاب: سيبويه، ٢٩٣/١، ومغني اللبيب: ابن هشام، ٥٣ ، ورصف المباني في شرح حروف المعاني: المالقي، ٩٩
[4] - الكتاب: سيبويه، ٢٩٣/١، ومغني اللبيب: ابن هشام، ٤١٠ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ٩٨/٢
[5] - ديوان العباس بن مرداس السلميّ: ١٠٦، وانظر الكتاب: سيبويه، ٢٩٣/١، ومغني اللبيب: ابن هشام، ٥٤ ، ورصف المباني في شرح حروف المعاني: المالقي، ٩٩ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ٩٩/٢
[6] - الكتاب: سيبويه، ٢٩٣/١ ، ورصف المباني في شرح حروف المعاني: المالقي، ٩٩ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ٩٩/٢
[7] - شرح ابن عقيل: ٢٦٣/٢ ، ومغني اللبيب: ابن هشام، ٥٤ ، ومعجم الأدوات النحوية وإعرابها في القرآن الكريم: السيوطي، ٥٥
[8] - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: البغدادي، ١٩/٤ ، وانظر مغني اللبيب: ابن هشام، ٥٤ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ٩٨/٢

نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً﴾[1]، وقوله: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ(٥٧) وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ(٥٨)﴾[2]، وقوله: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾[3].

* * *

يتضح مما سبق أن بعض الأدوات عند تركيبها قد حدث ثقل، وهذا الثقل قد يكون ناتجاً عن تجاور أصوات من المخرج نفسه، كتجاور النون واللام اللثويين، أو تجاور أصوات لها الصفة نفسها، كتجاور النون والميم الأنفيين، فيتم إبدال النون لامًا أو ميماً حسب ما بعدها، متأثرة بها تأثرًا تراجعيًا، وتم إبدال النون بالذات لأنها الأضعف لسكونها وتحرك الصامت الآخر، ويحدث هذا التغيير من أجل الحصول على أداة متناسقة في نظمها، منسجمة في أصواتها.

[1] - سورة مريم: الآية، ٢٦
[2] - سورة الأنفال: الآية، ٥٧ ـ ٥٨
[3] - سورة الأعراف: الآية، ٢٠٠

الباب الثالث

الانسجام الصوتيّ على المستوى النحويّ

- ❖ الفصل الأول: الإعراب التقديريّ
- ❖ الفصل الثاني: إبدال العلامة الإعرابية
- ❖ الفصل الثالث: الحذف على المستوى النحويّ
- ❖ الفصل الرابع: التوافق الحركيّ في القرآن الكريم

الفصل الأول
الإعراب التقديريّ

❖ المبحث الأول: الإعراب التقديريّ للتعذر

❖ المبحث الثاني: الإعراب التقديريّ للثقل

للإعراب في اصطلاح النحاة القدماء تعريفان؛ أحدهما مبني على أن الإعراب أمر معنوي، والآخر على أنه أمر لفظي[١]، فعلى الأساس الأول يعرِّف ابن جني الإعراب بقوله: "هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ؛ ألا ترى أنك إذا سمعت أكرم سعيد أباه، وشكر سعيدًا أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرجًا[٢]واحدًا لاستبهم أحدهما من صاحبه "[٣].

وعلى الأساس الثاني يعرِّف ابن هشام الإعراب بأنه: " أثرٌ ظاهرٌ أو مقدرٌ يجلبه العامل في آخر الكلمة "[٤].

فالإعراب هو وسيلة اللغة العربية للتمييز بين الوظائف النحوية، صحيح أنه يوجد هناك وسائل أخرى كالبنية، والموقع، والإسناد، والدلالة، إلا أن الإعراب يعد أوضح تلك الوسائل، وأقواها في الدلالة على نوع الوظيفة المراد تحديدها، لذلك أولاها نحاة العربية اهتمامهم، فكانت وسيلتهم الأولى التي لا يُلتفت إلى غيرها إلا إذا دعت الحاجة وتعددت الاحتمالات[٥].

كأن تكون نهاية الكلمة ملبسة لا تظهر عليها العلامة الإعرابية، نحو: ضرب يحيى بشرى، فالإعراب هنا تقديريّ لا تظهر العلامة الإعرابية في نهاية الكلمة؛ لنعلم الفاعل من المفعول، لذلك أُلزمت هذه التراكيب موقعها بتقديم الفاعل وتأخير المفعول؛ حتى لا يحدث اللبس، وإن كان هناك دلالة أخرى من قبل المعنى، وقع التصرف في التقديم والتأخير، نحو: أكل يحيى كمثرى، في هذا المثال لم تظهر العلامة الإعرابية في نهاية الفاعل والمفعول، إلا أن المعنى يحددهما، لذلك يمكن هنا تأخير الفاعل، فنقول: أكل كمثرى يحيى.

معنى ذلك أنه يوجد هناك بعض الكلمات بها عناصر صوتية معينة تمنع الناطق من النطق بالعلامة الإعرابية، ويكون الإعراب فيها تقديريًّا، وذلك راجع إلى أسباب صوتية تؤثر في عملية النطق بها، ويمكن أن نقسِّم هذه الأسباب إلى قسمين، هما[٦]:

١ – تعذر النطق واستحالته؛ إذ لا يمكن للناطق بالكلمة أن ينطق بحركة الإعراب في آخرها، وإن فعل ذلك فإنه سيؤدي إلى تغيير بنية الكلمة واختلافها.

٢ – تعسّر النطق واستثقاله؛ ففي مثل هذه الكلمات يستطيع الناطق أن ينطق بحركة الإعراب، لكن ذلك سيكلفه مشقةً وجهدًا كبيرًا؛ لذا يعدل عنها فلا ينطقها.

---

[١] ـ دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها: لطيفة النجار، ١٦٣

[٢] ـ الشَّرْجُ: الضرب، يقال: هما شرجٌ واحدٌ، وعلى شرج واحد، أي ضرب واحد. ويقال: هو شريج هذا وشَرْجَهُ أي مثله، انظر لسان العرب: ابن منظور، (شرج)، ٧١/٧

[٣] ـ الخصائص: ٨٩/١

[٤] ـ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٢٢

[٥] ـ دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها: لطيفة النجار، ١٦٤

[٦] ـ السابق: ١٦٥

من خلال التقسيمين السابقين يتضح أن الكلمات التي يتعذر النطق بالعلامة الإعرابية معها هي:

١ – الأفعال المنتهية بالألف، نحو: سعى، ويسعى، ولن يسعى.

٢ – الأسماء المقصورة، نحو: عصا، ومصطفى.

٣ – الأسماء المضافة إلى ياء المتكلم، نحو: كتابي، وصديقي.

أما الكلمات التي يمكن نطق العلامة الإعرابية معها إلا أنها مستثقلة، فهي:

١ – الأفعال المنتهية بالواو أو الياء، نحو: يدعو، ويقضي.

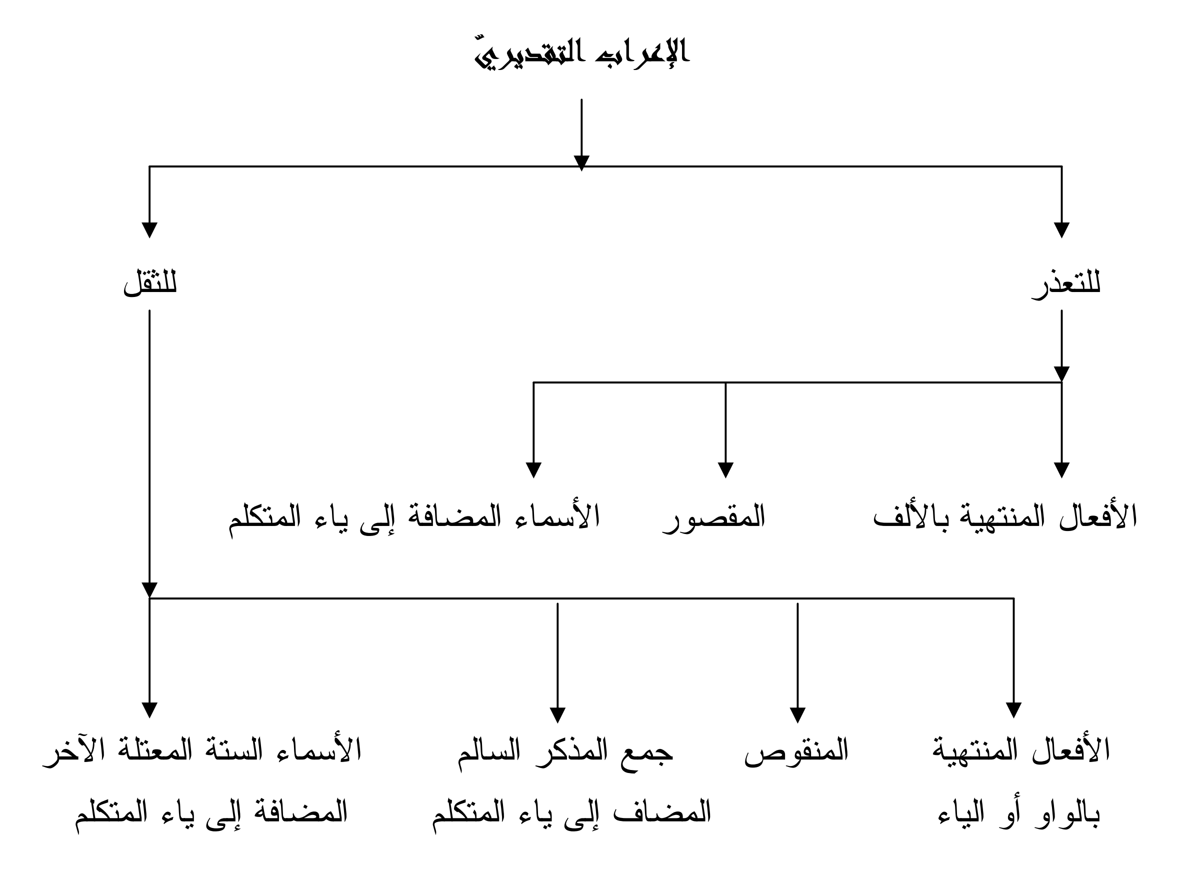
٢ – الأسماء المنقوصة، نحو: القاضي، والمهتدي.

٣ – جمع المذكر السالم المضاف إلى ياء المتكلم، نحو: مسلمِيَّ.

٤ – الأسماء الستة المعتلة الآخر المضافة إلى ياء المتكلم، نحو: فِيَّ.

نلاحظ أن الإعراب التقديريّ للتعذر لا يكون إلا في الكلمات التي تعرب بالحركات، بينما الإعراب التقديريّ للثقل فإنه يكون في الكلمات التي تعرب بالحركات والكلمات التي تعرب بالحروف[1].

ويمكنني توضيح الإعراب التقديريّ من خلال المخطط الآتي:



[1] - أسرار النحو: ابن كمال باشا، ٨٢

المبحث الأول

الإعراب التقديريّ للتعذر

❖ أولاً: الأفعال المنتهية بالألف

❖ ثانيًا: المقصور

❖ ثالثًا: الأسماء المضافة إلى ياء المتكلم

أولاً: الأفعال المنتهية بالألف

يوضح ابن مالك في ألفيته طريقة إعراب الفعل المعتل الآخر بالألف فيقول[1]:

فالألف انوِ فيه غير الجزم

معنى ذلك أن الفعل المعتل الآخر بالألف تقدر العلامة البنائية عليه في الماضي، وفي المضارع تقدر العلامة الإعرابية في حالتي الرفع والنصب، فنقول: سعى محمد إلى الخير، ويسعى محمد إلى الخير، ولن يسعى محمد إلى الشَّر.

- سعى: فعل ماضٍ مبني على الفتح المقدر على الألف.
- يسعى: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الألف.
- لن يسعى: فعل مضارع منصوب وعلامة نصبه الفتحة المقدرة على الألف.

والأمر ينطبق ذاته على اللفيف المفروق واللفيف المقرون كما في: وقى، وهوى، ويهوى، ولن يهوى، جميعها قدرت في نهاتها العلامة البنائية أو الإعرابية لتعذر النطق بها.

ويعود تعذر نطق العلامة الإعرابية على الألف – في نظري – إلى سببين هما:

١ – طبيعة نطق الألف، فهي صائت هوائي فيه استطالة يخرج من الجوف سلسًا دون أن يعترضه حاجز في الفم، ولو أتبعته بحركة فإن مجراه سينقطع ويتحول إلى صوت آخر غير الألف، وبالتالي ستتغير الكلمة وتصبح كلمة أخرى، ربما يلتبس معناها بكلمة أخرى أو تكون غير مفهومة ليست من كلام العرب.

٢ – الألف عبارة عن فتحتين، ويُعبَّر عنها مقطعيًّا بـــ (ح ح)، ولو أتبعناها بعلامة البناء أو الإعراب، فإنه سيتوالى ثلاثة صوائت أي (ح ح ح)، وهذا المقطع غير موجود في العربية، لذلك لا تظهر العلامة البنائية أو الإعرابية على الألف، وقد ذكر ابن جني أن الحركات لا تحتمل الحركات فقال: " ومعلوم أن الحركات لا تحمل – لضعفها – الحركات"[2].

ومن الآيات القرآنية التي وردت فيها هذه الأفعال قوله تعالى: ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى(٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى(٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى(٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى(٨) وَهُوَ يَخْشَى(٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى(١٠)﴾ [3].

فالفعل (استغنى) فعل ماضٍ قدِّر بناء الفتح فيه على الألف، والأفعال (تصدَّى، ويسعى، ويخشى، وتلهَّى) أفعال مضارعة مرفوعة، قدِّرت فيها الضمة على الألف، والفعل (يَزَّكَّى) فعل مضارع منصوب قدِّرت فيه الفتحة على الألف.

---

[1] - شرح ابن عقيل: ٧٧/١

[2] - الخصائص: ٨٠/٢

[3] - سورة عبس: الآية، ٥ - ١٠

ومن الآيات القرآنية على اللفيف المفروق قوله تعالى: ﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى (١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَى (١٨)﴾[١]، فالفعلان (تولى، وأوعى) فعلان ماضيان قدر فيهما بناء الفتح على الألف.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٢]، فالفعل (يُوَفَّى) فعل مضارع مرفوع، قدِّرت فيه الضمة على الألف.

وقوله تعالى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ﴾[٣]، فالفعل (يَتَوَفَّى) فعل مضارع منصوب، قدِّرت فيه الفتحة على الألف.

ومن الآيات القرآنية على اللفيف المقرون قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢)﴾[٤]، فالفعلان (هوى) و(غوى) فعلان ماضيان، قدر بناء الفتح فيهما على الألف.

وقوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾[٥]، فالفعل (تهوى) فعل مضارع مرفوع، قدرت فيه الضمة على الألف.

ثانيًا: المقصور

هو الاسم الذي آخره ألف لينة لازمة[٦]، نحو: العصا، والهدى، والمصطفى، والاسم المقصور لا تظهر على ألفه العلامة الإعرابية، فنقول في حالة الرفع: جاء الفتى، وفي حالة النصب: رأيت الفتى، وفي حالة الجر: مررت بالفتى.

تغيَّر موقع (الفتى) الإعرابيّ، ولكن لم يتغير آخره، وجاءت بلفظ واحد، لأنها " تنتهي بألف والألف لا تضم ولا تكسر، لأنها فتحة ممطولة، هي معربة ولكن لا يتغير آخرها بتغير المعاني الإعرابية، وذلك لعلة صوتية "[٧].

فالألف يتعذر ظهور العلامة الإعرابية عليها في الحالات الثلاث؛ لأنها – كما علمنا – صائت لا مخرج لها، وتحريكها يمنعها من الاستطالة وقد يفضي بها إلى صوت آخر، كما أنها عبارة عن صائتين لا يمكن إتباعها بصائت ثالث؛ لذا تقدَّر عليها العلامة الإعرابية.

---

[١] - سورة المعارج: الآية، ١٧- ١٨
[٢] - سورة الزمر: الآية، ١٠
[٣] - سورة النساء: الآية، ١٥
[٤] - سورة النجم: الآية، ١- ٢
[٥] - سورة البقرة: الآية، ٨٧
[٦] - ويسميه سيبويه بالمنقوص؛ لأن ألفه تكون مبدلة من واو أو ياء، انظر الكتاب: ٥٣٦/٣
[٧] - قضايا نحوية: د. مهدي المخزومي، ٨٦

ومن الآيات القرآنية على الاسم المقصور قوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (١٩)﴾[١].

نلاحظ أن الآيات الكريمة انتهت بأسماء مقصورة، هي: الدنيا، وأبقى، والأولى، وموسى، وهذه الأسماء لم تظهر العلامة الإعرابية في آخرها لانتهائها بالألف، فكلمة (الدنيا) و(موسى) قدرت فيها الفتحة على الألف، و(أبقى) قدرت فيها الضمة على الألف، و(الأولى) قدرت فيها الكسرة على الألف.

ثالثًا: الأسماء المضافة إلى ياء المتكلم

عند إضافة الاسم إلى ياء المتكلم استلزم كسر آخره لمناسبة الياء[٢]؛ " وهو محل الإعراب فتعذر الإعراب فوجب تقديره "[٣].

وهذا الاسم يجب ألا يكون مقصورًا، ولا منقوصًا، ولا مثنًى، ولا مجموعًا جمع سلامة للمذكر، أي أن يكون للمفرد، نحو: غلامِي، أو جمع تكسير، نحو: غِلْمانِي، أو جمع مؤنث سالماً، نحو: فتياتِي[٤].

فهذه الأسماء تظهر عليها العلامات الإعرابية الثلاث: الفتحة، والضمة، والكسرة، إلا أنها عند إضافتها إلى ياء المتكلم ستلتقي الياء بإحداها مما يتعذر النطق بالعلامة؛ فمن العسير على اللسان أن ينتقل من الضمة إلى نطق الياء أو من الفتحة إلى نطق الياء، ومن عادة العربية أنها تسعى دومًا نحو التخفيف والانسجام الصوتي في كلماتها؛ لذا تم تحريك نهاية هذه الأسماء بالكسرة مطلقًا، رفعًا ونصبًا وجرًّا؛ لمناسبة الياء، وبالتالي أصبح المحل الإعرابيّ مشغولاً بهذه الكسرة، فلا تظهر عليه العلامة الإعرابية.

يقول ابن جني عن كسر ما قبل ياء المتكلم: " فهذه الحركة لا إعراب ولا بناء. أما كونها غير إعراب فلأن الاسم يكون مرفوعًا ومنصوبًا وهي فيه؛ نحو هذا غلامي ورأيت صاحبي، وليس بين الكسر وبين الرفع والنصب في هذا ونحوه نسبة ولا مقارنة. وأما كونها غير بناء فلأن الكلمة معربة متمكنة، فليست الحركة إذن في آخرها ببناء "[٥].

ويرى بعض النحاة القدماء أن هذه الأسماء لم تقدر على آخرها العلامة الإعرابية، بل بنيت على الكسر، وبعضهم يرى أن الضمة والفتحة فيها مقدرتان، بينما الكسرة في حالة الجر

---

[١] - سورة الأعلى: الآية، ١٦ - ١٩
[٢] - رصف المباني في شرح حروف المعاني: المالقي، ٣٦٠
[٣] - أسرار النحو: ابن كمال باشا، ٨١ - ٨٢
[٤] - شرح ابن عقيل: ٧٧/٢
[٥] - الخصائص: ١٣٧/٢

هي الكسرة الأصلية[1].

إلا أن الباحثة تميل إلى الرأي الأول، وهو أن العلامة الإعرابية مقدرة مطلقًا؛ لأنه لا يوجد ما يستدعي البناء، فهذه الأسماء معربة في الأصل، أما الرأي الثالث فهو باطل؛ لأن الكسرة قبل ياء المتكلم موجودة من غير علة الجر، وهي لازمة في الحالات الثلاث، وليس في حالة الجر وحدها.

ومن الآيات القرآنية لهذه الأسماء قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2]، حيث قدِّرت الفتحة على نهاية الأسماء (صلاتِي، ونسكِي، ومماتِي)؛ لاشتغال المحل بالكسر العارض لمناسبة الياء، بينما كلمة (محيايَ) فالفتحة فيها أيضًا مقدرة، ولكن ليس لاتصالها بياء المتكلم، بل لأن الألف لا تظهر عليها العلامة الإعرابية، وكذلك لم تظهر عليها الكسرة العارضة لمناسبة الياء.

وقد أشار ابن عقيل إلى ذلك، فذكر أن المقصور تسلم ألفه وتفتح ياء المتكلم، فنقول: عصايَ، وفتايَ[3].

أما قوله تعالى: ﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾[4]، صحيح أن (كتابِي) جاءت في موقع جر، وأن الباء محرَّكة بالكسر، إلا أن هذه الكسرة لمناسبة الياء والكسرة الأصلية مقدرة.

* * *

مما سبق يتضح أن للإعراب أهميته في العربية، فهو يميِّز بين المعاني النحوية، ويزيل الإبهام من خلال العلامة الإعرابية في نهاية الكلمات، فهي توضح الوظيفة النحوية للكلمة في الجملة، إلا أنه في بعض الأحيان لا تظهر العلامة الإعرابية، وذلك لتعذر ظهورها في نهاية بعض الكلمات، فتلجأ العربية إلى الإعراب التقديريّ.

والناطق العربيّ لا يهمه الإعراب التقديريّ، ولا يفكر فيه، وما ذلك إلا من اهتمام النحاة، فهو يستطيع التمييز بين تلك الكلمات من خلال السياق، والذي أملى عليه اللجوء إلى إسقاط العلامة الإعرابية، هي الناحية الصوتية التي تعلَّمها بالفطرة، فأدرك مسألة التعذر والثقل دون

---

[1] - أسرار النحو: ابن كمال باشا، ٨٢ ، وانظر ظاهرة التغليب في العربية: د. عبد الفتاح الحموز، ١٦٦
[2] - سورة الأنعام: الآية، ١٦٢
[3] - شرح ابن عقيل: ٧٨/٢
[4] - سورة النمل: الآية، ٢٨

أن يلقنه ذلك أحد.

وقد لمحنا أن العربية قد عدلت عن الإعراب الظاهر إلى الإعراب المقدر؛ وذلك عندما تعذر النطق بالعلامة الإعرابية، ووجدت سبيلاً آخر غير الإعراب لتعيين الوظائف النحوية في الجملة.

وتعذُّر النطق بالعلامة الإعرابية نتج عن اجتماعها بصوت الألف، وذلك في الأفعال المنتهية بالألف، والأسماء المقصورة، أو نتج عن اشتغال المحل بحركة عارضة لإضافة لاحقة صرفية جديدة إلى الكلمة، وذلك في الأسماء المضافة إلى ياء المتكلم.

وفي كل ذلك استغنت العربية عن العلامة الإعرابية؛ لتحقق الانسجام الصوتيّ بين صوامت الكلمة وصوائتها.

المبحث الثاني
الإعراب التقديريّ للثقل

- ❖ أولاً: الأفعال المنتهية بالواو أو الياء
- ❖ ثانيًا: المنقوص
- ❖ ثالثًا: جمع المذكر السالم المضاف إلى ياء المتكلم
- ❖ رابعًا: الأسماء الستة المعتلة الآخر المضافة إلى ياء المتكلم

أولاً: الأفعال المنتهية بالواو أو الياء

وهذه الأفعال لا بد أن تكون في حالة المضارع المرفوع، نحو: يدعو، ويقضي، أصلها يدعوُ، ويقضيُ[1]، فمن الممكن النطق بالعلامة الإعرابية هنا إلا أنها مستثقلة[2].

وسر الثقل في الأفعال المنتهية بالواو نحو (يدعوُ)، أن الضمة مسبوقة بواو، وهي من جنسها، والواو مسبوقة بدورها بضمة فأحدث ذلك ثقلاً مستكرهًا؛ لذا تسقط العلامة الإعرابية هنا، أما في الأفعال المنتهية بالياء نحو (يقضِيُ)، فقد سبقت الضمة بياء، وفي ذلك ثقل مستكره، بالإضافة إلى أن الياء مسبوقة بكسرة، فالضمة من الصوائت الخلفية بينما الكسرة من الصوائت الأمامية، فكان من العسير على اللسان الانتقال من الخلف إلى الأمام بالسرعة الكافية لنطق الكلمة؛ لذا تسقط العلامة الإعرابية هنا أيضًا، وتعرب هذه الأفعال بأنها مرفوعة وعلامة رفعها الضمة المقدرة منع من ظهورها الثقل.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الأفعال إذا كانت في موضع نصب، فإن الفتحة تظهر عليها، فنقول: لن يدعوَ، ولن يقضيَ[3]، وذلك لخفة الفتحة وانسجامها مع الواو والياء، فوجودها لم يحدث ثقلاً في أثناء النطق، فظهرت العلامة الإعرابية عليها.

ومن الآيات القرآنية لهذه الأفعال قوله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾[5]، حيث قدِّرت الضمة على الياء في (تدري)، وعلى الواو في (يرجو) ولم تظهر لعلة الاستثقال.

ثانيًا: المنقوص

وهو الاسم المعرب الذي آخره ياء لازمة مكسور ما قبلها[6]، نحو: القاضي، وهذه الياء تقدَّر عليها الضمة والكسرة، فنقول: جاء القاضي، ومررت بالقاضي، أما في حالة النصب فإن الفتحة تظهر عليها لخفتها، فنقول: رأيت القاضيَ[7].

وقد وضحنا سابقًا ثقل الضمة على الياء، وبالتالي اللجوء إلى الاستغناء عنها وتقدير العلامة الإعرابية عليها، أما عن الكسرة فإنها من جنس الياء، فلو ظهرت عليها سيجتمع ثلاثة أصوات من المخرج نفسه، مما يسبب ثقلاً وجهدًا عضليًّا كبيرًا، والعربية تسعى دائمًا نحو

---

[1] - التتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١٨٦، ١٩٠

[2] - دراسات نحوية في إعراب الفعل المضارع: د. عبد النعيم علي محمد، ٤٧

[3] - شرح ابن عقيل: ٧٨/١

[4] - سورة لقمان: الآية، ٣٤

[5] - سورة الكهف: الآية، ١١٠

[6] - الكتاب: سيبويه، ٤١٤/٣ ، وشرح ابن عقيل: ٧٥/١

[7] - شرح ابن عقيل: ٧٥/١ ، وانظر دراسات نقدية في النحو العربي: د. عبد الرحمن أيوب، ٤١

التيسير والتخفيف والانسجام الصوتيّ، طالما ذلك لم يخلّ بالمعنى، ولم يُحدث لبسًا؛ لذا تم الاستغناء عن الكسرة وقدِّرت العلامة الإعرابية على الياء.

ومن الآيات القرآنية على الاسم المنقوص في حالة الرفع، قوله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾[1]، حيث قدِّرت الضمة على الياء في (المهتدي).

وفي حالة الجر، قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ﴾[2]، حيث قدِّرت الكسرة على الياء في (هادي).

ثالثًا: جمع المذكر السالم المضاف إلى ياء المتكلم

عند إضافة جمع المذكر السالم في حالة الرفع إلى ياء المتكلم، فإن النون تحذف للإضافة، فتلتقي واو جمع المذكر السالم الساكنة – على حد تعبير القدماء – بالياء، فتقلب الواو ياءً، ثم تحرك ياء المتكلم بالفتح، وتدغم في الياء الأولى، ثم تقلب الضمة التي تسبق واو جمع المذكر السالم لمناسبة الياء[3]، ويمكنني توضيح ذلك من خلال المعادلة الآتية:
مسلمُون + ي ← مسلمُوي ← مسلمُيي ← مسلمُييَ ← مسلمُيَّ ← مسلمِيَّ

وإذا كان ما قبل واو جمع المذكر السالم مفتوحًا، فإن الفتحة تبقى على حالها، نحو: مصطفَون + ي ← مصطفَيَّ[4].

عند قلب الواو ياء فإنه " لم يبق للرفع علامة في اللفظ وهي الواو فصارت حالة الرفع تقديرية "[5]، بينما في حالتي النصب والجر، فإن الياء المدغمة في ياء المتكلم هي العلامة الإعرابية، وتبقى صيغة (مسلمِيَّ) واحدة في الحالات الثلاث، فنقول في حالة الرفع: جاء مسلمِيَّ، وفي حالة النصب: رأيت مسلمِيَّ، وفي حالة الجر: مررت بمسلمِيَّ، وكلمة (مسلمِيَّ) التي يكون الإعراب فيها تقديريًّا، هي الواردة في الجملة الأولى ، أي عندما تكون فقط في حالة الرفع.

كان من الممكن النطق بصيغة (مسلموي) إلا أن ذلك مستثقلٌ؛ لاجتماع الواو والياء، وكما لاحظنا سابقًا ميل العربية للخفة والانسجام الصوتي في بنية الكلمة، فقد قلبت الواو ياء، والملاحظة الثانية أنهم قلبوا الواو ياءً وليس العكس، لأن الياء أخف من الواو، يقول د. غالب فاضل المطلبي في هذا الصدد: " من الواضح أن العربية تميل في التأثيرات المتبادلة بين الواو

---

[1] - سورة الأعراف: الآية، ١٧٨
[2] - سورة النمل: الآية، ٨١
[3] - انظر الكتاب: سيبويه، ٤١٤/٣ ، وشرح ابن عقيل: ٧٨/٢
[4] - انظر شرح ابن عقيل: ٧٩/٢
[5] - أسرار النحو: ابن كمال باشا، ٨٢

والياء إلى قلب الواو إلى ياء، ويبدو أن هذا جزء من نزوع عام في العربية إلى تغليب الياء على الواو في أثناء التأليف الفنولوجي "[1].

ومن الشواهد عليه ما روي عن ورقة بن نوفل أنه قال للرسول صلى الله عليه وسلم، عندما نزل عليه الوحي أول مرة: " لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ مُخْرِجِيَّ هُمْ "[2]، قال مُخْرِجِيَّ، والأصل أن يقول مخرجوي.

وقد ورد جمع المذكر السالم المضاف إلى ياء المتكلم في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾[3]، ذكر (مُصْرِخِيَّ) والأصل أن تكون (مُصْرِخُوِيَ)، كما ورد الملحق بجمع المذكر السالم مضافاً إلى ياء المتكلم في حالة النصب، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾[4].

فالأصل في (بَنِيَّ) هو بنيي، فبعد حذف النون من (بنين) للإضافة، التقت الياء بالياء، فحركت الياء الثانية بالفتح وأدغمت في الأولى، فالإعراب هنا ليس تقديريًّا؛ لأن الياء ليست منقلبة عن واو، بل هي الياء الأصلية.

رابعًا: الأسماء الستة المعتلة الآخر المضافة إلى ياء المتكلم

وهي (ذو) و(فو)، أما (ذو) فلم يرد عن العرب استعمالها مضافة إلى ياء المتكلم، بل استعاضوا عنها كلمة (صاحبي)[5]، أما (فو) عند إضافتها إلى ياء المتكلم فإنها تصبح (فِيَّ)[6]، رفعًا ونصبًا وجرًّا، إلا أن التفسير مختلف، ففي حالة الرفع عندما نضيف (فو) إلى ياء المتكلم تلتقي الواو بالياء، مما يسبب ذلك ثقلاً وجهدًا عضليًّا كبيرًا في أثناء النطق بالكلمة؛ لذا تقلب الواو ياءً، وتحرك ياء المتكلم بالفتحة، ثم تدغم الياءان، وتكسر الفاء لمناسبة الياء، فنقول هذا فِيَّ، ويمكنني اختصار ما حدث في المعادلة الآتية:

فُو + ي ← فُوي ← فُيي ← فُييَ ← فُيَّ ← فِيَّ

وفي حالة النصب نضيف (فا) إلى ياء المتكلم، فتلتقي الألف بالياء، ثم تقلب الألف ياءً، ونكمل عملية التغييرات كما حدث في السابق، فنقول: إنَّ فِيَّ لا يقول إلا الحق.

وفي حالة الجر، الياء المدغمة في (فِيَّ) هي ياء الجر الأصلية، فنقـول: وضعت الطعام

---

[1] - في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية: ٣٠٢
[2] - الجامع الصحيح: الإمام مسلم بن الحجَّاج، كتاب الإيمان، ٩٨/١
[3] - سورة إبراهيم: الآية، ٢٢
[4] - سورة يوسف: الآية، ٦٧
[5] - دراسات نقدية في النحو العربيّ: د.عبد الرحمن أيوب، ٤٠
[6] - الخصائص: ابن جني، ٣٩٥/١ ، وأسرار النحو: ابن كمال باشا، ٨٢ - ٨٣

في فِيَّ، وفي هذه الحالة لا يكون الإعراب تقديريًّا، بل يكون في حالتي الرفع والنصب، أمَّا قول الفرزدق[1]:

هُمَا تَفَلا فِي فِيَّ مِنْ فَمَوَيْهِمَا   عَلَى النَّابِحِ العَاوِي أَشَدُّ رِجَامِ

جاءت (فِيَّ) في موقع جر، أي أن الياء المدغمة في ياء المتكلم هي ياء الجر الأصلية، فالإعراب هنا ليس تقديريًّا.

ويرى د. عبد الرحمن أيوب أن (فو) لا تضاف إلى ياء المتكلم، بل تستخدم (فم) بديلاً عنها، فنقول: فمي[2].

قد يكون كلام د. أيوب صحيحًا على مستوى الاستعمال العام في أيامنا هذه، إلا أنه ورد استعمال (فِيَّ) كما رأينا في بيت الفرزدق السابق الذكر، والفرزدق لم يستعملها خارجًا عن القواعد النحوية، بل هو القياس بعينه، صحيح أن استعمالها بهذه الصورة قليل، إلا أننا لا نستطيع أن نهمله أو ننكر وجوده.

وتجدر الإشارة إلى أن الأسماء الستة الصحيحة الآخر، عند إضافتها إلى ياء المتكلم، فإنها تعامل معاملة الاسم المفرد المضاف إلى ياء المتكلم، فتعرب بالحركات[3]، إلا أن الياء ستمنع ظهور العلامة الإعرابية، لاشتغال المحل بالكسر العارض لمناسبة الياء، وستصبح مقدرة منع من ظهورها التعذر، فنقول: هذا أبِي، ورأيت أبِي، ومررت بأبِي.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾[4]، حيث قدِّرت الضمة على الباء في (أبي)؛ لاشتغال المحل بالكسرة.

وقوله: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾[5]، حيث قدِّرت الفتحة على الباء في (أبي)؛ لاشتغال المحل بالكسرة.

وقوله: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾[6]، حيث قدِّرت الكسرة على الباء في (أبي)؛ لاشتغال المحل بالكسرة.

* * *

[1] - ديوان الفرزدق: ٤٨٥ ، وانظر الكتاب: سيبويه، ٣٦٥/٣
[2] - دراسات نقدية في النحو العربي: ٤٠
[3] - انظر شرح ابن عقيل: ٥٢/١
[4] - سورة يوسف: الآية، ٨٠
[5] - سورة القصص: الآية، ٢٥
[6] - سورة يوسف: الآية، ٩٣

يتضح مما سبق أن العلامة الإعرابية من الممكن أن تظهر في نهاية بعض الكلمات، إلا أن ذلك يحدِث ثقلاً وجهدًا عضليًّا مستكرهًا؛ لذا تستغني العربية عن العلامة الإعرابية، وتكون مقدَّرةً.

والمواضع التي أصبح الإعراب فيها تقديريًّا لثقل العلامة الإعرابية، هي التي تجتمع فيها الضمة – كعلامة إعرابية – بالواو أو الياء، في نهاية الأفعال الناقصة، أو التي تجتمع فيها الضمة أو الكسرة – كعلامتين إعرابيتين – بالياء في الاسم المنقوص.

وربما يحدث الثقل عند اجتماع الواو – كعلامة إعرابية – بالياء، في جمع المذكر السالم المضاف إلى ياء المتكلم في حالة الرفع، وفي الأسماء الستة المعتلة الآخر في حالتي الرفع والنصب، عند اتصالها بياء المتكلم.

فالعربية تستغني في كل ذلك عن العلامة الإعرابية، في مقابل تحقيق الخفة والانسجام الصوتيّ بين صوامت الكلمة وصوائتها، ما دام ذلك سيكون الأفضل والأيسر، لا سيما أنه لا يُحدث لبسًا، ولا يُخرج الكلمة عن كلام العرب.

الفصل الثاني
إبدال العلامة الإعرابية

- ❖ المبحث الأول: إبدال الحركات بالحركات
- ❖ المبحث الثاني: إبدال الحروف بالحركات
- ❖ المبحث الثالث: إبدال الساكن لالتقائه بالساكن

أوضحنا في الفصل السابق أهمية الإعراب في العربية، ولجوئها إلى الإعراب التقديريّ في حال تعذر النطق بالعلامة الإعرابية، أو استثقال ظهورها، نتيجة لانتهاء بعض الكلمات بصوت علة، إما أن يكون صوت العلة من بنية الكلمة، أو أن يكون مضافًا إليها.

بيد أنه يوجد بعض الكلمات من الممكن أن تظهر عليها العلامة الإعرابية، ولكنها لا تتوافق مع محيطها الصوتي، ربما لإسناد الكلمة إلى ضمير لا يتناسب مع العلامة الإعرابية فيتم إبدالها لتتوافق مع اللاحقة الصرفية الجديدة، أو ربما يكون إبدالها لأنها ساكنة قد التقت بساكن، وهذا مرفوض في اللغة العربية، فيتم إبدال أحد الساكنين، ويمكنني توضيح الأسباب المؤدية إلى إبدال العلامة الإعرابية بأخرى فيما يأتي:

١ – **توالي المقاطع القصيرة:** كما في ضَرَبْتُ، الأصل ضَرَبَتُ، توالى أربعة مقاطع قصيرة، وهذا مستكره، فيتم إبدال بناء الفعل من الفتح إلى البناء على السكون.

٢ – **المناسبة الصوتية:** كما في ضَرَبُوا، الأصل ضَرَبَوا، تم إبدال بناء الفعل من الفتح، إلى البناء على الضم؛ لمناسبة واو الجماعة.

٣ – **المخالفة الصوتية:** كما في رأيت المسلماتِ، والأصل المسلماتَ، تم إبدال العلامة الإعرابية من فتحة إلى كسرة؛ حتى لا يجتمع ثلاثة مصوتات من المخرج نفسه.

٤ – **أمن اللبس:** كما في تَضْرِبَنَّ، والأصل تَضْرِبُنَّ، تم إبدال العلامة الإعرابية من الضمة إلى البناء على الفتح؛ حتى لا يلتبس المفرد بجمع المذكر الذي حذفت منه النون لتوالي الأمثال، ثم حذفت منه واو الجماعة.

٥ – **التقاء الساكنين:** كما في قُلِ الحَقَّ، والأصل قُلْ الحَقَّ، التقى ساكنان وهذا مرفوض في العربية، فتم تحريك الساكن الأول بالكسر لفظًا وكتابةً، ولكن بقي السكون علامة البناء الحقيقية للكلمة.

ونلاحظ أن إبدال العلامة الإعرابية يأتي على الصور الآتية:

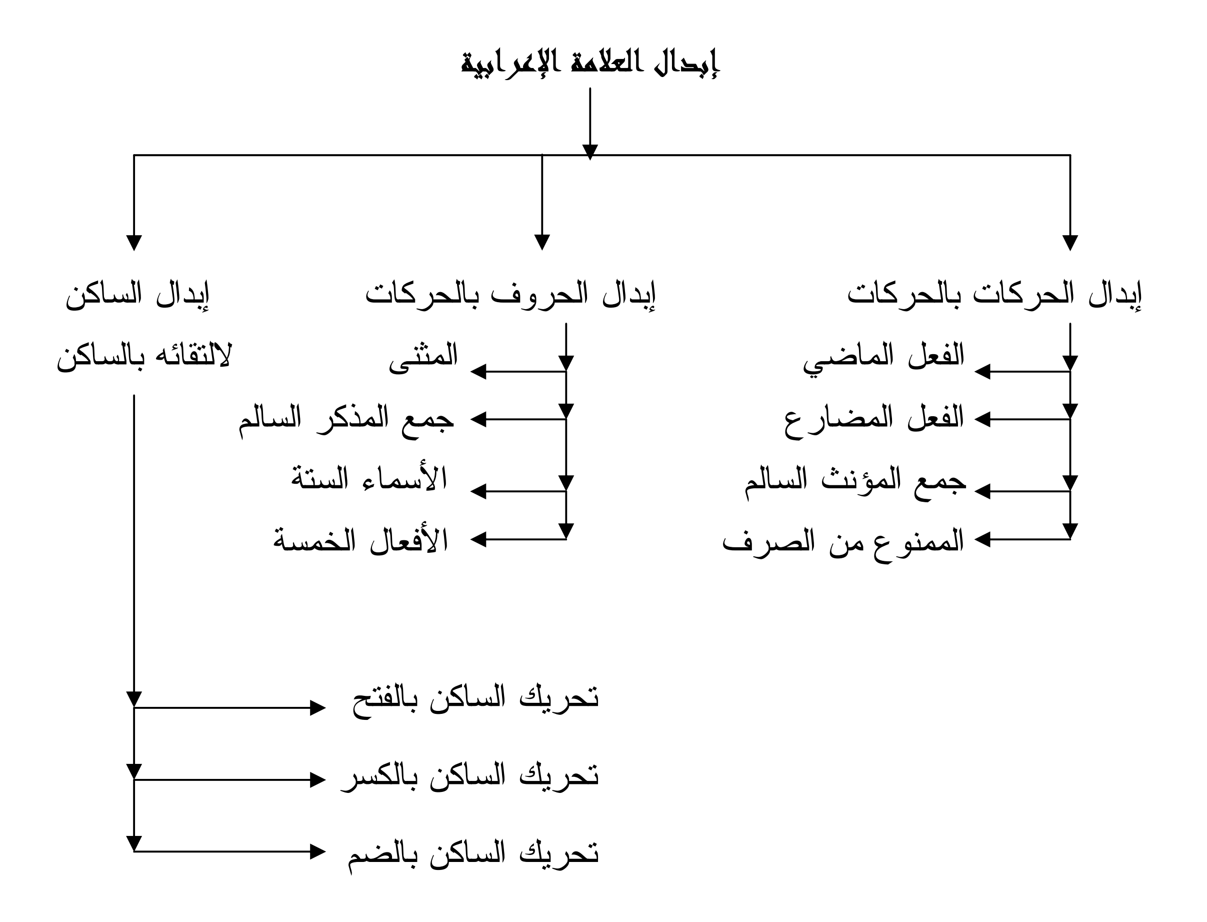
١ – **إبدال الحركات بالحركات:** نحو إبدال بناء الفعل الماضي من الفتح إلى السكون أو الضم كما في ضربْت، وضربُوا.

٢ – **إبدال الحروف بالحركات:** نحو إعراب المثنى وجمع المذكر السالم والأسماء الستة والأفعال الخمسة، فإنها تعرب بالحروف بدلاً من الحركات.

٣ – **إبدال الساكن لالتقائه بالساكن:** نحو قُمِ الليلَ، حيث تم تحريك الميم في (قم) بالكسر لفظًا

وكتابةً؛ منعًا لالتقاء الساكنين الذي ترفضه العربية، وتفر منه بعدة طرق، منها تحريك أحد الساكنين.

ويمكنني توضيح ذلك من خلال المخطط الآتي:



المبحث الأول
إبدال الحركات بالحركات

❖ أولاً: الفعل الماضي:

١ –المسند إلى ضمائر الرفع المتحركة

٢ –المسند إلى واو الجماعة

❖ ثانيًا: الفعل المضارع:

١ –المسند إلى نون النسوة

٢ –المؤكد بالنون

❖ ثالثًا: جمع المؤنث السالم

❖ رابعًا: المنموع من الصرف

أولاً: الفعل الماضي

١ – المسند إلى ضمائر الرفع المتحركة: يبنى الفعل الماضي على الفتح إذا لم يتصل به ضمير، نحو: كتبَ، ويبقى مبنيًّا على الفتح إذا أسند إلى ألف الاثنين، نحو: كتبا، أو إذا لحقته تاء التأنيث الساكنة، ما لم يكن معتل الآخر بالألف، نحو: كتبَتْ.

أما إذا أسند الفعل الماضي إلى ضمائر الرفع المتحركة فإنه يبنى على السكون، وقد أشار د. تمام حسان إلى أن ذلك يتم في الإسنادات التالية[1]:

١ – مع تاء المتكلم: ضربْتُ

٢ – مع نا المتكلمين: ضربْنا

٣ – مع تاء المخاطب: ضربْتَ

٤ – مع تاء المخاطبة: ضربْتِ

٥ – مع ضمير المخاطبَين: ضربْتُما

٦ – مع ضمير المخاطبِين: ضربْتُم

٧ – مع ضمير المخاطبات: ضربْتُنَّ

٨ – مع ضمير الغائبات: ضربْنَ

ثم وضح سبب بناء الفعل الماضي على السكون في هذه المواضع بقوله: " يلجأ الذوق الاستعمالي العربي إلى إسكان لام الفعل التي عليها علامة البناء فيصبح الفعل مبنياً على السكون بعد أن كان مبنياً على الفتح. يفعل الذوق الاستعمالي ذلك لأنه يكره توالي أربعة متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة "[2].

فالسبب في إبدال العلامة البنائية هنا لأنه قد توالى في الكلمة أربعة صوائت جعلت النطق بها مستثقلاً، فكان لا بد من إبدال البناء على الفتح بما هو أخف من الفتحة، وبما هو غير ملبس بكلمة أخرى، فلم يكن إلا السكون.

وقد أشار ابن جني إلى ذلك فقال: " فمما استدل به على شدة اتصال الفعل بالفاعل تسكينهم لام الفعل إذا اتصلت به علامة ضمير الفاعل، وذلك نحو ضربْتُ ودخلْتُ وخرجْتُ، وإنما فعلوا ذلك لأنهم كرهوا أن يقولوا: ضَرَبَتُ ودَخَلَتُ وخَرَجَتُ لتوالي أربعة متحركات "[3].

---

[1] - اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٩٩ - ٣٠٠

[2] - السابق: ٢٩٩

[3] - سر صناعة الإعراب: ١٩٧/١

لقد فطن ابن جني بعبقريته الفذة إلى أن السبب في إبدال العلامة البنائية هنا هو استثقال توالي أربعة متحركات[1]، ولكن كلامه لا يخلو من بعض المغالطات، فقد ذكر أيضًا، أن السبب في إبدال علامة البناء عائد إلى شدة اتصال الفعل بالفاعل، لدرجة حذف علامة البناء على الفتح من نهاية الفعل؛ حتى يتصل الفاعل مباشرة بالفعل.

ليس هذا هو السبب الحقيقيّ – في نظري – فربما ينفصل الفعل عن الفاعل بالمفعول به، نحو: ضربك زيدٌ، أما إذا كان يريد أن الفاعل هنا ضمير متصل لابدَّ من ملاصقته للفعل لدرجة أن علامة البناء تحذف من أجله، فهذا الرأي باطل أيضًا، فها هي الألف التصقت بالفعل ولم تؤثر في علامته الإعرابية، نحو: ضربَا، إذن الأمر ليس مجرد ملاصقة الفعل بالفاعل، بل هو استكراه توالي أربعة متحركات.

وليس كل أربعة متحركات مستكرهًا، فالفعل (ضَرَبَكَ) فيه أربعة متحركات، ولم يحدث عليه أي تغيير، يبدو لي أن استكراه وجود أربعة متحركات في الفعل المسند إلى الفاعل، عندما يكون ضميرًا متصلاً متحركًا، عائد إلى أن " الفاعل أقوى والمفعول أضعف "[2]، فعندما اتصل بالفعل أثقله بقوته، فكان لا بد من التخفيف من وطأة الفاعل عليه، لذلك تم تسكين نهاية الفعل؛ لأن " السكون أخف من الحركة "[3]، وهذا ما يفسر بناء الفعل على السكون عند اتصاله بـــ (نا) المتكلمين، نحو: ضَرَبْنا زيدًا، بينما يبقى مبنيًّا على الفتح عند اتصاله بـــ (نا) المفعولين، نحو: ضَرَبَنَا زَيْدٌ.

وعندما يتم إبدال العلامة البنائية، فإن التركيب المقطعيّ لهذه الأفعال سوف يقل، وهذا ما تسعى إليه العربية، الخفة في تركيب الكلمة بما يسهل النطق بها، شرط ألا يحدث ذلك لبسًا، أو يجحف بحق الكلمة في الإيضاح والإفهام، أو أن يخرجها عن كلام العرب، ويمكنني توضيح التغيير في التركيب المقطعيّ لهذه الأفعال من خلال هذا المثال:
ضَرَبَتُ = ض ـَـ / ر ـَـ / ب ـَـ / ت ـُـ ← ضَرَبْتُ = ض ـَـ / ر ـَـ ب / ت ـُـ

ومن الآيات القرآنية عليها قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ﴾[4]، حيث بُني الفعلان (سَلَّمْتُمْ، وآتَيْتُمْ) على السكون لاتصالهما بضمير المخاطبين، والأصل أن يكونا مبنيين على الفتح.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾[5]، حيث بُنيت الأفعال

---

[1] - وأشار أيضًا إلى ذلك ابن يعيش في شرح المفصل: ٥/٧
[2] - شرح المفصل: ابن يعيش، ٧٥/١
[3] - السابق: ٨٢/٣ ، وشرح ابن عقيل: ٤١/١
[4] - سورة البقرة: الآية، ٢٣٣
[5] - سورة البقرة: الآية، ٥٠

(فرقْنا، وأنجيْناكم، وأغرقْنا) على السكون لاتصالها بـــ (نا) المتكلمين، والأصل أن تبنى على الفتح.

وقوله: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[1]، حيث بُني الفعلان (أحطْت، وجئْتك) على السكون لاتصالهما بتاء الفاعل والأصل أن يبنيا على الفتح.

٢ – المسند إلى واو الجماعة: عند إسناد الفعل الماضي إلى واو الجماعة، فإنه يبنى على الضم لمناسبة الواو[2]، والأصل أن يبنى على الفتح، نحو: كتبُوا، أصلها كتَبَوا، إلا أن الصيغة الثانية مستثقلة، فتم إبدال البناء على الفتح إلى البناء على الضم؛ ليتناسب مع الواو، ويحقق الانسجام الصوتي بين العلامة البنائية والضمير المتصل بالفعل.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[3]، وقوله: ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾[4]، حيث بُنيت الأفعال (بَرَزُوا، وكَفَرُوا، وصُدُّوا) على الضم؛ لمناسبة الواو، والأصل أن تُبنى على الفتح.

ثانيًا: الفعل المضارع

١ – المسند إلى نون النسوة: عند إسناد الفعل المضارع إلى نون النسوة فإنه يبنى على السكون[5]، نحو: يَكْتُبْنَ، الأصل أن يكون مرفوعًا فنقول: يَكْتُبُنَ، وواضح ما لهذه الصيغة من ثقل، وكان لا بدَّ من تعديل العلامة الإعرابية لتتناسب مع اللاحقة الصرفية الجديدة، فبُني الفعل على السكون حتى يعقبه حركة النون[6].

ويبدو لي أنه يوجد هناك سبب آخر غير التخلص من ثقل الحركات المتوالية، ألا وهو اطراد بناء الفعل المسند إلى نون النسوة على السكون، فكما بني على السكون في الفعل الماضي، لِمَ لا يكون مبنيًّا على السكون في الفعل المضارع ؟

ومنه قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾[7]، حيث جاءت الأفعال المضارعـــة

---

[1] - سورة النمل: الآية، ٢٢
[2] - شرح المفصل: ابن يعيش، ٦/٧
[3] - سورة إبراهيم: الآية، ٤٨
[4] - سورة الرعد: الآية، ٣٣
[5] - شرح ابن عقيل: ٥٤٥/٢ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ١٠/٧
[6] - انظر ظاهرة التخفيف في النحو العربي: د. أحمد عفيفي، ٢٧١
[7] - سورة النور: الآية، ٣١

(يَغْضُضْنَ، ويَحْفَظْنَ، ويُبْدِينَ، ويَضْرِبْنَ) مبنية على السكون لاتصالها بنون النسوة والأصل أن تكون مرفوعة.

٢ – المؤكد بالنون: إذا لم يسبق الفعل المضارع بناصب أو جازم، فإنه يكون مرفوعًا، نحو: يكتبُ الولد الدرس، وإذا أردنا أن نؤكد هذا الفعل بالنون الخفيفة أو الثقيلة فإنه يبنى على الفتح، نحو: هل تَكْتُبَنْ ؟ وهل تَكْتُبَنَّ ؟

ولكن ما السبب في بناء الفعل المضارع هنا على الفتح ؟

يتراءى لي أن الأمر عائد إلى أمن اللبس، فلو بقيت الضمة على حالها وقلنا: يَكْتُبُنَّ، فربما يلتبس الأمر بالفعل المضارع المسند إلى واو الجماعة (يكتبون)، المؤكد بالنون، فإنه تحذف نون الرفع لكراهية توالي الأمثال، ثم تقصر الواو لتكوُّن مقطع مديد ليس هذا موضعه، فتصبح الكلمة (يَكْتُبُنَّ)، لذلك كان لا بد من التمييز بين المفرد والجمع، فتم إبدال العلامة الإعرابية من الضمة إلى البناء على الفتح، ولم يسكَّن الفعل كما حدث مع نون النسوة؛ منعًا من التقاء الساكنين الذي تفرُّ منه العربية أينما وجدته.

ومن الآيات القرآنية على الفعل المضارع المؤكد بالنون الخفيفة قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾[1]، ومن المؤكد بالنون الثقيلة، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾[2]، وقد اجتمعت النونان في قوله تعالى: ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾[3].

ثالثًا: جمع المؤنث السالم

علامة رفع جمع المؤنث السالم الضمة، وعلامة نصبه وجره الكسرة[4]، فنقول: جاءت المسلماتُ، ورأيت المسلماتِ، ومررت بالمسلماتِ.

ويعلل سيبويه سبب إبدال علامة نصب جمع المؤنث السالم من فتحة إلى كسرة، بقولـــه: " جعلوا تاء الجمع في الجر والنصب مكسورة، لأنهم جعلوا التاء التي هي حرف الإعراب كالواو والياء، والتنوين بمنزلة النون لأنها في التأنيث نظيرة الواو والياء في التذكير فأجروها مجراها "[5].

---

[1] - سورة العلق: الآية، ١٥
[2] - سورة الكهف: الآية، ٢٣
[3] - سورة يوسف: الآية، ٣٢
[4] - انظر الكتاب: سيبويه، ١٨/١ ، ورصف المباني في شرح حروف المعاني: المالقي، ١٦٤ - ١٦٥
[5] - الكتاب: ١٨/١

وقد أيَّده المالقي في هذا الرأي فقال: " إنما ذلك بحمل النصب على الخفض فيه كما حُمِل في مذكَّرِه في قولِهم: رأيت الزيدِينَ ومررت بالزيدِينَ "[١].

وردَّد الزمخشري الكلام ذاته فقال: " وقد أجري المؤنث على المذكر في التسوية بين لفظي الجر والنصب فقيل رأيت المسلماتِ ومررت بالمسلماتِ كما قيل رأيت المسلمين ومررت بالمسلمين "[٢].

أي أن القدماء يرون أن علامة نصب جمع المؤنث السالم الكسرة حملٌ على جمع المذكر السالم، فكما أن علامة نصب جمع المذكر السالم وجره واحدة وهي الياء، فكذلك الحال في جمع المؤنث السالم، فإن علامة نصبه وجره واحدة وهي الكسرة.

ومن المحدثين الذين ردَّدوا ما قاله القدماء – رغم أنه يدعي أنه ضد ذلك – د. مهدي المخزوميّ، إذ يقول: " ومما يؤيد أن إعراب جمع المؤنث كان قياساً على إعراب جمع المذكر أنه لم يكن فيه ما يمنع نصبه بالفتحة. والقول بالقياس هنا مقبول، لأنه قياس لغويّ محض، إنه قياس النظير على النظير "[٣].

يبدو لي أن الأمر ليس مجرد قياس جمع المؤنث السالم في حالتي النصب والجر، على جمع المذكر السالم في حالتي النصب والجر، فكون جمع المذكر السالم ينصب ويجر بالياء، فهذا لا يعني بالضرورة أن ينصب جمع المؤنث السالم ويجر بالكسرة.

الأمر – في نظري – عائدٌ إلى أسباب صوتية تتعلق بطبيعة الأصوات التي تتألف منها اللاحقة الصرفية (ات) في نهاية الاسم، صحيح أنه لا يوجد ما يمنع من نصب جمع المؤنث السالم بالفتحة، كما ذكر د. المخزومي، إلا أنه سيجتمع الألف وهي عبارة عن فتحتين، ثم صوت التاء تلحقه مباشرة الفتحة، فكأن اللسان قد استمر في الاستعلاء مما سبب له ثقلاً وجهدًا عضليًّا، فكان لا بد من اللجوء إلى قانون المخالفة الصوتية، عن طريق إبدال الفتحة كسرة ليستفل اللسان، فيحدث الانسجام الصوتيّ في صوائت الكلمة.

وقد أشار هنري فليش إلى هذه العلة الصوتية، التي سببت العدول عن نصب جمع المؤنث السالم بالفتحة إلى نصبه بالكسرة، بقوله: " الهدف من ذلك بداهة تجنب النطق بمجموعة مصوتات متحدة الطابع متواصلة "[٤]، وأيَّده د. رمضان عبد التواب، فذكر أن قانون المخالفة " هو الذي أدى إلى تخالف الفتحة إلى كسرة "[٥].

---

[١] - رصف المباني في شرح حروف المعاني: ١٦٥
[٢] - شرح المفصل: ٧/٥
[٣] - قضايا نحوية: ١٠٤
[٤] - العربية الفصحى: ٤٨
[٥] - التطور اللغويّ: ٤٣

ومن الآيات القرآنية على جمع المؤنث السالم المنصوب بالكسرة بدلاً من الفتحة، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1].

رابعًا: الممنوع من الصرف

ليس المراد هنا عرض أشكاله وبيان صوره، أو الخوض في سبب منعه من الصرف، وإنما ما يهمنا هو إعرابه، حيث إن علامة رفعه الضمة، وعلامة نصبه وجره الفتحة، فنقول: جاء أحمدُ، ورأيت أحمدَ، ومررت بأحمدَ[2].

في الحقيقة لا يوجد هناك علة صوتية تمنع (الممنوع من الصرف) من أن تكون علامة جره الكسرة، وفي نظري، أن الأمر راجع إلى السببين الآتيين:

١ – **أمن اللبس:** لأننا لو قلنا مثلاً: مررت بأحمدِ من الممكن أن يعتقد السامع أن المتحدث أراد إضافة الكلمة إلى ياء المتكلم أي أراد (أحمدِي)، ولكنه قصر الياء وأصبحت كسرة، لذلك عدلت العربية عن جر الممنوع من الصرف بالكسرة، إلى جره بالفتحة لأمن اللبس، وقد أشار السيوطي إلى هذا المعنى بقوله: " لئلا يتوهم أنه مضاف إلى ياء المتكلم، وأنها حذفت، واجتزئ بالكسرة "[3].

وما يؤيد هذا الأمر، أن ظاهرة قصر الياء كانت منتشرة عند العرب، كقولهم في لا أدري: لا أدرِ[4]، وقد وردت في القرآن الكريم، وسوف نعرض ذلك في الفصل الرابع[5] إن شاء الله تعالى.

٢ – التخفيف: فقد أثبت د. أحمد عفيفي أن الممنوع من الصرف ثقيل[6]، ويمكنني أن أذكر بعض النماذج التي ذكرها مختصرة من خلال الجدول الآتي:

الممنوع من الصرف	سبب ثقله
العلم الذي على وزن الفعل، نحو: أحمد	الفعل أثقل من الاسم
العلم المعدول على وزن فُعل، نحو: عُمر	الفرع أثقل من الأصل
العلم المركب تركيبًا مزجيًّا، نحو: حضرموت	التركيب أثقل من الإفراد
العلم المؤنث، نحو: حمزة، وزينب، وفاطمة	المؤنث أثقل من المذكر

[1] - سورة النور: الآية، ٢٣
[2] - انظر شرح المفصل: ابن يعيش، ٥٧/١
[3] - همع الهوامع: ٧٦/١
[4] - الكتاب: سيبويه، ١٩٦/٢ ، ١٨٤/٤
[5] - انظر ص ٢٧٠ - ٢٧٤
[6] - ظاهرة التخفيف في النحو العربي: ٢٩٠ - ٣١٧

ونتيجة لثقل الممنوع من الصرف، فإن العربية لجأت إلى تخفيفه، عن طريق حذف التنوين منه، وزيادة في التخفيف فقد جرَّته بالفتحة بدلاً من الكسرة؛ لخفة الفتحة.

ومن الآيات القرآنية عليه، قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾[1]، حيث جاءت الأسماء الآتية: (إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، وعيسى، وأيوب، ويونس، وهارون، وسليمان) في موقع جر، فجرت بالفتحة بدلاً من الكسرة.

* * *

مما سبق يتضح أن العربية عدلت عن العلامة الإعرابية أو البنائية إلى أخرى عندما أحدثت العلامة الأصلية ثقلاً وجهدًا عضليًّا مستكرهًا، ناتجًا عن اجتماع عدة متحركات متوالية، أو عدم تناسب العلامة مع محيطها الصوتي، أو لاجتماع عدة مصوتات متماثلة، أو ربما عدلت العربية عن العلامة الأصلية إلى أخرى لأمن اللبس، أو لأن الكلمة فيها ثقل ما فزادتها العلامة ثقلاً، فعدلت إلى أخرى أخف من العلامة الأصلية؛ تخفيفًا على الكلمة.

وفي كل ذلك كان هدف العربية هو الحصول على صيغة أكثر خفةً وانسجامًا في صوامتها وصوائتها.

---

[1] ـ سورة النساء: الآية، ١٦٣

المبحث الثاني

إبدال الحروف بالحركات

❖ أولاً: المثنى

❖ ثانيًا: جمع المذكر السالم

❖ ثالثًا: الأسماء الستة

❖ رابعًا: الأفعال الخمسة

أولاً: المثنى

هو الاسم الذي لحقته على مفرده، الألف والنون في حالة الرفع، والياء والنون في حالتي النصب والجر[1]، نحو: جاء الزيدان، ورأيت الزيدَين، ومررت بالزيدَين.

فلو حذفنا الألف والنون من (الزيدان)، ستصبح (زيد)، فالفرق بينهما هو الألف والنون، بمعنى أنهما دليل التثنية، ولا يمكن الاستغناء عنهما، إذا كانت الألف دليل التثنية، وهي التي أعطت للاسم هذه القيمة فأين العلامة الإعرابية ؟ هل من الممكن أن تكون تالية للألف ؟

بالطبع لا، لأن الألف عبارة عن فتحتين وإذا أضفنا الضمة سيجتمع ثلاثة صوائت متوالية، وهذا مرفوض في العربية، فلا بد أن تكون الألف هي العلامة الإعرابية نفسها بدليل تغيرها في حالتي النصب والجر.

معنى ذلك أن الاسم في الأصل وهو في حالة الرفع كان كعادته سيرفع بالضمة، ولكن إذا فعلنا ذلك ومطلنا الضمة، سنحصل على واو، وستصبح الكلمة (الزيدون)، أي ستكون دالة على الجمع وليس على المثنى، لذلك حتى يزول اللبس فإن العربية قد عدلت عن إعراب المثنى من الضمة إلى إعرابه بالفتحة الممطولة أي الألف.

وكان لهذه الألف أن تتغير في حالة النصب للتمييز بين المواقع النحوية، فلو أبدلنا الألف واوًا لعدنا إلى الخطوة السابقة، وهي الالتباس بجمع المذكر السالم، لذا لا يوجد لدينا سوى الياء، فأعرب المثنى في حالة النصب بالياء، أما في حالة الجر فالياء هي نفسها الكسرة الممطولة وبذلك تكون الياء علامة نصب المثنى وجره.

قد يتساءل متسائل إن كانت علامة نصب المثنى وجره هي الياء، فكيف نميِّز بينه وبين جمع المذكر السالم، فهو أيضاً ينصب ويجر بالياء ؟

نستطيع أن نميز بينهما من خلال حركة ما قبل الياء، ففي المثنى لا بد أن يكون الصامت مفتوحًا، فنقول: الزيدَين، وفي جمع المذكر السالم لا بد أن يكون ما قبل الياء مكسورًا، فنقول: الزيدِين.

وقد أشار سيبويه إلى ذلك بقوله: " ويكون في الجر ياءً مفتوحًا ما قبلها، ولم يكسر ليُفصل بين التثنية والجمع الذي على حد التثنية. ويكون في النصب كذلك "[2].

إذا كانت الألف علامة رفع المثنى، وعلامة نصبه وجره هي الياء، فما هذه النون ؟

---

[1] - انظر الكتاب: سيبويه، ١٧/١

[2] - السابق: الصفحة نفسها

يقول سيبويه عن هذه النون: " كأنها عوض لما منع من الحركة والتنوين "[1]، لم يجزم سيبويه بأنها للتعويض عن التنوين، وفي اعتقادي أنها ليست كذلك، بدليل أن المثنى يعرف بـــ (أل) رغم وجود النون فنقول: الزيدان، والزيدَين، فلو كانت بدل التنوين لما اجتمعت مع (أل) التعريف. فما هذه النون ؟!

يرى د. مهدي المخزوميّ أن هذه النون جاءت لتقي المد من القصر، فيقول: " لأن المد في الآخر إذا لم يدعم يكون عرضة للقبض، والحذف أحيانًا أيضًا، فألحقوه نونًا تقي المد مما قد يعرض له في الوقف وفي الوصل أيضًا "[2].

رأيه هذا منطقيّ، فلو أن النون لم تكن موجودة ولا يوجد بعدها كلام ستصبح نهاية المثنى إمَّا ألفًا، وإمَّا ياءً، فنقول: جاء زيدا، ورأيت زيدي، ومررت بزيدي، ومع السرعة في النطق ربما يقصر المد ويصبح الصائت الطويل صائتًا قصيرًا، فتضيع القيمة المرجوة من الألف والياء وهي الإفصاح عن التثنية.

وفي نظري أنه حتى لو لم يتم التقصير، وبقي المد على حاله، فربما يلتبس الأمر على القارئ، فيعتقد أن المثنى في حالتي النصب والجر عبارة عن مفرد أضيفت إليه ياء المتكلم، فلا بد من وجود النون في هذه الحالة لإزالة اللبس.

أما عن سبب كسر نون المثنى فهو عائدٌ إلى قانون المخالفة الصوتية، حيث سبقها الألف وهي عبارة عن فتحتين، وبوجود الفتحة على النون سيجتمع ثلاثة مصوتات من المخرج نفسه، مما يثقل على اللسان النطق بها، فكسرت النون هنا، ثم كسرت مع الياء أيضًا حتى يطرد كسرها مع المثنى، وكسرت النون في كل ما من شأنه أن يدل على المثنى، "ويستوي في ذلك الأسماء والأفعال "[3]، نحو: هذانِ، وهاتانِ، ويفعلانِ، وتفعلانِ، ويفعلانِّ، وتفعلانِّ.

ومن الآيات القرآنية على المثنى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾[4]، فجاءت كلمة (جنتان) مرفوعة وعلامة رفعها الألف بدلاً من الضمة.

وقوله: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾[5]، فجاءت كلمة (مسلمَين) منصوبة وعلامة نصبها الياء بدلاً من الفتحة.

[1] - الكتاب: ١٨/١
[2] - قضايا نحوية: ١٠١
[3] - المدخل إلى دراسة الصرف العربيّ: د. مصطفى النحاس، ٨٨
[4] - سورة سبأ: الآية، ١٥
[5] - سورة البقرة: الآية، ١٢٨

وقوله: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾[1]، فجاءت كلمة (الملكَين) مجرورة وعلامة جرها الياء بدلاً من الكسرة.

ثانيًا: جمع المذكر السالم

وهو الاسم الذي لحقته على مفرده، الواو والنون مضمومًا ما قبلها في حالة الرفع، والياء والنون مكسورًا ما قبلها في حالتي النصب والجر[2]، نحو: جاء الزيدون، ورأيت الزيدِين، ومررت بالزيدِين.

فالفرق بين (زيد) و(زيدون) هو وجود الواو والنون، وهذه الواو عبارة عن ضمتين، أي ضمة ممطولة، ولو تم تقصيرها سيصبح (زيدُن) وسيلتبس الأمر على السامع ويعتقد أنه مفرد منون، فمطل الضمة في جمع المذكر السالم " هو الذي يميزه عن المفرد "[3].

بما أن الواو هي المتغيرة حسب الموقع النحوي للكلمة، إذن هي العلامة الإعرابية، معنى ذلك أن العربية قد عدلت عن إعراب جمع المذكر السالم من الإعراب بالحركات إلى الإعراب بالحروف، وعلمنا سبب ذلك في حالة الرفع، أما في حالة النصب، لو أن الفتحة في (زيد) مطلت فإنها ستصبح ألفًا، وسيلتبس الأمر بالمثنى، لذا لم يكن سوى الياء لتكون علامة النصب، وفي الجر الياء هي الكسرة قد مطلت، فجاء إعرابه بالياء نصبًا وجرًّا.

ما قلناه عن أهمية النون في المثنى هو ذاته في جمع المذكر السالم، إلا أنها هنا مفتوحة على الأصل، وذلك في نظري لسببين هما:

١ – لا داعي لكسرها فهي ليست كالمثنى حيث لن تجتمع بالألف فيحدث الثقل، لذا بقيت على الأصل.

٢ – لإحداث التوازن والانسجام الصوتيّ في الكلمة، فالمثنى النون فيه مكسورة وما قبل الياء مفتوح، أما جمع المذكر السالم فعلى النقيض من ذلك، النون مفتوحة وما قبل الياء مكسور، فيحدث التعادل في تبادل الصوائت، فلا تجتمع الفتحات في كلمة وتجتمع الكسرات في كلمة أخرى.

ومن الآيات القرآنية على جمع المذكر السالم قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[4]، حيث جاءت (المؤمنون) في موقع رفع، وعلامة رفعها الواو بدلاً

[1] - سورة البقرة: الآية، ١٠٢
[2] - انظر الكتاب: سيبويه، ١٨/١
[3] - قضايا نحوية: د. مهدي المخزومي، ١٠١
[4] - سورة آل عمران: الآية، ٢٨

من الضمة، بينما (المؤمنين) جاءت في موقع جر، وعلامة جرها الياء بدلاً من الكسرة، وكلمة (الكافرين) جاءت في موقع نصب، وعلامة نصبها الياء بدلاً من الفتحة.

ثالثًا: الأسماء الستة

وهي: أب، وأخ، وحم، وذو، وفو، وهَنُ، الشائع فيها عند إضافتها إلى غير ياء المتكلم أن تكون علامة رفعها الواو، وعلامة نصبها الألف، وعلامة جرها الياء[١]، نحو: جاء أبوك، ورأيت أباك، ومررت بأبيك.

يرى ابن عقيل أن هذه الأسماء معربة بحركات مقدَّرة، فيقول: " والصحيح أنها معربة بحركات مقدرة على الواو والألف والياء، فالرفع بضمة مقدرة على الواو، والنصب بفتحة مقدرة على الألف، والجر بكسرة مقدرة على الياء "[٢].

في نظري أن هذا الرأي باطل، فلو كان هذا الرأي صحيحًا لماذا تغيرت الواو في حالة النصب إلى ألف، وفي حالة الجر إلى ياء ؟ أليس كان من المفترض – حسب زعمه – أن تبقى الواو على حالها ؟ فالعلامة عليها تقديرية، ولا أهمية من تبدلها من حال إلى حال.

لابن يعيش رأي آخر، حيث يقول: " إنما أعربت هذه الأسماء بالحروف لأنها أسماء حذفت لاماتها في حال إفرادها وتضمنت معنى الإضافة فحصل إعرابها بالحروف كالعوض من حذف لاماتها "[٣].

فهذه الأسماء قد جاءت على صامتين، وكان من المفترض أن تعرب بالحركات، إلا أنه لتعويض الصامت الناقص، ولتكثير أصوات الكلمة، تم إعرابها بالحروف، بمعنى أن هذه الواو ما هي إلا ضمة ممطولة، وهذه الألف ما هي إلا فتحة ممطولة، وهذه الياء ما هي إلا كسرة ممطولة، وحدث ذلك في الأسماء الستة " لتلحق بجمهرة الكلمات التي تتألف من ثلاثة أصوات "[٤].

وأغلب الظن عندي أن هذه الأسماء كانت في البداية تعرب بالحركات، نحو: هذا أبُك، ورأيت أبَك، ومررت بأبِك، وعلى ذلك جاء قول رؤبة بن العجَّاج[٥]:

بِأَبِهِ اقْتَدَى عَدِيٌّ فِي الكَرَمْ وَمَنْ يُشَابِهْ أَبَهُ فَمَا ظَلَمْ

جاءت (بِأَبِهِ) مجرورة بالكسرة، وفي (أَبَهُ) منصوبه بالفتحة، وقد عد النحاة هذه اللهجة

---

١ - انظر شرح ابن عقيل: ٤٤/١ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ٥١/١
٢ - شرح ابن عقيل: ٤٤/١
٣ - شرح المفصل: ٥١/١
٤ - قضايا نحوية: د. مهدي المخزومي، ١٠٠
٥ - ديوان رؤبة بن العجَّاج: ١٨٢ ، وانظر شرح ابن عقيل: ٤٩/١

نادرة[1]، وبعضهم عدها ضعيفة لا تكون إلا في الشعر[2].

إلا أنني أرى أن هذه اللهجة هي الأصل، ولكن الذوق العربيّ أدرك بفطرته الأصيلة بأن هناك صوتًا ناقصًا وكأنَّ الكلمة مبتورة، لم تستوفِ حقها من الأصوات المعهودة في الأسماء خاصة، فما كان منه إلا أن مطل الحركة فأصبحت حرفًا، وما هذه الحروف إلا جزء من تلك الحركات، وقد اعترف ابن جني بذلك فقال: " الحركات أبعاض حروف المد واللين... فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو "[3].

إذًا الأصل في الأسماء الستة إعرابها بالحركات، وبمرور الزمن عدل الناطق عن الصيغة الأصلية إلى الصيغة المتعارف عليها الآن، وهي إعرابها بالحروف، أي أننا من الممكن أن نستعير من د. رمضان عبد التواب مصطلح (الركام اللغوي)[4]، ونعد الصيغة الأصلية للأسماء الستة من ضمنه.

ومن الآيات القرآنية على الأسماء الستة قوله تعالى: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾[5]، حيث جاءت علامة رفع (أخوك) الواو بدلاً من الضمة.

وقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾[6]، حيث جاءت علامة نصب (أخاه) الألف بدلاً من الفتحة.

وقوله: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ﴾[7]، حيث جاءت علامة جر (أخيه) الياء بدلاً من الكسرة.

رابعًا: الأفعال الخمسة

وهي الأفعال المضارعة المسندة إلى ألف الاثنين للغائب وللمخاطب، أو المسندة إلى واو الجماعة للغائب وللمخاطب، أو المسندة إلى ياء المخاطبة، نحو: هما يفعلان، وأنتما تفعلان، وهم يفعلون، وأنتم تفعلون، وأنتِ تفعلين[8].

وهذه الأفعال ترفع بثبوت النون، وتنصب وتجزم بحذفها[9]، ولكن ما الذي أدى إلى إعرابها

---

[1] - شرح ابن عقيل: ٤٩/١
[2] - شرح المفصل: ابن يعيش: ٥٢/١
[3] - سر صناعة الإعراب: ٢٨/١
[4] - انظر التطور اللغويّ: ٤٢ ، سبق تعريف مصطلح "الركام اللغويّ" في هامش ص ٤٨
[5] - سورة طه: الآية، ٤٢
[6] - سورة مريم: الآية، ٥٣
[7] - سورة المائدة: الآية، ٣١
[8] - انظر شرح المفصل: ابن يعيش، ٧/٧
[9] - الخصائص: ابن جني، ٩٩/٢ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ٧/٧

بالحروف بدلاً من الحركات ؟

لو حاولنا أن نضع العلامة الإعرابية على لام الأفعال الخمسة، فسنجد استحالة تحقق ذلك؛ لأنه سيجتمع ثلاثة صوائت، العلامة الإعرابية مع الألف وهي عبارة عن فتحتين، أو الواو وهي عبارة عن ضمتين، أو الياء وهي عبارة عن كسرتين، أضف إلى ذلك تنافر اجتماعها مع بعضها البعض، فأمر وضع العلامة الإعرابية على لام الأفعال الخمسة مستحيل.

ولو حاولنا أن نضع العلامة الإعرابية تالية للألف والواو والياء سيحدث الأمر ذاته، وهو اجتماع ثلاثة صوائت، وهذا محال في العربية، لذا كان لزامًا علينا البحث عن علامة إعرابية أخرى غير الحركات، فلم يكن سوى اللجوء إلى الحروف.

قد يتساءل متسائل ولماذا لا تكون الألف والواو والياء هي العلامة الإعرابية ذاتها ؟

وفعلاً هذا ما نادى به د. مهدي المخزوميّ، إذ يقول في (تفعلون): " فالضمير المكنى به عن الفاعل المخاطب هو التاء، أما الواو فعلامة الجمع، والألف في (تفعلان) هي الألف في (الزيدان)، والواو في (تفعلون) هي الواو في (الزيدون) "[1].

في نظري أن هذا الرأي باطل؛ لسبب بسيط ألا وهو أن الألف والواو في المثنى متغيرة فهي علامة إعرابية بينما في الأفعال الخمسة ثابتة في الحالات الثلاث، فهي هنا ليست كتلك، كما أن المثنى وجمع المذكر السالم أسماء، لا تحتاج إلى فاعل، والألف في المثنى دليل التثنية، وفي جمع المذكر السالم دليل الجمع، بينما في الأفعال الخمسة هذه الأفعال تحتاج إلى فاعل، وما هذه الألف والواو إلا الفاعل ذاته، فهي أسماء وليست حروفًا للإعراب، ثم ماذا عن ياء المخاطبة، إذا كان د. المخزوميّ قد زعم تشابه الألف والواو في الأفعال الخمسة مع الألف في المثنى والواو في جمع المذكر السالم، فأين ما يماثل ياء المخاطبة في الأسماء ؟

يبدو لي أن الذي دعا د. المخزوميّ إلى اعتبار التاء والياء في الأفعال الخمسة هي الفاعل، والألف والواو مجرد علامة للتثنية والجمع أنه ذكر سابقًا بأن ما يسمى بحروف المضارعة (الألف والتاء والنون والياء) في أكتب، وتكتب، ونكتب، ويكتب، هي الفاعل وليس كما يردد النحاة القدماء من أن الفاعل ضمير مستتر[2]، لن أناقش صحة ذلك أو بطلانه، المهم ما أقره هناك دعاه إلى القول بأن التاء والياء في الأفعال الخمسة هي الفاعل؛ حتى يطرد حكمة ولا يقع في التناقض.

إلا أن ما ذهب إليه غير منطقيّ، وها هو العلامة سيبويه يجيب عن السؤال بكل عقلانيـــة

---

[1] - قضايا نحوية: ١٤٧

[2] - السابق: ١٤٦

فيقول: " ولم تكن الألف حرف الإعراب لأنك لم ترد أن تثني يفعل هذا البناء فتضم إليه يفعل آخر، ولكنك إنما ألحقت هذا علامة للفاعلين "[١].

فهذه الألف ليست للتثنية كما في (الزيدان)، لأنها هنا للدلالة على أننا ضممنا زيد إلى زيد، أما في (يقومان) فنحن لا نريد أن نضم (يقوم) إلى (يقوم)، فالقيام يتم مرة واحدة، وإنما أردنا أن نخبر بأن الذي (يقوم) ليس شخصاً واحداً بل هما شخصان اثنان، وبالتالي هذه الألف جاءت للدلالة على الفاعل، أي أنها ضمير، وبالتالي هي اسم وليس حرفَ إعرابٍ، وقس على ذلك في واو الجماعة، وياء المخاطبة.

بعد أن أثبتنا أن الحركات لا تجدي نفعًا في الأفعال الخمسة، وكذلك الألف والواو والياء ليست حروف إعراب، إذن ما هو الحرف الذي يمكن أن يكون العلامة الإعرابية ؟

وقع اختيار الذوق العربي على النون لتكون حرف الإعراب، فهي كما يقول عنها المالقي: " أخت حروف العلة "[٢]، فالنون من الأصوات المائعة الخفيفة المستحبة، بالإضافة إلى أن وجودها لا يحدث لبسًا أو يخلٌ بمعنى الفعل؛ لذلك أصبحت هي العلامة الإعرابية بديلاً عن الحركات، بدليل تغيرها من حال إلى حال، فهي مثبتة في حالة الرفع، ومحذوفة في حالتي النصب والجزم.

ولكن لماذا حرِّكت هذه النون بالكسرة مع المثنى، وبالفتحة مع واو الجماعة وياء المخاطبة ؟

يجيب المالقي عن هذا السؤال فيقول: " كسرت على أصل التقاء الساكنين مع الألف، وفتحت مع الواو والياء طلبًا للتخفيف "[٣].

لي على هذا القول ملاحظتان هما:

١ – كسر النون مع الألف لالتقاء الساكنين رأي باطل، فالألف ليست ساكنة وإنما هي عبارة عن فتحتين، ولو حركنا النون بالفتح فإنه سيجتمع ثلاثة صوائت متماثلة، مما يسبب ثقلاً وجهدًا عضليًّا غير مستحب، لذلك تلجأ العربية إلى قانون المخالفة الصوتية، فتكسر النون هنا كما كسرتها في المثنى للسبب ذاته.

٢ – فتح النون مع الواو والياء لخفة الفتحة، رأي سديد يتوافق مع ما توصل إليه علم الأصوات، حيث إننا لا نستطيع تحريك النون بالكسر مع واو الجماعة؛ لأنه سيحدث تنافرٌ نتيجة اجتماع الواو بالكسرة، ومع ياء المخاطبة سيجتمع ثلاثة أصوات من المخرج نفسه،

---

[١] - الكتاب: ١٩/١ ، وانظر سر صناعة الإعراب: ابن جني، ٢٤٦/٢

[٢] - رصف المباني في شرح حروف المعاني: ٣٣٩

[٣] - السابق: الصفحة نفسها

وكذلك لا نستطيع تحريك النون بالضم، لأن الأمر سيحدث معاكسًا للسابق، فلم يبق سوى الفتحة، فهي الأكثر انسجامًا مع واو الجماعة وياء المخاطبة، أضف إلى ذلك أنها هي الأصل، ولا حاجة للعدول عن الأصل طالما هو الأفضل والأكثر خفة وانسجامًا.

ومن الآيات القرآنية على الأفعال الخمسة قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ﴾[1]، حيث جاء الفعل (تمترون) في موقع رفع، وعلامة رفعه ثبوت النون بدلاً من الضمة.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[2]، فقد جاء الفعل (تدخلوا) في موقع جزم وعلامة جزمه حذف النون بدلاً من السكون، وجاء الفعلان (تستأنسوا، وتسلموا) في موقع نصب، وعلامة نصبهما حذف النون بدلاً من الفتحة.

* * *

الأصل في الإعراب أن يكون بالحركات، إلا أن العربية قد عدلت عن الإعراب بالحركات إلى الإعراب بالحروف عندما تعذر ذلك، وعند مقارنة المواضع التي تم فيها الإعراب بالحروف بالمواضع التي تم الإعراب فيها بالحركات، سنجد أن الأولى أقل بكثير، فهي محدودة في المثنى، وجمع المذكر السالم، والأسماء الستة، والأفعال الخمسة، أما بقية المباحث النحوية فتعرب بالحركات، سواء أكان الإعراب ظاهرًا أم تقديريًّا.

والحروف البديلة عن الحركات هي: أصوات العلة، وصوت النون، فالألف بديل عن الضمة في المثنى في حالة الرفع، وعن الفتحة في الأسماء الستة في حالة النصب، والواو بديل عن الضمة في جمع المذكر السالم، والأسماء الستة في حالة الرفع، والياء بديل عن الكسرة في المثنى، وجمع المذكر السالم، والأسماء الستة في حالة الجر.

أما النون فهي بديل عن الضمة في الأفعال الخمسة في حالة الرفع، وبديل عن الفتحة والسكون في حالتي النصب والجزم بحذفها من الأفعال الخمسة.

وقد لجأت العربية إلى الإعراب بالحروف بدلاً من الإعراب بالحركات؛ حتى تحقق المبدأ الذي سعت إليه دومًا، ألا وهو الخفة والانسجام الصوتي في صوامت الكلمة وصوائتها.

---

[1]- سورة الدخان: الآية، ٥٠

[2] - سورة النور: الآية، ٢٧

المبحث الثالث

إبدال الساكن لالتقائه بالساكن

- ❖ أولاً: تحريك الساكن بالفتح
- ❖ ثانيًا: تحريك الساكن بالكسر
- ❖ ثالثًا: تحريك الساكن بالضم

تعد السكون من ضمن الحركات الإعرابية التي تعتري نهاية بعض الكلمات، إعرابًا أو بناءً، ولن نناقش هنا مسألة كون السكون حركةً أم سلبًا للحركة، فهي على أية حال علامة إعرابية لا خلاف في ذلك، ما هو مهم في السياق اللغويّ هو التقاء الكلمات التي انتهت علامتها الإعرابية بالسكون بكلمة أخرى مبدوءة بساكن[١]، والابتداء بالساكن في درج الكلام لا يكون إلا في الكلمات المبدوءة بهمزة وصل، التي جيء بها للتوصل إلى النطق بالساكن، والتي تسقط في درج الكلام فتلتقي بالكلمة السابقة الساكنة الآخر.

والتقاء الساكنين مرفوض في العربية، وقد أقر بذلك النحاة القدماء، وعلى رأسهم سيبويه، حيث يقول: " لم يكن ليلتقي ساكنان "[٢]، وللتخلص من التقاء الساكنين تلجأ العربية إلى تحريك الساكن الأول، يقول د. داود عبده: " حين تلتقي كلمة تنتهي بصوت صحيح ساكن بكلمة تبتدئ بصوت صحيح ساكن (أي بصوتين صحيحين متوالين) يلجأ الناطقون بالعربية إلى إضافة صوت مد قصير، أي حركة، بعد الصوت الصحيح الأول لتجنب توالي ثلاثة أصوات صحيحة "[٣].

وهذا التحريك للساكن الأول الأصل أن يحرك بالكسرة[٤]، نحو: احفظِ العهد، حيث حرِّكت الظاء بالكسرة عند التقائها بلام التعريف الساكنة، وتحريك الساكن هنا لفظًا وكتابةً فقط، وتبقى العلامة البنائية هي السكون.

يقول د. تمام حسان: " وطريقة التخلص من التقاء الساكنين كما رأينا هي كسر أولهما إذا كان صحيحًا – وهذه الكسرة ليست جزءًا من بنية الكلمة وليست جزءًا من هيكلها الحركي وليست حركة إعرابية لها ولكنها علامة على موقع معين التقى فيه ساكنان في وسط الكلام ومن ثم يكون التخلص من التقاء الساكنين ظاهرة موقعية من ظواهر السياق وتكون الصلة الوحيدة بينه وبين نظام اللغة هي صلة التعارض وهي صلة سلبية "[٥].

ذكرنا أن الأصل في تحريك الساكن يكون بالكسرة، بيد أنه يوجد بعض الكلمات يحرَّك فيها الساكن بالفتحة، وبعضها يحرَّك بالضمة، قد يتساءل متسائل لماذا حرِّك الساكن بحركات عدة ولم يحرك بالكسرة فقط ؟

في نظري هذا الأمر راجعٌ إلى عدة أسباب، هي:

---

[١] - ظاهرة التقاء الساكنين في العربية تحدث في الغالب الأعم بين كلمتين متجاورتين، فيحرك الساكن الأول بالكسر، إلا أنه من الممكن أن يحرك في بعض الأحيان بالفتح أو الضم، ومن الممكن أن يكون الساكنان في كلمة واحدة، ويتم تحريك الساكن الثاني، التي هي العلامة الإعرابية، وذلك كما في الفعل المضارع المجزوم وفعل الأمر المضعف العين واللام. انظر المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها: محمد الأنطاكي، ٧٧/١ - ٧٩

[٢] - الكتاب: ١٥٢/٤

[٣] - أبحاث في اللغة العربية: ١٠٢

[٤] - انظر الكتاب: سيبويه، ١٥٢/٤ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ١٢٧/٩

[٥] - اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٩٦

١ – **المناسبة الصوتية:** قد يكون تحريك الساكن بغير الكسرة لمناسبة المحيط الصوتيّ للصائت الجديد، نحو تحريك الساكن بالضم لمناسبة واو الجماعة كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[1].

٢ – **المخالفة الصوتية:** وهنا يتحرك الساكن بغير الكسرة لمخالفة المحيط الصوتي له؛ حتى لا يتوالى عدة صوائت من المخرج نفسه، فيثقل على اللسان النطق بها، فتلجأ العربية إلى صائت آخر غير الكسرة، فعند التقاء كلمة منتهية بياء المتكلم بكلمة مبدوءة بساكن، فإن الياء تحرك بالفتح ولا تحرك بالكسر؛ حتى لا يجتمع صوتان من المخرج نفسه، نحو: كافأتُ صديقيَ المخلص.

٣ – **الخفة:** يتم تحريك الساكن بالفتحة لخفتها عن الكسرة نحو: لم يَشُدَّ، أصلها لم يَشْدُدْ، حرك الساكن الثاني بالفتحة بدلاً من الكسرة؛ لخفة الفتحة، فيكفي ما في الكلمة من ثقل التضعيف؛ لذا لم يحرك بالكسرة.

٤ – **العودة إلى الأصل:** يتم تحريك الساكن بغير الكسرة وذلك رجوعًا إلى أصل الساكن، فربما يكون أصله مضمومًا، وبُني على السكون لعلة ما، وعند التقائه بالساكن يعود إلى أصله، نحو: مُذْ عند التقائها بالساكن تحرك الذال بالضمة، فنقول: مُذُ الليلة، وحركت بالضمة لأن أصلها من (مُنْذُ)[2] حذفت نونها لكثرة الاستعمال، ثم سكنت الذال حتى لا يتوالى ضمتان.

ولو اتخذنا الحركة التي تم إبدالها بالساكن مقياسًا، سينتج لدينا ثلاث مجموعات من الكلمات، هي:

١ – كلمات تم تحريك الساكن فيها بالفتح.

٢ – كلمات تم تحريك الساكن فيها بالكسر.

٣ – كلمات تم تحريك الساكن فيها بالضم.

أولاً: تحريك الساكن بالفتح

١ – الكلمات التي لحقتها ياء المتكلم، إذا وليها ساكن فإن ياء المتكلم تحرّك بالفتح، نحو: عالجت جرحيَ النازف، وعالجنيَ الطبيب، وأخذ منيَ الدواء.

في نظري أن الياء لم تحرّك بالكسرة؛ لأنها عبارة عن كسرتين، فسيجتمع ثلاثة أصوات متماثلة، مما يسبب ذلك ثقلاً على اللسان، ففتحت الياء تبعًا لقانون المخالفة الصوتية.

---

[1] - سورة البقرة: الآية، ٢٣٧

[2] - انظر الخصائص: ابن جني، ١٢٣/٢

ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾[1]، حيث حرِّكت ياء المتكلم المتصلة بالاسم في (ربي) بالفتح لالتقائها بلام التعريف الساكنة.

وقوله: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾[2]، حيث حرِّكت ياء المتكلم المتصلة بالفعل في (آتاني) بالفتح؛ لالتقائها بلام التعريف الساكنة، بينما بقيت كما هي في (إني) و(جعلني) لأنه لم يأت بعدهما ساكن.

وقوله: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[3]، حيث حرِّكت ياء المتكلم المتصلة بحرف الجر في (بيَ) بالفتح؛ لالتقائها بلام التعريف الساكنة.

٢ – الاسم المقصور، عند إلحاق ياء المتكلم به فإنه يلتقي ساكنان – على حد تعبير النحاة القدماء – فتحرَّك الياء بالفتحة، نحو: بشرايَ، وهدايَ، وفتايَ[4].

في نظري أن السبب في تحريك الياء ليس لالتقاء الساكنين، لأن الألف عبارة عن فتحتين، والذي حدث هو تكوُّن مقطع مديد مغلق في نهاية الكلمة، فلجأت العربية إلى غيره، عن طريق تحريك الياء، وحرِّكت بالفتحة دون الكسرة لمناسبة الألف، ولكراهية اجتماع الياء بالكسرة، فالفتحة أخف، ويمكنني توضيح التغيير المقطعيّ لهذه الكلمات بتحريك الياء من خلال المثال الآتي:

هُدايْ = هـ ــُ/ د ــَ ــَ ي ← هُدايَ = هـ ــُ/ د ــَ ــَ /ي ــَ

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾[5].

٣ – الاسم المنقوص، إذا لحقته ياء المتكلم فإنه تلتقي الياء الساكنة بياء المتكلم الساكنة، فتحرَّك الثانية منهما بالفتحة، وتدغم في الأولى، نحو: قاضِيَّ، رفعًا، ونصبًا وجرًّا[6].

والذي حدث أن العلامة الإعرابية لكلمة (القاضي) قد حذفت منها لثقلها، فبقيت الياء ساكنةً، وقبل أن تدمج في الكسرة قبلها لتصبح مدًّا، التقت بياء المتكلم الساكنة، فتم تحريك ياء المتكلم بالفتح، ولم تحرَّك بالكسر حتى لا يجتمع ثلاثة صوائت من المخرج نفسه، ثم أدغمت في الياء الأولى.

---

[1] - سورة البقرة: الآية، ٢٥٨
[2] - سورة مريم: الآية، ٣٠
[3] - سورة الأعراف: الآية، ١٥٠
[4] - الكتاب: سيبويه، ٤١٣/٣ ، وشرح ابن عقيل: ٧٨/٢
[5] - سورة طه: الآية، ١٨
[6] - شرح ابن عقيل: ٧٧/٢

٤ – المثنى، عند إلحاق ياء المتكلم به، فإن نونه تُحذف للإضافة، فتلتقي الألف الساكنة – على حد تعبير القدماء – بياء المتكلم، فتُحرك الياء بالفتحة[١].

وفي نظري أن الألف ليست ساكنةً، بل هي عبارة عن فتحتين، وعند التقائها بالياء قد تكوَّن مقطع مديد ليس هذا موضعه، فلجأت العربية إلى تحريك الياء، ويمكنني توضيح ذلك من خلال المثال الآتي:

غلامايْ = غ ـُ / ل ـَ ـَ / م ـَ ـَ ي ← غلامايَ= غ ـُ / ل ـَ ـَ / م ـَ ـَ / ي ـَ

وفي حالتي النصب والجر، نقول: رأيت غلاميَّ، ومررت بغلاميَّ[٢]، فبعد حذف نون المثنى للإضافة، تلتقي الياء الساكنة بياء المتكلم الساكنة فتُحرَّك الثانية بالفتح، وتدغم في الأولى، ويمكنني توضيح ذلك فيما يأتي:

غلامَيْنِ + ي ← غلامَيْيْ ← غلامَيْيَ ← غلامَيَّ

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾[٣]، وقوله: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾[٤].

حيث حذفت النون من المثنى (ابنتين، ويدين) للإضافة، فالتقت الياء الساكنة بياء المتكلم الساكنة، فحرِّكت الثانية منهما بالفتحة، وأدغمت في الأولى، فأصبحتا (ابنتيَّ، ويديَّ).

٥ – الفعل المضارع المضعَّف في حالة الجزم، نحو: يشُدُّ، عند دخول أداة الجزم عليه يصبح لم يَشْدُدْ، فيلتقي ساكنان، فيتم تحريك الدال الثانية بالفتحة لفظًا وكتابةً، ويبقى إعراب الفعل مجزومًا وعلامة جزمه السكون، فيصبح: لم يَشُدَّ[٥].

ومنه قوله تعالى: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[٦]، الأصل في (يرتدَّ) أن يكون يرتدْدْ، فتحرَّكت الدال الثانية بالفتح ثم أدغمت في الأولى.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا النهج لبني تميم[٧]، فهم يحرِّكون الساكن الثاني ثم يدغمونه في الأول، بينما أهل الحجاز يتخلصون من التقاء الساكنين عن طريق إبدال السكون بحركة

---

[١] - شرح ابن عقيل: ٧٨/٢
[٢] - السابق: ٧٧/٢
[٣] - سورة القصص: الآية، ٢٧
[٤] - سورة ص: الآية، ٧٥
[٥] - الكتاب: سيبويه، ٥٣٠/٣ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ١٢٨/٩، وانظر المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها: محمد الأنطاكي، ٧٨/١
[٦] - سورة المائدة: الآية، ٥٤
[٧] - الكتاب: سيبويه، ٥٣٠/٣

ما قبل الساكن الأول، فيقولون: لم يَشْدُدْ[1]، وقد جاء التنزيل على كلتا اللهجتين، إلا أنني لاحظت أن لهجة أهل الحجاز أغلب وأعم من لهجة بني تميم.

ومن الآيات القرآنية على لهجة أهل الحجاز قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾[2].

٦ – فعل الأمر المضعَّف نحو شُدَّ، الأصل فيه: اشْدُدْ[3]، وهي لهجة أهل الحجاز[4]، أما بنو تميم فإنهم يقولون: شُدَّ[5]، حيث ألقيت ضمة الدال على الشين في (اشْدُدْ)، فتم الاستغناء عن همزة الوصل، والتقى ساكنان هما الدالان، فحركت الثانية منهما بالفتح، وأدغمت في الأولى.

وعليه قول جرير يهجو الراعي النميري[6]:

فَغُضَّ الطَرْفَ إنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلا كَعْبًا بَلَغْتَ وَلا كِلابَا

ويبدو أن القرآن الكريم قد جاء على لهجة أهل الحجاز في هذه الأفعال، كقوله تعالى: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي﴾[7].

٧ – حرف الجر (مِنْ) إذا وليه لام التعريف، فإنه يلتقي ساكنان، فتُحرَّك النون في (مِنْ) بالفتحة، نحو: مِنَ الله، ومِنَ الرسول، ومِنَ المؤمنين[8]، أما إذا التقت بساكن آخر غير لام التعريف فالأشهر أن تكسر النون على الأصل، نحو: مِنِ ابنك[9].

ويعلل سيبويه فتح نون (مِنْ) مع لام التعريف بكثرة الاستعمال وخفة الفتحة، فيقول: "ولم يكسروا في اللام لأنها مع اللام أكثر، لأن الألف واللام كثيرة في كل اسم، ففتحوا استخفافاً "[10].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾[11]، حيث فتحت نون (مِنْ) لالتقائها بلام التعريف الساكنة في (الليل).

---

[1] - شرح المفصل: ابن يعيش، ١٢٨/٩

[2] - سورة البقرة: الآية، ٢١٧

[3] - الكتاب: سيبويه، ٥٣٠/٣ - ٥٣١ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ١٢٨/٩

[4] - الكتاب: سيبويه، ٥٣٠/٣

[5] - السابق: الصفحة نفسها

[6] - ديوان جرير: ٩٧ ، وانظر الكتاب: سيبويه، ٥٣٣/٣ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ١٢٨/٩ ، وشرح التصريح على التوضيح: خالد الأزهري، ٤٠١/٢

[7] - سورة طه: الآية، ٢٧

[8] - الكتاب: سيبويه، ١٥٣/٤، ونزهة الطرف في علم الصرف: ابن هشام، ١٢٨، وانظر المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها: محمد الأنطاكي، ٧٩/١

[9] - نزهة الطرف في علم الصرف: ابن هشام، ١٢٨، وانظر المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها: محمد الأنطاكي، ٧٩/١

[10] - الكتاب: ١٥٤/٤ - ١٥٥

[11] - سورة ق: الآية، ٤٠

وقوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾[1]، حيث فتحت النون الساكنة في (من)؛ لالتقائها بلام التعريف الساكنة في (المؤمنين).

٨ – عند الوصل في قوله تعالى: ﴿الم (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [2]، حيث التقت الميم الساكنة بلام التعريف الساكنة في لفظ الجلالة (الله)، فحركت الميم بالفتح[3]، ويبدو لي أن الميم لم تكسر هنا وحركت بالفتح؛ حتى تفخم اللام في لفظ الجلالة (الله).

ثانيًا: تحريك الساكن بالكسر

١ – الفعل الماضي المتصل بتاء التأنيث الساكنة، إذا وليه ساكن فإن التاء تُحرَّك بالكسر، نحو: جلستِ الفتاة.

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾[4]، وقوله: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾[5]، حيث حرِّكت تاء التأنيث الساكنة بالكسر في (قالت، ووقعت)؛ لالتقائها بلام التعريف الساكنة.

٢ – الفعل المضارع الصحيح الآخر في حالة الجزم إذا وليه ساكن فإن آخره يُحرَّك بالكسر، نحو: لم يضربِ الغلامَ.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾[6]، وقوله: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾[7]، حيث كسرت اللام في (يجعل) والدال في (يرد)؛ لالتقائهما باللام الساكنة في لفظ الجلالة (الله).

٣ – فعل الأمر الصحيح الآخر إذا وليه ساكن، فإنه يُحرَّك بالكسر، نحو: اضربِ ابنك، وأكرمِ الرجل، واذهبِ اذهب[8].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾[9]، حيث كسرت الراء في (اذكر)؛ لالتقائها بالسين الساكنة في (اسم).

وقوله: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾[10]، حيث كسرت الميم في (أقم)؛ لالتقائها

---

[1] - سورة الأحزاب: الآية، ٢٣
[2] - سورة آل عمران: الآية، ١ - ٢
[3] - الكتاب: سيبويه، ١٥٤/٤ ، ونزهة الطرف في علم الصرف: ابن هشام، ١٢٨
[4] - سورة الحجرات: الآية، ١٤
[5] - سورة الواقعة: الآية، ١
[6] - سورة النور: الآية، ٤٠
[7] - سورة المائدة: الآية، ٤١
[8] - الكتاب: سيبويه، ١٥٢/٤
[9] - سورة المزمل: الآية، ٨
[10] - سورة الإسراء: الآية، ٧٨

باللام الساكنة في (الصلاة).

٤ – الفعل المضارع المسند إلى ياء المخاطبة، وكان ما قبلها مفتوحًا، عند توكيده بالنون فإن نون الرفع تحذف لتوالي الأمثال، فتلتقي ياء المخاطبة الساكنة بنون التوكيد الساكنة، فتحرك ياء المخاطبة بالكسر، نحو: هل تخشَينَّ العباد ؟

ومنه قوله تعالى: ﴿إِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾[1].

٥ – الفعل المضارع المجزوم وفعل الأمر المسندان إلى ياء المخاطبة، إذا وليهما ساكن، وكان ما قبل ياء المخاطبة مفتوحًا، فإن النون تحذف فتلتقي الياء الساكنة بالساكن بعدها، فتحرك الياء بالكسرة[2]، نحو: لم تخشَيِ الله، واخشَيِ الله.

٦ – المثنى المضاف إلى معرف بـــ (أل) أو المبدوء بهمزة وصل، وذلك في حالتي النصب والجر، تحذف النون للإضافة، فتلتقي ياء المثنى الساكنة بالساكن بعدها فتُحرَّك الياء بالكسرة، نحو: ضربت غلامَيِ الرجل، ومررت بغلامَيِ الرجل[3].

ومنه قوله تعالى: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[4]، حيث كسرت ياء المتكلم في (صاحبي) لالتقائها بالساكن بعدها.

٧ – جمع المذكر السالم المضاف إلى معرَّف بـــ (أل) أو مبدوء بهمزة وصل في حالة النصب والجر، شرط أن يكون ما قبل الياء مفتوحًا، نحو: مصطفَيِ الله[5].

والذي حدث هو أنه عند إضافة جمع المذكر السالم في حالتي النصب أو الجر، نحو: مصطفَين إلى اسم مبدوء بساكن، فإن النون تحذف للإضافة، فتلتقي الياء الساكنة بالساكن بعدها فيتم تحريك الياء بالكسرة.

٨ – حرفا الجر (إلى)، و(على)، والظرف (لدى)، وما شابهها عند إلحاق ياء المتكلم بها، فإنها تلتقي بالألف، فيتكون مقطع مديد ليس هذا موضعه، فتفر منه العربية، والذي حدث – في نظري – أن الألف تم تقصيرها إلى فتحة، ولتعويض النقص تم إضافة الياء، فالتقت بياء المتكلم الساكنة، فتحرَّك الياء الثانية بالفتحة بدلاً من الكسرة؛ حتى لا يجتمع ياءان وكسرة، ثم تدغم في الياء الأولى، فنقول: إليَّ، وعليَّ، ولديَّ.

ويمكن توضيح ما حدث لهذه الكلمات من خلال المثال الآتي:

---

[1] - سورة مريم: الآية، ٢٦
[2] - انظر الكتاب: سيبويه، ١٥٥/٤
[3] - انظر سر صناعة الإعراب: ابن جني، ٢٩٧/٢
[4] - سورة يوسف: الآية، ٣٩
[5] - الكتاب: سيبويه، ١٥٦/٤

إلاي = إ ــِ / ل ــَ ــَ ي ← إليَّ = إ ــِ / ل ــَ ي/ ي ــَ

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾[1]، وقوله: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[2]، وقوله: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[3].

٩ – أداة الشرط (إنْ)عند التقائها بالساكن، فإن النون تُحرَّك بالكسر، نحو: إنِ الله عافاني فعلت[4]، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا﴾[5].

١٠ – (أَنْ) إذا وليها ساكن، فإن النون تحرك بالكسر، كقوله تعالى: ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾[6]، وقوله: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[7].

١١ – حرف الجر (مِنْ) إذا وليه ساكن غير لام التعريف، فإن نونه تُحرَّك بالكسر، نحو: منِ ابنك[8].

١٢ – الاسم الموصول (مَنْ) إذا وليه ساكن فإن نونه تُحرَّك بالكسر، كقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ﴾[9].

١٣ – اسم الاستفهام (مَنْ) إذا وليه ساكن فإن نونه تُحرَّك بالكسر، نحو: مَنِ استعمل قلمي ؟

١٤ – أداة الشرط (مَنْ) إذا وليها ساكن فإن نونها تُحرَّك بالكسر، كقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾[10].

١٥ – حرف الجر (عَنْ) إذا وليه ساكن فإن نونه تُحرَّك بالكسر، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾[11].

١٦ – (قَدْ) إذا وليها ساكن، فإن نونها تُحرَّك بالكسر، نحو: قدِ انقطع[12]، ومنه قوله تعالى:

---

[1] - سورة النمل: الآية، ٢٩
[2] - سورة مريم: الآية، ٣٣
[3] - سورة ق: الآية، ٢٩
[4] - الكتاب: سيبويه، ١٥٢/٤
[5] - سورة الرحمن: الآية، ٣٣
[6] - سورة سبأ: الآية، ١١
[7] - سورة يونس: الآية، ١٠
[8] - نزهة الطرف في علم الصرف: ابن هشام، ١٢٨، وانظر المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها: محمد الأنطاكي، ٧٩/١
[9] - سورة الجاثية: الآية، ٢٣
[10] - سورة النمل: الآية، ٩٢
[11] - سورة النجم: الآية، ٣
[12] - سر صناعة الإعراب: ابن جني، ١١٤/٢

﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾[1].

١٧ – (قَطْ) إذا وليها ساكن، فإن الطاء تُحرَّك بالكسر، نحو: قَطِ الرجل[2].

١٨ – (لَوْ) إذا وليها ساكن فإن الواو تُحرَّك بالكسر، نحو: لَوِ استطعنا[3]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾[4]، وقوله: ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ﴾[5].

١٩ – (بَلْ) إذا وليها ساكن فإن اللام تُحرَّك بالكسر، كقوله تعالى: ﴿لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾[6]، وقوله: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾[7].

٢٠ – (إذْ) إذا وليها ساكن فإن الذال تُحرَّك بالكسر، كقوله تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾[8]، وقوله: ﴿إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾[9].

٢١ – حرف العطف (أوْ) إذا وليه ساكن فإن الواو تُحرَّك بالكسر، نحو: اضربِ الرجل أَوِ الغلام، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[10].

٢٢ – أداة الاستفهام (هَلْ) إذا وليها ساكن فإن اللام تُحرَّك بالكسر، نحو: هَلِ انطلق زيد ؟[11]، وعليه قول أبي ذؤيب الهذليّ[12]:

هَلِ الدَّهْرُ إلا لَيْلَةٌ وَنَهَارُهَا   وَإلا طُلُوعُ الشَّمْسِ ثُمَّ غِيَابُهَا

ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾[13]، نلاحظ أن (هل) الأولى قد حرِّكت لامها بالكسر؛ لالتقائها بالساكن، بينما بقيت الثانية ساكنة؛ لأنها لم تلتق بالساكن.

٢٣ – أداة الاستفهام (كمْ) إذا وليها ساكن فإن الميم تُحرَّك بالكسر، نحو: كَمِ الساعة الآن ؟

---

[1] - سورة البقرة: الآية، ٢٥٦
[2] - الكتاب: سيبويه، ١٥٢/٤
[3] - السابق: الصفحة نفسها
[4] - سورة التوبة: الآية، ٤٢
[5] - سورة آل عمران: الآية، ٩١
[6] - سورة الحجرات: الآية، ١٧
[7] - سورة القمر: الآية، ٤٦
[8] - سورة غافر: الآية، ٧١
[9] - سورة مريم: الآية، ١٦
[10] - سورة البقرة: الآية، ١٥٨
[11] - سر صناعة الإعراب: ابن جني، ١١٤/٢
[12] - شرح ابن عقيل: ٥٠٣/١
[13] - سورة ق: الآية، ٣٠

٢٤ – (لكنْ) المخففة من لكنَّ، إذا وليها ساكن فإن النون تُحرَّك بالكسر، كقوله تعالى: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾[١].

٢٥ – حرف العطف (أمْ) إذا وليه ساكن فإن الميم تُحرَّك بالكسر، كقوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾[٢].

٢٦ – (أيْ) إذا وليها ساكن فإن الياء تُحرَّك بالكسر، نحو: هُزم الباطل أيِ انتصر الحق.

ثالثًا: تحريك الساكن بالضم

١ – (مُذْ) إذا وليها ساكن فإن الذال تُحرَّك بالضم بدلاً من الكسر، نحو: مُذُ اليوم، ومُذُ الليلة[٣]، ويوضح ابن جني سبب اللجوء إلى الضم دون الكسر بقوله: " إنهم لما حرّكوها لالتقاء الساكنين لم يكسروها، ولكنهم ضموها؛ لأن أصلها الضم في مُنْذُ "[٤].

أي أن (مُذْ) مأخوذة من (مُنْذُ)، حذفت النون لكثرة الاستعمال فأصبحت (مُذُ)، ثم حذفت ضمة الذال؛ لثقل توالي الضمتين، فأصبحت (مُذْ)، وعندما التقت بكلمة أخرى مبدوءة بالساكن، كان لا بد من تحريكها، فتم ذلك عن طريق الرجوع إلى الأصل فحرِّكت بالضمة.

٢ – الميم الدالة على الجماعة إذا وليها ساكن فإنها تُحرَّك بالضم[٥]، سواء أكانت متصلة باسم نحو: أعجبني قولهمُ الحق، أو متصلة بفعل نحو: يزيدكمُ الله من فضله، أو متصله بحرف نحو: عليكمُ السلام.

ويعزو ابن جني سبب ضم الميم دون كسرها إلى " العودة إلى الأصل " فأصل الميم الضم فيقول: " من قال: (هُمْ قاموا) فأسكن الميم من (هم) متى احتاج إلى حركتها رد إليها الضمة التي في لغة من يقول: (هُمُ قاموا) "[٦].

ويرى أحد المحدثين أن سبب ضم الميم هنا لمناسبة الضمة السابقة لها، فيقول: " كما يمكن أن نلمح هذا الانسجام فيما إذا وقعت الميم بعد ضم كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾[٧] وقوله ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾[٨] بضم الميم للانسجام مع ما قبلها وذلك تأثير تقدمي "[٩].

---

[١] - سورة النساء: الآية، ١٦٦
[٢] - سورة الشورى: الآية، ٩
[٣] - الكتاب: سيبويه، ٥٣٣/٣ ، ١٩٤/٤ ، وسر صناعة الإعراب: ابن جني، ١١٢/٢ ، والخصائص: ابن جني، ١٢٣/٢
[٤] - الخصائص: ١٢٣/٢
[٥] - انظر الكتاب: سيبويه، ٥٣٣/٣ ، ١٩٤/٤
[٦] - سر صناعة الإعراب: ١١٢/٢
[٧] - سورة البقرة: الآية، ١٥٩
[٨] - سورة آل عمران: الآية، ١٣٩
[٩] - اللهجات العربية في التراث: د. أحمد علم الدين الجندي، ٢٧٢/١

قد يكون ما ذهب إليه من إتباع ضم الميم إلى ضم ما قبلها ينطبق على الأمثلة التي أوردها، ولكن ماذا يقول في قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾[1]، وقوله: ﴿لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾[2]، فقد حركت الميم بالضم رغم أن ما قبلها مكسور في (بهم، وقولهم، وأكلهم).

في نظري أن تحريك الميم بالضم عائدٌ – كما ذكر ابن جني – إلى الأصل، فالأصل في هذه الميم أن تكون مضمومة، ولكنها سُكِّنت لكثرة الاستعمال، وعند الحاجة إلى تحريكها تم الرجوع إلى الحركة الأصلية.

والشواهد القرآنية على هذه الظاهرة كثيرة، نذكر منها قوله تعالى: ﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾[3]، حيث حرِّكت الميم المتصلة بالاسم في (بشراكم) بالضم لالتقائها بالساكن.

وقوله: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾[4]، حيث حرِّكت الميم المتصلة بالفعل في (يريهم) بالضم لالتقائها بالساكن.

وقوله: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾[5]، حيث حرِّكت الميم المتصلة بالحرف في (عنكم) بالضم لالتقائها بالساكن.

٣ – واو الجماعة إذا وليها ساكن وكان ما قبلها مفتوحًا، فإنها تحرك بالضم، نحو: اخشَوُا الله[6]، ويرى القدماء أن سبب الضم هنا؛ للتفريق بين واو الجماعة وبين واو (أو) و(لو) عندما تلتقي بالساكن، فإنها تكسر[7].

في نظري أن الأمر ليس مجرَّد التفريق بين الضمير (واو الجماعة)، والواو الأصلية في (أو) و(لو)، وإنما الأمر يرجع إلى المناسبة الصوتية بين الضمة وواو الجماعة، فقد تعودنا أن يكون ما قبلها مضمومًا، فلما لم يتوفر الضم قبلها وجاء مفتوحًا، تم تحريكها هي بالضم، فلو كان ما قبلها مضمومًا لن تُحرَّك بالضم؛ حتى لا يجتمع عدة مصوتات من المخرج نفسه.

---

[1] - سورة البقرة الآية، ١٦٦
[2] - سورة المائدة: الآية، ٦٣
[3] - سورة الحديد: الآية، ١٢
[4] - سورة الحشر: الآية، ٧
[5] - سورة الزخرف: الآية، ٥
[6] - الكتاب: سيبويه، ١٥٥/٤ ، وسر صناعة الإعراب: ابن جني، ٢٩٧/٢ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ١٢٧/٩
[7] - الكتاب: سيبويه، ١٥٥/٤ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ١٢٧/٩

ومنه قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾[1]، حيث حرّكت واو الجماعة في (اشتروا) بالضم لالتقائها بالساكن.

وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾[2]، حيث حرّكت واو الجماعة في (عصوا) بالضم لالتقائها بالساكن.

٤ – جمع المذكر السالم في حالة الرفع مضافًا إلى اسم مبدوء بالساكن، شرط أن يكون ما قبل واو الرفع مفتوحًا، فإن واو الرفع تُحرَّك بالضم، نحو: مصطفَوُ الله[3].

فعند إضافة جمع المذكر السالم حذفت نونه للإضافة، فالتقت واو الرفع الساكنة بالساكن بعدها، فتم تحريكها بالضم لمناسبة الواو.

* * *

وهكذا رأينا أن ظاهرة تحريك الساكن فرارًا من التقاء الساكنين، ما هي إلا وسيلة من الوسائل التي اتخذتها العربية للتخلص من سياقات لغوية مرفوضة، قد سببت ثقلاً تمنع الوصل في الكلام، مما اضطرها إلى تحريك الساكن الأول بالكسر، وفي بعض الأحيان تلجأ إلى تحريكه بالفتح أو الضم، حسب ما تمليه طبيعة الأصوات المحيطة بالساكن، وإذا تعذر تحريك الساكن الأول فإنها تُحرِّك الساكن الثاني، المهم هو التخلص من التقاء الساكنين، فهدفها الأول والأخير هو تحقيق الانسجام الصوتيّ في الجملة العربية، حتى تصبح ألفاظها سلسة عذبة كالماء الزلال، تنساب دون تعثر أو زلل.

---

[1] - سورة البقرة: الآية، ١٦
[2] - سورة النساء: الآية، ٤٢
[3] - الكتاب: سيبويه، ١٥٦/٤ ، وانظر المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها: محمد الأنطاكي، ٧٩/١

الفصل الثالث

الحذف على المستوى النحويّ

- المبحث الأول: حذف التنوين
- المبحث الثاني: حذف النون
- المبحث الثالث: حذف صوت العلة

رأينا في الباب الثاني أن (الحذف) من أهم الظواهر الصرفية التي تلجأ إليها العربية للعدول عن الأصل، وخاصة عندما يتعذر عليها الإبدال، وذلك لتحقيق الانسجام الصوتي في بنية الكلمة، وهنا سوف نرى كيف يُعدُّ الحذف من أهم الوسائل التي تتخذها العربية للتخلص من ثقل ناتج من تركيب الألفاظ بعضها ببعض، وليس المقصود بالحذف هنا لناحية بلاغية، أو حذف المبتدأ أو الخبر أو الفاعل لوجود دليل عليه، وإنما المقصود هو الحذف لناحية صوتية؛ نتيجة لتركيب الكلمة مع أخرى ضمن سياق الجملة، كحذف التنوين من المضاف أو حذف النون من المثنى وجمع المذكر السالم عند الإضافة، أو حذف صوت العلة من الاسم المنقوص غير المعرَّف بـــ (أل) أو بالإضافة.

وإذا تتبعنا أسباب الحذف – نحويًّا – سيكون في النقاط الآتية:

١ – **الفرار من التقاء الساكنين:** كما في حذف تنوين العلم الموصوف بابن لالتقائه بالساكن، نحو: محمدُ بن عبدالله

٢ – **طول العنصر اللغويّ:** كما في الأسماء المركبة تركيبًا مزجيًّا، نحو: خمسةَ عشرَ، الأصل فيها خمسةٌ وعشرٌ، حذف التنوين وحرف العطف الواو لتركيب الكلمتين، فأصبحتا كالكلمة الواحدة، فطال العنصر اللغويّ.

٣ – **ثقل العنصر اللغويّ:** كما في حذف التنوين من المفرد المضاف، نحو: غلامُ الرجل، والأصل: غلامٌ الرجل.

٤ – **كراهية توالي الأمثال:** كما في الأفعال الخمسة المؤكدة بالنون، فإن نون الرفع تحذف لتوالي الأمثال، نحو: يضربانِّ، والأصل: يضربانِنَّ.

٥ – **الخفة وكثرة الاستعمال:** الحذف هنا ليس إلزاميًّا، فالصوت المحذوف لم يُحذف لتعذر النطق به أو ثقل وجوده، بل من الممكن أن ترد الكلمة به، إلا أنه يحذف طلبًا للخفة لكثرة استعمال الكلمة، وذلك كما في حذف نون الوقاية من إنَّ، وأنَّ، وكأنَّ، ولكنَّ، عند إضافتها إلى ياء المتكلم، فنقول: إنِّي، وأنِّي، وكأنِّي، ولكنِّي، ويجوز أن نثبت نون الوقاية ولا نحذفها فنقول: إنَّني، وأنَّني، وكأنَّني، ولكنَّني، إلا أن الحذف أخف وأسلس.

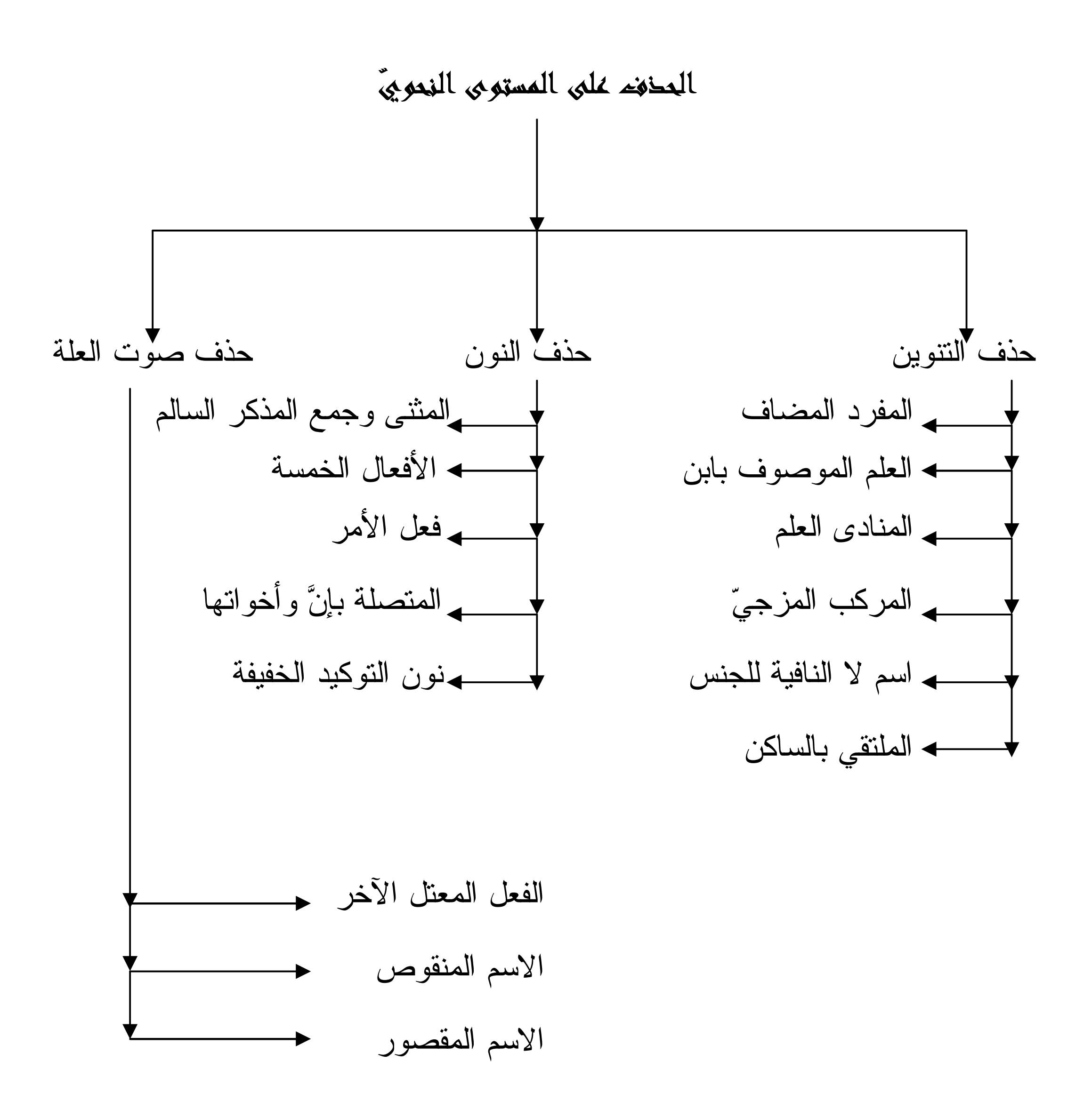
وتبعًا للصوت المحذوف نتيجة لتركيب الكلمة مع أخرى، يمكنني تقسيم الحذف إلى ثلاثة أقسام، هي:

١ – **حذف التنوين:** كما في حذف تنوين المضاف، نحو: معلمُ الفصلِ، والأصل معلمٌ الفصلِ.

٢ – **حذف النون:** كما في حذف نون المثنى وجمع المذكر السالم عند الإضافة، نحو: معلما الفصلِ، ومعلمو الفصلِ، والأصل معلمان الفصلِ، ومعلمون الفصلِ.

٣ – **حذف صوت العلة:** كما في حذف صوت العلة من الفعل الناقص عندما يكون مجزومًا، نحو: لم يسعَ، ولم يقضِ، ولم يدعُ.

ويمكنني توضيح ذلك من خلال المخطط الآتي:



المبحث الأول

حـــذف التنـــوين

- ❖ أولاً: المفرد المضاف
- ❖ ثانيًا: العلم الموصوف با بن
- ❖ ثالثًا: المنادى العلم
- ❖ رابعًا: المركب المزجيّ
- ❖ خامسًا: اسم لا النافية للجنس
- ❖ سادسًا: الملتقي بالساكن

أولاً: المفرد المضاف

عند إضافة اسم مفرد إلى ضمير أو اسم ظاهر، فإن التنوين يحذف منه، نحو: غلامُك، وصاحبُ الغلام[1].

فالتنوين يُعد زائدًا على الاسم، وعندما نضيفه إلى مضمر أو اسم ظاهر، فإننا قد أضفنا زائدتين على الاسم، مما يثقل كاهل الاسم، لذلك يُحذف التنوين، بالإضافة إلى أن نطق التنوين في الاسم المضاف إلى مضمر، نحو: غلامك ثقيل جدًّا ويطيل العنصر اللغويّ، كما أنه يسير بالكلمة إلى منحى آخر ليس من كلام العرب، وقد يُحدث ذلك لبسًا، لذا كان لا بد من حذف التنوين، خاصةً وأن حذفه لا يؤثر في المعنى، ويؤيِّد ذلك سيبويه بقوله: " وليس يغيِّر كفُّ التنوين، إذا حذفته مستخفًا، شيئًا من المعنى "[2].

وعليه قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾[3]، حيث حذف التنوين من (رب) لإضافته إلى الضمير (الكاف)، وحذف أيضًا من (صاحب) لإضافته إلى الاسم الظاهر (الحوت).

ثانيًا: العلم الموصوف بابن

يُحذف التنوين من كل علم وصف بابن، ثم أضيف إلى علم، أو كنية، أو أُم، نحو: هذا زيدُ بنُ عمرٍو[4].

وسبب الحذف هنا هو التقاء الساكنين، فالتنوين عبارة عن نون ساكنة، عند التقائها بالباء الساكنة في (ابن) تحذف النون، أي يحذف التنوين، وقد أشار سيبويه إلى ذلك فقال: " وإنما حذفوا التنوين من هذا النحو حيث كثر في كلامهم؛ لأن التنوين حرفٌ ساكن وقع بعده حرفٌ ساكن، ومن كلامهم أن يحذفوا الأول إذا التقى ساكنان "[5].

وتجدر الإشارة إلى أن (ابن) يجب أن تكون صفة للعلم الذي قبلها، حتى يُحذف التنوين منه، فإن كانت خبرًا له فلا حذف، كما لا تحذف همزة (ابن)، نحو: هذا زيدٌ ابنُ عمرٍو[6].

والمراد هنا إخبار السامع أو القارئ بأنَّ زيدًا هو ابنٌ لعمرٍو وليس أخاه أو صاحبه..، وفي نظري، أن التنوين لم يحذف هنا لينبئ عن وجـوب الوقف على كلمـة زيد، ثم وجوب

---

[1] - الخصائص: ابن جني، ١٣٧/٢ ، ورصف المباني في شرح حروف المعاني: المالقي، ٣٥٨
[2] - الكتاب: ١٦٦/١
[3] - سورة القلم: الآية، ٤٨
[4] - الكتاب: سيبويه، ٥٠٤/٣ ، ونزهة الطرف في علم الصرف: ابن هشام، ١٢٥ ، ومغني اللبيب: ابن هشام، ٨٤٤
[5] - الكتاب: ٥٠٤/٣
[6] - السابق: ٥٠٧/٣

الضغط على كلمة ابن؛ لتكون إخبارًا وتعريفًا بهوية زيد.

وقد وردت كلمة (ابن) في القرآن الكريم خمسًا وثلاثين مرةً[1]، ولكنها لم ترد ولو لمرة واحدة بحيث تكون صفة لعلم سابق لها.

ومن الآيات القرآنية على بقاء تنوين العلم لأن (ابن) خبر له وليست صفةً، قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾[2].

ثالثًا: المنادى العلم

يُبنى المنادى العلم على الضم، نحو: يا زيدُ[3]، والأصل في الاسم المتمكن التنوين، أي أنه قد حذف منه التنوين.

وترى الباحثة أن السبب في حذف التنوين عائدٌ إلى دخول أداة النداء على العلم فتركبا وأصبحا كالكلمة الواحدة، وبذلك طال العنصر اللغويّ، مما سبب ثقلاً، وكان لا بد من التخفيف عن طريق حذف التنوين، خاصةً أن ذلك لا يؤثر في المعنى.

وقد أشار د. إبراهيم السامرائيّ إلى ذلك بقوله: إن " الاسم باعتماده على جزءٍ سابق وهو (يا) النداء يكون وحدة صوتية ذات طول معين محدود، واقتضت هذه الزيادة السابقة حذف التنوين اللاحق التماسًا للمحافظة على هذه الوحدة الصوتية الموسيقية بحيث أن الاسم يسلم له هذا التنوين قبل زيادة (يا) "[4].

قد يتساءل متسائل كيف أصبحت أداة النداء مركبةً مع المنادى العلم ومع ذلك يجوز حذفها كما في قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾[5] ؟

ترى الباحثة أن حذف أداة النداء لا يكون إلا لــ (يا) ولا ينطبق هذا على سواها من أدوات النداء، فالأصل في الأداة وجودها، وإذا حذفت، فبناء المنادى على الضم يبقى حتى يطرد الباب، فليس من المعقول حذف التنوين من المنادى العلم عند وجود الأداة، ثم إثباته مرة أخرى عند حذف الأداة، كما أن بقاء البناء على الضم رغم حذف الأداة دليل عليها.

ومن الآيات القرآنية على حذف التنوين من المنادى العلم قولــــه تعالـــى: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ

---

[1] - انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، ١٣٦ - ١٣٧
[2] - سورة التوبة: الآية، ٣٠
[3] - شرح المفصل: ابن يعيش، ١٢٨/١
[4] - النحو العربي نقد وبناء: ٢٠٥
[5] - سورة يوسف: الآية، ٢٩

بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ﴾[1].

رابعًا: المركب المزجيّ

في التركيب المزجيّ للأعداد من أحد عشر وإحدى عشرة إلى تسعة عشر وتسع عشرة، يبنى العدد على فتح جزأيه ما عدا اثني عشر واثنتي عشرة، حيث يُعرب الجزء الأول إعراب المثنى، وفي حال التركيب نلاحظ أن العدد قد حُذف التنوين من جزأيه، كما حُذف حرف العطف، والأصل في خمسةَ عشرَ هو خمسةٌ وعشرٌ[2].

ويوضح سيبويه سبب حذف التنوين وحرف العطف بقولـــه: " فهما شيئان جُعلا شيئًا واحدًا "[3].

أي أن العرب عندما جعلوا الأعداد المركبة بمنزلة الكلمة الواحدة، قد شعروا بطول هذه الكلمة وثقلها، فلجأوا إلى حذف الزوائد للاختصار وسرعة النطق، خاصة وأن حذفها لا يؤثر في المعنى، فحذفوا التنوين وحرف العطف.

يقول د. طاهر سليمان حمودة: " وحذف العاطف والتنوين ضروري لعملية المزج التي تقتضي الربط بين كلمتين وجعلهما كأنهما كلمة واحدة، بالإضافة إلى ما يفيده هذا الحذف من تخفيف في كلمات يكثر استعمالها "[4].

ومما يجري مجرى الأعداد المركبة، فيحذف التنوين وحرف العطف قولهم: وقعوا في حيصَ بيصَ، أي في فتنة تموج بأهلها، والأصل في حيصَ بيصَ هو حيصٌ وبيصٌ[5]، حذف التنوين وحرف العطف للاختصار والتخفيف، على اعتبار أن الكلمتين ركبتا فأصبحتا كالكلمة الواحدة مبنية على فتح جزأيها، زيادة في التخفيف.

ومنه أيضًا كلامهم: هو جاري بيتَ بيتَ، ووقع في الأمر بينَ بينَ، وآتيه صباحَ مساءَ وتفرقوا شغرَ بغرَ، وشذرَ مذرَ[6].

كل ذلك تم فيه حذف التنوين وحرف العطف؛ للتخفيف والإيجاز نتيجة لطول العنصر اللغويّ وكثرة حروفه، وزيادة في التخفيف تم بناء جزأيه على الفتح.

ومن الآيات القرآنية على المركب المزجيّ من الأعداد قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا

---

[1] - سورة هود: الآية، ٤٨
[2] - انظر شرح المفصل: ابن يعيش: ١١٢/٤ - ١١٣
[3] - الكتاب: ٢٩٧/٣
[4] - ظاهرة الحذف في الدرس اللغويّ: ٦٠
[5] - الكتاب: سيبويه، ٢٩٨/٣ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ١١٤/٤
[6] - الكتاب: سيبويه، ٣٠٢/٣ – ٣٠٣ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ١١٧/٤ - ١١٨

أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[1]، حيث حُذف التنوين وحرف العطف من العدد (أحد عشر) وبني على فتح جزأيه، والأصل أن يكون أحدًا وعشرًا.

وقوله: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠)﴾[2]، حيث حُذف التنوين وحرف العطف من العدد (تسعة عشر) وبني على فتح جزأيه، والأصل أن يكون تسعةٌ وعشرٌ.

خامسًا: اسم لا النافية للجنس

يُحذف التنوين من اسم لا النافية للجنس، نحو: لا مالَ لزيدٍ، إذا لم تقدر اللام مقحمة، فإنَّ قدرت فهو مضاف[3].

فالسبب في حذف التنوين هنا هو تركيب لا مع اسمها وخبرها، وبالتالي طال العنصر اللغوي، مما سبَّب ثقلاً في أثناء النطق به، لذا كان لا بدَّ من التخفيف، عن طريق حذف التنوين من اسم لا، خاصة وأن هذا الحذف سيوفِّر الخفة ولن يضرَّ بالمعنى.

وقد أشار سيبويه إلى ذلك بقوله: " واعلم أن المنفي الواحد إذا لم يَلِ لك فإنما يُذهب منه التنوين كما أُذهب من آخر خمسةَ عشرَ، كما أُذهب من المضاف "[4].

فكأنه يُشَبِّهُ لا النافية للجنس مع اسمها المفرد وخبرها، بالمركب المزجيّ والمضاف من حيث إنها كالكلمة الواحدة، وبالتالي أصبح العنصر اللغويّ طويلاً، فحذف منه التنوين للتخفيف.

وهذا ما أشار إليه أيضًا المبرد بقوله: " فَأَمَّا ترك التنوين، فإِنَّما هو لأَنَّها جعلت وما عملت فيه بمنزلة اسم واحد كخمسة عشر "[5].

ومنه قول الشاعر نهار بن توسعة اليشكريّ[6]:

أَبِي الإِسْلامُ لا أَبَ لِي سِوَاهُ   إِذَا افْتَخَرُوا بِقَيْسٍ أَوْ تَمِيمٍ

حيث حذف التنوين من اسم لا (أب) للتخفيف.

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ

---

[1] - سورة يوسف: الآية، ٤
[2] - سورة المدثر: الآية، ٢٦ - ٣٠
[3] - مغني اللبيب: ابن هشام، ٨٤٣
[4] - الكتاب: ٢٨٣/٢
[5] - المقتضب: ٣٥٧/٤
[6] - الكتاب: سيبويه، ٢٨٢/٢

فِيهَا﴾[1]، حيث حُذف التنوين من اسم لا (شية) والأصل أن ينوَّن فنقول: لا شيةً فيها.

وقوله: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[2]، حيث حُذف التنوين من اسم لا (تثريب) والأصل أن ينوَّن فنقول: لا تثريبًا عليكم.

سادسًا: الملتقي بالساكن

عند التقاء الاسم المنوَّن بكلمة أخرى مبدوءة بالساكن فإن التنوين يُحذف تخفيفًا لالتقاء الساكنين[3]، وهذا الحذف جائزٌ لا واجبٌ إلا أنه أخف وأسهل لوصل الكلام، ويكون لفظًا لا كتابةً، نحو: محمدٌ استقر في المدينة المنورة.

يجوز لنا أن ننطق التنوين في (محمدٌ)، إلا أن ذلك سيكلفنا التوقف عليه بعض الشيء، ثم نواصل الكلام، وإذا أردنا أن يكون الكلام متصلاً متتابعًا سيلتقي التنوين – وهو نطقٌ عبارة عن نون ساكنة – بالساكن بعده، وهذا مرفوض في العربية، فكان أمامها إمَّا التخلص منه عن طريق كسر النون أي التنوين، وإمَّا حذفه لفظًا لا كتابةً، فاختارت العربية حذفه.

ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢)﴾[4]، فعند تلاوة الآيتين متواصلتين يحذف التنوين لفظًا من (أحد) لالتقائه بالساكن في لفظ الجلالة (الله).

* * *

يُعد التنوين لاحقةً صرفيةً زائدةً على بنية الكلمة، يُزاد لسبب ما كالتمكين، أو التنكير.. إلا أن العربية تستغني عن التنوين عندما يُحدث وجوده ثقلاً مستكرهًا، وذلك نتيجة لزيادة شيء آخر على الكلمة، كزيادة الإضافة، أو التركيب، فيجتمع في الكلمة زائدتان أو أكثر، مما يسبب ثقلاً وجهدًا عضليًّا في أثناء النطق بها.

وقد يلتقي التنوين بساكن بعده، فتلجأ العربية إلى الفرار من هذا الثقل عن طريق حذف التنوين، ما دام ذلك لم يؤثر في المعنى، ولم يحدث لبسًا، بالإضافة إلى أنه يحقق مبدأ الخفة والانسجام الصوتيّ، كلما سنحت لها الفرصة لذلك.

---

[1] - سورة البقرة: الآية، ١١
[2] - سورة يوسف: الآية، ٩٢
[3] - رصف المباني في شرح حروف المعاني: المالقي، ٣٥٨
[4] - سورة الإخلاص: الآية، ١ - ٢

المبحث الثاني

حـــذف النـــون

❖ أولاً: نون المثنى وجمع المذكر السالم

❖ ثانيًا: نون الأفعال الخمسة في حالة:

١ – النصب والجزم

٢ – الإسناد إلى ياء المتكلم

٣ – التوكيد بالنون

❖ ثالثًا: نون فعل الأمر

❖ رابعًا: النون المتصلة بإنَّ وأخواتها:

١ – نون الوقاية

٢ – نا المتكلمين

❖ خامسًا: نون التوكيد الخفيفة

أولاً: نون المثنى وجمع المذكر السالم

تُحذف نون المثنى وجمع المذكر السالم عند الإضافة، وهو حذفٌ مطَّردٌ واجبٌ ألزمه النحاة[1]، سواء إذا أضيف المثنى وجمع المذكر السالم إلى اسم ظاهر، نحو: هما الضاربا زيد، وهم الضاربو زيد، أو أضيفا إلى ضمير، نحو: هما الضارباه، وهم الضاربوه.

ويوضح ابن جني سبب حذف النون، بأن العرب لو قالوا " قام غلامان زيد، فيجمعوا على الاسم زيادتين في آخره "[2].

بمعنى أن المثنى قد زيدت فيه الألف والنون، وجمع المذكر السالم قد زيدت فيه الواو والنون، وعند إضافتهما فإنه زِيد الاسم أو الضمير عليهما؛ لأن المتضايفين بمنزلة الاسم الواحد[3]، فثقل على المضاف تحمل الزيادتين، وكان لا بدَّ من التخفيف قدر الإمكان بما لا يُخلُّ بالمعنى، فما كان إلا حذف الزيادة الأولى وهي النون، لأن الزيادة الثانية زيدت لغرض معين.

ويعلل المالقي سبب حذف النون هنا بقوله: " إذ الإضافة دليل الاتصال والنون دليل الانفصال "[4].

كأنه يريد أن يقول أن النون في نهاية المثنى وجمع المذكر السالم دليل استقلالهما، فهذه النون تفصلهما عما بعدهما، أما الإضافة فهي تصل المضاف بالمضاف إليه ويصبحان كالكلمة الواحدة، ووجود هذه النون يعد حاجزًا بين المتضايفين، فكان لا بدَّ من حذفها ليلتصقا ببعضهما البعض.

وللدكتور مهدي المخزوميّ في هذه النون رأي طريف، إذ يقول: " لقد التزمت اللغة هذه النون في المثنى وجمع المذكر السالم لتقي المد الذي قبلها وهو الألف في المثنى، والواو في الجمع – من القصر أو الحذف، لتطرفه. إن علامة التثنية في المثنى هي الألف وحدها، لأن النون قد يستغنى عنها، والدلالة على التثنية باقية ببقاء الألف وحدها نحو: هذان كتاباي، وهذان قلماك، ولم يعد فيهما للنون وظيفة عند الإضافة فقد حلت الياء والكاف محلها وأبقتا على مد الألف ودلالتها على التثنية. وإن علامة الجمع في (الزيدون) هي الواو وحدها، لأن النون فيه قد يستغنى عنها، والدلالة على الجمع باقية ببقاء الواو، نحو: هؤلاء معلموك، ولم يعد للنون هنا وظيفة، فقد حلت الكاف في المثالين محلها، وأبقت على مد الواو ودلالتها على الجمع، لأن الواو لم تعد متطرفة، ولم تفتقر إلى واقٍ "[5].

---

[1] - انظر الكتاب: سيبويه، ١/١٨٤ ، وشرح ابن عقيل: ٢/٤٠ ، ومغني اللبيب: ابن هشام، ٨٤٢
[2] - سر صناعة الإعراب: ٢/٣٣
[3] - انظر شرح المفصل: ابن يعيش، ٣/١٩
[4] - رصف المباني في شرح حروف المعاني: ٣٣٩
[5] - قضايا نحوية: ١٩٣

فالدكتور المخزوميّ يعد نون المثنى وجمع المذكر السالم ما هي إلا " نون وقاية " تقي الألف في المثنى والواو في جمع المذكر السالم من القصر أو الحذف، وأن وظيفتها قد انتهت بإضافة المثنى وجمع المذكر السالم إلى الياء أو الكاف.

في نظري أن رأيه في أن الياء والكاف قد حلتا محل النون وقامتا بوظيفتها في الوقاية من القصر غير سديد؛ لأنَّ من اعتاد على القصر سيقصر بوجود الياء والكاف أو بعدمهما، فمن السهل أن يقصر معهما ولن يؤثر ذلك في المعنى كثيرًا، فيقول: كتابَي بدلاً من كتاباي، وقلمَك بدلاً من قلماك، ولا يصلح هذا الأمر مع النون؛ لأنه ليس من المنطق أن نقصر معها ونقول: كتابَنِ وقلمَنِ، فمن يسمع هذه الصيغة سيدرك أنها ليست من كلام العرب، فإن كانت النون تصلح لأن تكون واقية لألف المثنى وواو جمع المذكر السالم من القصر أو الحذف، فالياء والكاف لا تصلحان لأداء هذه الوظيفة.

كما أنه لم يذكر إضافة المثنى وجمع المذكر السالم للاسم الظاهر، لماذا حذفت النون في هذا الموضع، هل قام المضاف إليه مقام النون في حماية الألف في المثنى والواو في جمع المذكر السالم من القصر ؟

يتراءى لي أن من أراد أن يقصر ويقول مدرسَ الفصلِ بدلاً من مدرسا الفصلِ، أو يقول مدرسُ الفصلِ بدلاً من مدرسو الفصلِ، فإنه سيقصر ولن يمنعه المضاف إليه من ذلك، أي أن المضاف إليه لم يقم بالوقاية المطلوبة منه كما في النون.

إذن حذف النون هنا ليس لأنه قد حلَّ محلها المضاف إليه، وقام بوظيفتها في حماية الألف في المثنى، والواو في جمع المذكر السالم من القصر كما يزعم د. المخزوميّ، بل هو كما أسلفنا يعود إلى طول العنصر اللغوي، والتخفيف من الزيادتين اللتين لحقتا بهما، فكان الحذف للتخفيف والاختصار.

ومن الآيات القرآنية لهذه الأسماء قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[1]، حيث حُذفت النون من المثنى (يدا)؛ لإضافته إلى (أبي).

وقوله: ﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾[2]، حيث حُذفت النون من جمع المذكر السالم (مرسلو)؛ لإضافته إلى (الناقة).

[1] - سورة المسد: الآية، ١

[2] - سورة القمر: الآية، ٢٧

ثانيًا: نون الأفعال الخمسة

تُحذف نون الأفعال الخمسة في الحالات الآتية:

١ – النصب والجزم: تحذف نون الأفعال الخمسة إذا دخل على الفعل ناصب أو جازم، نحو: لن تفعلا، ولم تفعلا، ولن تفعلوا، ولم تفعلوا، ولن تفعلي، ولم تفعلي[١].

ويعلل المالقي سبب حذف النون من الأفعال الخمسة في حالتي النصب والجزم بقوله: " حذفت في الجزم كما تحذف الحركة لأنها مثلها في الإعراب وحمل النصب على الجزم، لأنه مختص بالفعل الذي هي فيه، ولم يحمل على الرفع لأن الاسم والفعل يشتركان فيه"[٢].

فقد قاس المالقي إعراب الفعل بالحروف على إعرابه بالحركات، أي أن الضمة يقابلها ثبوت النون، والسكون الذي هو حذف للحركة يقابله حذف النون، وبقي النصب، إمَّا أن ينضمَّ إلى حالة الرفع بثبوت النون، وإمَّا إلى حالة الجزم بحذف النون، فلا يوجد سوى أحد هذين الخيارين، فكان الاختيار هو حذف النون؛ لأنه يزعم بأن الرفع يكون في الأسماء والأفعال، بينما الجزم يكون في الأفعال فقط، فقاس النصب على الجزم.

في نظري أن ما قاله المالقي ليس سببًا كافيًا لحمل النصب على الجزم في حذف النون، وكان الأجدر به أن يقول أن النصب تم فيه حذف النون قياسًا على الجزم من ناحية وجود ما هو زائد على الفعل في حالة النصب، وهي أداة النصب، ووجود ما هو زائد على الفعل في حالة الجزم، وهي أداة الجزم، وهذه الزيادة أصبحت جزءًا من الفعل لعدم جواز الفصل بينهما، فثقل ذلك على الفعل أن يكون فيه ثلاثة زوائد، الألف والواو والياء من جهة، والنون من جهة، وأداة النصب أو الجزم من جهة ثالثة، مما أدى إلى حذف الزائد الذي لا يؤثر حذفه في المعنى، ألا وهو النون.

يرى د. أحمد عفيفي أن حذف النون في الأفعال الخمسة " في ذلك تعادل ففي الرفع لا يوجد معه أداة تبقي النون في الفعل، ومع النصب والجزم تحذف النون "[٣].

وكأنَّ مفردات العربية توزن بميزان دقيق، إذا زيد على طرفها شيء أحدث ثقلاً، فإنه يتم التخفيف من طرفها الآخر؛ وذلك حتى يبقى ميزان اللغة معتدلاً.

ومن الآيات القرآنية على حذف النون من الأفعال الخمسة قولــه تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ

---

[١] - شرح ابن عقيل: ٧٣/١ ، ورصف المباني في شرح حروف المعاني: المالقي، ٣٣٩

[٢] - رصف المباني في شرح حروف المعاني: ٣٣٩

[٣] - ظاهرة التخفيف في النحو العربيّ: ٢٤٦

﴿وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[1]، حيث حذفت النون من الفعل (تفعلوا) لأنه جاء مرةً مسبوقًا بأداة جزم، ومرةً أخرى مسبوقًا بأداة نصب.

وقوله: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾[2]، حيث حذفت النون من الفعل (تقربوا) لأنه سبق بأداة جزم، وحذفت من الفعل (تعلموا)؛ لأنه مسبوق بأداة نصب، بينما بقيت النون في الفعل (تقولون)؛ لأنه لم يسبق بناصب أو جازم.

٢ – الإسناد إلى ياء المتكلم أو (نا) المتكلمين: عند إسناد الأفعال الخمسة في حالة الرفع إلى ياء المتكلم، فإنه لا بدَّ من وجود نون الوقاية التي تسبق الياء؛ لتقي الفعل من الكسر[3]، وبالتالي سيجتمع نونان، نون الرفع في الأفعال الخمسة ونون الوقاية، وتوالي الأمثال مستكره في العربية؛ لذا تلجأ إلى حذف إحدى النونين، ويرى سيبويه أن النون المحذوفة هي نون الرفع[4]، نحو: تخوفيني، وأصلها تخوفينني.

ويحدث الأمر ذاته عند إسناد الأفعال الخمسة إلى (نا) المتكلمين، فإنه سيجتمع نونان وهذا مستكره، فتحذف نون الرفع[5]، نحو: يبكينا، والأصل يبكيننا.

ويعلل أحد المحدثين الحذف هنا بقوله: " وتحذف النون الأولى في المثال الأول –يريد تخوفيني– لأنها صوتيًّا مع الفتحة أقل قوة ورقة من النون الثانية مع الكسرة، فبقيت الثانية نون الوقاية لقوتها ورقتها بالكسر وتحصنها به على الرغم من أنها سبب الثقل لأن التكرار بها وقع فكانت أولى بالحذف له إلا أنها لم تحذف للنظام اللغوي الذي يقضي ببقائها حتى تقي الفعل من الكسر، كما حذفت الأولى في المثال الثاني – يريد يبكينا – وبقيت الثانية لأن الخفة تزداد بفتحتها الطويلة، ولوظيفتها النحوية "[6].

مسألة النون المحذوفة أهي نون الرفع أم نون الوقاية أم نون (نا) المتكلمين، أمرٌ قديمٌ أرهق النحاة القدماء والمحدثين، وليس هذا المهم، المهم أنه قد توالى نونان، وكلاهما زائد على بنية الفعل، وكلاهما يستحق أن يحذف؛ حتى يتم التخفيف عن الفعل.

وهذا الحذف اختياريٌّ وليس إلزاميًّا، أي من الممكن أن ننطق بكلتا النونين، إلا أن الحذف أخف وأسهل، وهذا ما تسعى إليه العربية، طالما أن ذلك لم يُحدث لبسًا، ومنه قول

[1] - سورة البقرة: الآية، ٢٤
[2] - سورة النساء: الآية، ٤٣
[3] - سر صناعة الإعراب: ابن جني، ١٠٥/٢ ، وشرح ابن عقيل: ٩٧/١ ، ورصف المباني في شرح حروف المعاني: المالقي، ٣٦٠
[4] - الكتاب: ٥١٩/٣
[5] - انظر بحوث ومقالات في اللغة: د. رمضان عبد التواب، ٣٣ ، والترخيم اللغويّ: د. صلاح الدين محمد قناوي، ٥٣
[6] - الترخيم اللغويّ: د. صلاح الدين محمد قناوي، ٥٣ ـ ٥٤

الشاعر[1]:

أَبِالمَوْتِ الَّذِي لا بُدَّ أَنِّي   مُلاقٍ لا أَبَاكِ تُخَوِّفِينِي

حيث حذفت النون من (تخوفيني)، والأصل (تخوفينني).

وقد ورد أن نافعًا قرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾[2]، بنون واحدة في (تأموني)[3].

ويعلِّق ابن هشام على (تأمرونِّي) في الآية الكريمة بقوله: " يجوز فيه الفك، والإدغام، والنطق بنون واحدة، وقد قرئ بهن في السبع، وعلى الأخيرة فقيل: النون الباقية نون الرفع، وقيل نون الوقاية، وهو الصحيح "[4].

٣ – التأكيد بالنون: عند تأكيد الأفعال الخمسة بالنون الخفيفة أو الثقيلة، فإنه سيجتمع نونان أو ثلاثة[5]، {نون الرفع + نون التوكيد الخفيفة} = نونان، أو {نون الرفع + نون التوكيد الثقيلة (نون ساكنة + نون مفتوحة)} = ثلاث نونات، والعربية تكره توالي الأمثال، وتستثقل التضعيف، لذلك لا بدَّ من حذف النون.

والنحاة على خلاف، منهم من ذهب إلى أن النون المحذوفة هي نون الرفع، ومنهم من ذهب إلى أن النون المحذوفة هي نون التوكيد، وعلى الأغلب أنها نون الرفع، وهو مذهب سيبويه[6].

ويبدو لي أن حذف نون الرفع لا يؤثر في المعنى، أما نون التوكيد فلا يمكن حذفها؛ لأنها أضيفت لفائدة معنوية، فلا بد من وجودها، لأنها إن كانت " سببًا في الثقل للتكرار المتحقق بها، فلم تحذف لتكون وعاءً لتوكيد مضمون الفعل وتوجيه زمنه "[7].

مهما يكن من أمر، فإنه عند حذف نون الرفع، ستلتقي نون التوكيد بالألف، أو الواو، أو الياء في الأفعال الخمسة، فيُحذف صوت العلة إن كان واوًا أو ياءً، ويبقى إن كان ألفًا، نحو: يا زيدان هل تضربانِّ، ويا زيدون هل تضربُنَّ، ويا هند هل تضربِنَّ، والأصل: هل تضربانِنَّ، وهل تضربوننَّ، وهل تضربيننَّ[8].

---

[1] - البيت لأبي حية النميري في خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: البغدادي، ١٠٠/٤، ١٠٥، ١٠٧، وانظر الخصائص: ابن جني، ٣٤٥/١ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ١٠٥/٢

[2] - سورة الزمر: الآية، ٦٤

[3] - النشر في القراءات العشر: ابن الجزريّ، ٣٦٣/٢

[4] - مغني اللبيب: ٤٥٠

[5] - رصف المباني في شرح حروف المعاني: المالقي، ٣٣٦

[6] - الكتاب: ٥١٩/٣

[7] - الترخيم اللغويّ: د. صلاح الدين محمد قناوي، ٥٤

[8] - شرح ابن عقيل: ٢٦٦/٢ - ٢٦٧

ويعلل ابن عقيل سبب حذف الواو والياء هنا لالتقاء الساكنين، وبقاء الألف لخفتها[1]، ولي على هذا القول ملاحظتان:

١ – الواو والياء لم تحذفا لالتقاء الساكنين، فالواو والياء ليستا ساكنتين، وإنما الواو عبارة عن ضمتين، والياء عبارة عن كسرتين، والسبب في الحذف هو تكوُّن مقطع مديد مُكوَّن من صامت + صائت طويل + صامت، ليس هذا موضعة، ففرت منه العربية عن طريق تقصير الصائت الطويل، من واو إلى ضمة، ومن ياء إلى كسرة، لا سيما وأن هذا التقصير لا يُحدث لبسًا، فهذه الضمة دليل على الواو المحذوفة، وهذه الكسرة دليل على الياء المحذوفة.

وقد أشار د. كمال بشر إلى تقصير الواو والياء هنا بقوله: " وقد قام هذا البعض مقام الكل بسبب صوتي وظيفي Phonological يتسق مع النظام المقطعي للغــة العربية "[2].

ويمكنني توضيح التغيير في التركيب المقطعيّ لهذه الأفعال بتقصير الواو والياء من خلال ما يأتي:

تضربونَّ = ت ــَ ض/ ر ــِ/ ب ــُ ــُ ن/ ن ــَ ←

تضربُنَّ = ت ــَ ض/ ر ــِ/ ب ــُ ن/ ن ــَ

تضربينَّ = ت ــَ ض/ ر ــِ/ ب ــِ ــِ ن/ ن ــَ ←

تضربِنَّ = ت ــَ ض/ ر ــِ/ ب ــِ ن/ ن ــَ

٢ – أما الألف فلم تحذف هنا لخفتها – كما زعم ابن عقيل – ويردد وراءه أحد المحدثين فيقول: " والجدير بالذكر أن الألف (الفتحة الطويلة) لم تحذف في يكتبانِّ لأنها أخف الحركات "[3].

وفي نظري أن الألف لم تحذف لأمن اللبس، لأنها لو حذفت من مثل (تضربانِّ) ستصبح (تضربَنَّ) وبالتالي سيلتبس المفرد بالمثنى.

وقد فطن إلى ذلك العلامة سيبويه فقال: " ولا تحذف الألف، فيلتبس فعل الواحد والاثنين "[4].

وقد كســرت نون التوكيــد في المثنى " تجنبًا للنطــق بمجموعــة مصوتات متحــدة

[1] - شرح ابن عقيل: ٢٦٧/٢

[2] - دراسات في علم اللغة: ١٥٩

[3] - الترخيم اللغويّ: د. صلاح الدين محمد قناوي، ٥٦

[4] - الكتاب: ٥٢٥/٣

الطابع "[1]، وهذه المصوتات هي: الألف وهي عبارة عن فتحتين، وفتحة نون التوكيد، مما سبب ذلك ثقلاً مستكرهًا، وتبعًا لقانون المخالفة الصوتية، فإنه يتم كسر النون.

ومن الآيات القرآنية على الأفعال الخمسة المؤكدة بالنون قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]، حيث حذفت النون من الفعل (تتبعان) عند توكيده بالنون، والأصل فيه تتبعانِنَّ.

وقوله: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾[3]، حيث حذفت نون الرفع من الفعلين (فليبتكُنَّ، وفليغيرُنَّ)، عند تأكيدهما بالنون، كما قصرت الواو فيهما، والأصل (فليبتكوننَّ، وفليغيروننَّ).

ثالثًا: نون فعل الأمر

عند إسناد فعل الأمر إلى ألف الاثنين أو واو الجماعة أو ياء المخاطبة، فإن النون تحذف من نهايته قياسًا على الأفعال الخمسة في حالة الجزم، نحو: اضربا، واضربوا، واضربي.

يتراءى لي أن السبب في حذف النون هنا ليس مجرد القياس على الأفعال الخمسة في حالة الجزم، وإنما الأمر عائد إلى التركيب المقطعي لهذه الأفعال، حيث تكوَّن في نهايتها مقطع مديد مكون من صامت + صائت طويل + صامت، ليس هذا موضعه، لذا تخلصت منه، ففعل الأمر يحتاج إلى الخفة لما فيه من نبر يوحي بالإلزام وضرورة التنفيذ.

ومنه قوله تعالى: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾[4]، حيث حُذفت النون من نهاية فعل الأمر (اذهبا).

وقوله تعالى: ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾[5]، حيث حُذفت النون من نهاية أفعال الأمر (اصبروا، وصابروا، ورابطوا، واتقوا).

وقوله تعالى: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾[6]، حيث حُذفت النون من نهاية أفعال الأمر (كلي، واشربي، وقري).

---

[1] - مدخل إلى دراسة الصرف العربيّ: د. مصطفى النحاس، ٧٤
[2] - سورة يونس: الآية، ٨٩
[3] - سورة النساء: الآية، ١١٩
[4] - سورة طه: الآية، ٤٣
[5] - سورة آل عمران: الآية، ٢٠٠
[6] - سورة مريم: الآية، ٢٦

رابعًا: النون المتصلة بإنَّ وأخواتها

ويكون ذلك في حالتين هما:

١ – عند إلحاق ياء المتكلم بإنَّ، وأنَّ، وكأنَّ، ولكنَّ، فإن نون الوقاية تدخل على الحروف الناسخة، فنقول: إنَّني، وأنَّني، وكأنَّني، ولكنَّني[١]، إلا أنه قد توالى ثلاث نونات وهذا مستكره؛ لأن فيه ثقلاً وجهدًا ناتجًا عن التركيز على المخرج نفسه ثلاث مرات، فأجاز العرب حذف نون الوقاية؛ لكثرة استعمال الحروف الناسخة، وطلبًا للتخفيف.

يقول ابن هشام عن إلحاق نون الوقاية قبل ياء المتكلم في إنَّ وأخواتها: " وهي جائزة الحذف مع إنَّ وأنَّ ولكنَّ وكأنَّ وغالبة الحذف مع لعلَّ، وقليلته مع ليت "[٢].

وقد اختلف النحاة في النون المحذوفة، فمنهم من ذهب إلى أنها نون الوقاية، حيث يقول سيبويه: " حذفوا التي تلي الياء "[٣].

ومنهم من ذهب إلى أن النون المحذوفة هي النون الأصلية وليست نون الوقاية، فيقول المالقي: " فجاءت بنون واحدة هي نون الوقاية، وحُذِفَتِ النون الأصلية لثقل اجتماع النونين، وحكمنا على أن الأصلية هي المحذوفة دون نون الوقاية لأن نون الوقاية جُعلت لمعنى "[٤].

والباحثة تميل إلى رأي العلامة سيبويه؛ لأن النون الموجودة في (إنِّي، وأنِّي، ولكنِّي، وكأنِّي) مضعَّفة، والنون الأصلية كذلك، فليس من المنطق فكُّ النون الأصلية لنحذف إحداهما، ونُبقي على الثانية حتى تدغم في نون الوقاية، كما أن (لعلَّ) و(ليت) ليس فيهما نون وعند اتصالهما بياء المتكلم يجوز إثبات النون ويجوز حذفها في (لعلَّ) فنقول: لعلِّي، ولعلَّني، وفي ليت لا تحذف النون إلا نادرًا، فنقول: ليتني وليتي، وهذه النون هي نون الوقاية، فكما أنها حُذفت من (لعلي) و(ليتي) فهي التي تحذف من إنِّي، وأنِّي، ولكنِّي، وكأنِّي.

أما لعلَّ المتصلة بياء المتكلم، فالأغلب حذف النون منها، وقد ذكر سيبويه سبب هذا الحذف بقوله: " اللام قريب من النون، وهو أقرب الحروف من النون "[٥].

فاللام والنون كلاهما من الأصوات المائعة، واجتماعهما يحدث ثقلاً، ويكلف اللسان جهدًا عضليًّا في أثناء النطق بهما، لذا حُذفت نون الوقاية.

---

[١] - شرح ابن عقيل: ١٠١/١
[٢] - مغني اللبيب: ٤٥٠
[٣] - الكتاب: ٣٦٩/٢
[٤] - رصف المباني في شرح حروف المعاني: ٣٦٠
[٥] - الكتاب: ٣٦٩/٢

يقول أحد المحدثين: " ويعد الحذف في هذه الحروف حذفًا ترخيميًّا لأمرين، أحدهما حذف جزء من الكلمة أو ما هو كالكلمة وبقاء ما يدل على المحذوف. ثانيهما: أن الحذف مع هذه الحروف طلبًا للتخفيف وتحقيق الاقتصاد في الجهد العضلي والكم المقطعي والوقت الذي يستغرقه النطق "[1].

وحذف النون مع إنَّ وأخواتها هو الشائع في القرآن الكريم، فقد وردت (فإنِّي) ٦ مرات، و(لكنِّي) ٤ مرات، ولعلِّي ٦ مرات، جميعها وردت بحذف نون الوقاية، ووردت (إنِّي) ١٢٤ مرة في مقابل (إنَّني) ٦ مرات، ووردت (وإنِّي) ١٣ مرة في مقابل (وإنَّني) مرة واحدة[2].

وما هذه الإحصاءات إلا دليلٌ على اختيار القرآن الكريم الأخف والأسهل، والابتعاد عن كل ما من شأنه أن يثقل النص القرآنيّ، طالما ذلك لا يؤثر في المعنى.

ومن الآيات القرآنية على حذف نون الوقاية من إنَّ وأخواتها عند اتصالها بياء المتكلم، قوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً﴾[3]، وقوله: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾[4]، وقوله: ﴿فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾[5]، وقوله: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾[6].

٢ – عند إلحاق (نا) المتكلمين بإنَّ، وأنَّ، وكأنَّ، ولكنَّ، فإنها ستصبح: إنَّنا، وأنَّنا، وكأنَّنا، ولكنَّنا، وبالتالي ستلتقي ثلاث نونات، مما يؤدي تكرار الأصوات من المخرج نفسه إلى إحداث ثقل وجهد عضلي في أثناء النطق بها، لذلك تحذف إحدى النونات، وعلى الأغلب هي النون الأخيرة، حيث يقول ابن جني: " حذفت إحدى النونين من (إنَّ) تخفيفًا، وينبغي أن تكون الثانية منها لأنها طرف، فهي أضعف "[7].

وعند حذف النون من (نا) المتكلمين المتصلة بإنَّ وأخواتها فإنها ستصبح: إنَّا، وأنَّا، ولكنَّا، وكأنَّا، وهذا الحذف جائزٌ وليس واجبًا، إلا أنه يعد أخف وأسهل، كما أنه يقلل من عدد مقاطع الكلمة، وهو ما تسعى إليه العربية دومًا؛ تيسيرًا على الناطق، لا سيما كثرة استعمال هذه الكلمات، فلا بدَّ من التخفيف منها قدر الإمكان.

---

[1] - الترخيم اللغويّ: د. صلاح الدين محمد قناوي، ٥٧
[2] - انظر بحوث ومقالات في اللغة: د. رمضان عبد التواب، ٣٧ - ٣٨
[3] - سورة مريم: الآية، ٢٦
[4] - سورة القمر: الآية، ١٠
[5] - سورة القصص: الآية، ٣٨
[6] - سورة الأعراف: الآية، ٦١
[7] - سر صناعة الإعراب: ١٠٤/٢

وحذف النون هنا هو الشائع في القرآن الكريم، فقد وردت (وأنَّا) ٨ مرات، و(أَئنَّا) ١٠ مرات، و (فإنَّا) ١٠ مرات، و(لكنَّا) مرتين، جميعها وردت بالحذف، ووردت (أنَّا) ١٧ مرة في مقابل (أنَّنا) مرة واحدة، و(بأنَّا) مرتين في مقابل (بأنَّنا) مرة واحدة، و(إنَّا) ٥٣ مرة في مقابل (إنَّنا) ٥ مرات، و (وإنَّا) ٣٣ مرة في مقابل و(إنَّنا) مرة واحدة[١]، مما يشير إلى إيثار القرآن الكريم السهولة والخفة في اختار الألفاظ.

ومن الآيات القرآنية على حذف النون من (نا) المتكلمين المتصلة بإنَّ وأخواتها، قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٢]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾[٣]، وقوله: ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾[٤].

خامسًا: نون التوكيد الخفيفة

إذا ولي الفعل المؤكَّد بالنون الخفيفة ساكن، فإنه يجب حذف النون؛ لالتقاء الساكنين، مع بقاء ما قبلها مفتوحًا، فنقول: اضربَ الرجل، والأصل اضربَنْ الرجل[٥]، فحذفت نون التوكيد الخفيفة لملاقاتها لام التعريف الساكنة.

ويفسر أحد المحدثين سبب حذف نون التوكيد الخفيفة بقوله: " والحذف هنا يرجع إلى أن النون قريبة من اللام مخرجًا وتشتركان في بعض الصفات وأنهما من الأصوات المائعة، مما يمثل ثقلاً يدعو إلى التخفيف "[٦].

لقد بنى هذا الباحث افتراضه على اعتبار أنه لا يوجد ساكن يلي نون التوكيد الساكنة سوى لام التعريف، وقد نسي الكلمات المبدوءة بهمزة وصل: نحو: اضربَ ابنك، فلم يلِ نون التوكيد لامٌ، ومع ذلك حذفت، فماذا يقول فيها ؟!

في الحقيقة أن سبب حذف النون هنا هو التقاء الساكنين، والعربية تفر من ذلك بكل الوسائل الممكنة، وقد وقعت هنا بين أحد خيارين:

١ – أن تحرك النون بالكسر، وفي هذه الحالة سيكون هناك ثقل ناتج عن الانتقال من الفتحة قبل النون إلى الكسرة بعدها.

---

[١] - انظر بحوث ومقالات في اللغة: د. رمضان عبد التواب، ٣٧ - ٣٨
[٢] - سورة الحجر: الآية، ٩
[٣] - سورة الرعد: الآية، ٤١
[٤] - سورة القصص: الآية، ٤٥
[٥] - الكتاب: سيبويه، ٥٠٥/٣ ، وشرح ابن عقيل: ٢٦٩/٢ ، ونزهة الطرف في علم الصرف: ابن هشام، ١٢٥ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ٤٣/٩
[٦] - الترخيم اللغويّ: د. صلاح الدين محمد قناوي، ٥٦

٢ – أن تحذف النون، وهو الأفضل، لا سيما بقاء الفتحة قبلها دليلاً عليها، فلا يُحدث حذفها لبسًا، ومنه قول الأضبط بن قريع السعديّ[١]:

لا تُهِينَ الفَقِيرَ عَلَّكَ أَنْ　　　تَرْكَعَ يَوْمًا وَالدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهْ

حيث حذفت نون التوكيد الخفيفة من (تهينَ)، والأصل فيها (تهينَنْ)، ولو لم تكن نون التوكيد مقدرة في الفعل لوجب عليه أن يقول لا تهن بحذف الياء نتيجة لالتقائها بالنون الساكنة[٢]؛ لأن الفعل مجزومٌ بلا الناهية، ثم يكسر آخر الفعل تخلصًا من التقاء الساكنين فيصبح لا تهنِ الفقير، إلا أنه لم يقل ذلك، مما يشير إلى وجود نون توكيد محذوفة بدليل بقاء الفعل مبنيًّا على الفتح[٣].

*　　*　　*

رأينا أن النون قد تكون علامة إعرابية كما في الأفعال الخمسة، وفعل الأمر المسند إلى ألف الاثنين، وواو الجماعة، وياء المخاطبة، وقد تكون النون زائدة على بنية الكلمة، كما في المثنى، وجمع المذكر السالم، ونون التوكيد الخفيفة، والنون المتصلة بإنَّ وأخواتها.

وقد تلجأ العربية إلى حذف هذه النون لناحية نحوية كما في الأفعال الخمسة وفعل الأمر، وقد تلجأ إلى حذفها لناحية صوتية، نتيجة لتوالي الأمثال المستكره في العربية، كما في التقاء نون الأفعال الخمسة بنون الوقاية، أو لالتقائها بالساكن بعدها، كما في التقاء نون التوكيد الخفيفة بالساكن بعدها، أو ربما تحذف النون لأنها زائدة على بنية الكلمة، وقد زِيد عليها شيء آخر، فاجتمع زائدتان أو أكثر فيما هو كالكلمة الواحدة، فسبب ذلك ثقلاً مستكرهًا، فتم حذف النون.

ولم تلجأ العربية إلى حذف النون إلا لأنها سبَّبت ثقلاً مرفوضًا، وجهدًا عضليًّا مستكرهًا، فحذفتها حتى تحقق الخفة والانسجام الصوتي بين صوامت الكلمة وصوائتها.

---

[١] ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: البغدادي، ٤٥٠/١١ ، ٤٥٢، وانظر شرح ابن عقيل: ٢٧٠/٢ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ٤٣/٩ ، ٤٤ ، ورصف المباني في شرح حروف المعاني: المالقي، ٢٤٩، ٣٧٣، ٣٧٤ ، ومغني اللبيب: ابن هشام، ٨٤٢

[٢] ـ هذا تفسير القدماء والحقيقة أن الياء ليست ساكنة، بل هي عبارة عن كسرتين، والسبب في تقصيرها هو تكون مقطع مديد ليس هذا موضعه

[٣] ـ انظر شرح ابن عقيل: ٣٩/١ الهامش.

المبحث الثالث

حذف صوت العلة

❖ أولاً: الفعل المعتل الآخر

١ –الماضي المسند إلى واو الجماعة

٢ –الماضي المتصل بتاء التأنيث الساكنة

٣ –في حالة الجزم:

أ –المضارع المسبوق بأداة جزم

ب –فعل الأمر

٤ –إذا وليه ساكن

❖ ثانيًا: المنقوص

❖ ثالثًا: المقصور

رأينا في الباب الثاني أن أصوات العلة كان لها نصيب الأسد من اهتمام الصرفيين؛ نتيجة لكثرة تحولها وعدولها عن الأصل، سعيًا وراء الخفة والانسجام الصوتي في بنية الكلمة، وهنا على المستوى النحوي لا بد أن يكون لها نصيب، وسوف نحدد – قدر الإمكان – المواضع التي يتم فيها حذف صوت العلة عندما يكون لامَ الكلمة وموضعَ العلامة الإعرابية فقط، ولن نناقش المواضع التي تكون أصوات العلة لام الكلمة ولكنها ليست موضع الإعراب، موضحين الأسباب المؤدية إلى هذا الحذف، وفيما يلي مواضع حذف أصوات العلة:

أولاً: الفعل المعتل الآخر

ويقصد به الفعل الناقص واللفيف المفروق واللفيف المقرون، وهذا الفعل يحذف منه صوت العلة في الحالات الآتية:

١ – الماضي المسند إلى واو الجماعة: في هذه الحالة تحذف أصوات العلة مطلقًا، مع بقاء عين الفعل مفتوحًا إن كان المحذوف ألفًا، ومضمومًا إن كان المحذوف واوًا أو ياءً، نحو: دعَوا، ورضُوا، وسرُوا[1].

ويعلل القدماء سبب الحذف هنا بالتقاء الساكنين[2]، فأصوات العلة – عندهم – أصوات ساكنة تليها واو الجماعة الساكنة، فتفر العربية من التقاء الساكنين عن طريق حذف صوت العلة.

وفي نظري أن الذي حذف هو الياء والواو فقط، بينما الألف تم تقصيرها، ويمكن توضيح ذلك فيما يأتي:

- دَعَا + و ← تم تقصير الألف فأصبحت فتحة ← دَعَوا
- سَرُوَ + و ← تم حذف الواو مع فتحتها ← سرُوا
- رَضِيَ + و ← تم حذف الياء مع فتحتها ← رَضِوا ← تم إبدال كسرة الضاد ضمة لمناسبة الواو ← رضُوا

وسواء تم تقصير صوت العلة أم حذفه فإنه موضع الإعراب، وبالتالي هذه الأفعال سيكون إعرابها البناء على الضم المقدر على صوت العلة المحذوف، وهذه الضمة في (سَرُوا، ورَضُوا) ليست هي علامة البناء المطلوبة.

وإذا تساءلنا عن سبب تقصير الألف وحذف الياء والواو، فالأمر – في نظري – عائدٌ

---

[1] ـ شرح ابن عقيل: ٥٤٥/٢ ، والتتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١٥٤ ، وانظر مدخل إلى دراسة الصرف العربيّ: د. مصطفى النحاس، ٦٨ ، وفي علم الصرف: د. أمين علي السيد، ٧٥

[2] ـ انظر التتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١٥٤

إلى الأسباب الآتية:

١ – الثقل الناتج عن تنافر اجتماع أصوات العلة، وبخاصة الياء والواو، وهذا مستكره في العربية، وتحاول الفرار منه لتصبح الكلمة أكثر خفةً وانسجامًا.

٢ – تكوُّن مقطع غير مرغوب فيه، وليس هذا موضعه، ويمكنني توضيح ذلك من خلال المثال الآتي:

دعا + وا ← دعاوا = د ـَـ / ع ـَـ ـَـ و ← دعوا = د ـَـ / ع ـَـ و

نلاحظ أنه قد تكون مقطع مديد غير مرغوب فيه، فلجأت العربية إلى تقصير الألف فأصبحت فتحة، وتخلصت من هذا المقطع، مع محافظتها على معنى الفعل.

٣ – عند وجود صوت العلة (الألف)، فإننا نحس بمطل الصوت وتفشيه، مما يحدث ثقلاً وجهدًا عضليًّا في أثناء النطق به، كما أنه تذهب قيمته ورونقه، وعند تقصير صوت العلة نحس تركيزًا في أداء الفعل.

ومن الآيات القرآنية لهذه الأفعال قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[1]، حيث قصرت الألف في الفعلين (آتوا، ونهوا) عند إسنادهما إلى واو الجماعة.

وقوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾[2]، حيث حذفت الياء مع صائتها من الفعل (نسي)، وضم ما قبل الياء المحذوفة؛ لمناسبة واو الجماعة.

٢ – الماضي المتصل بتاء التأنيث الساكنة: عند اتصال الفعل الماضي المعتل الآخر بالألف بتاء التأنيث الساكنة، فإن ألفه تحذف، نحو: رَمَتْ، ودَعَتْ[3]، وأصلها: رمات، ودعات.

ويعلل القدماء سبب الحذف هنا هو التقاء الساكنين[4]، فالألف – عندهم – ساكنة قد التقت بتاء التأنيث الساكنة، وهذا مستكره في العربية، لذا فرت منه عن طريق حذف الألف.

بينما يرى المحدثون أن الذي حدث هو تقصير الألف[5]، وذلك " بسبب تجنب المقطع الرابع "[6]، وهو المقطع المديد، ليس هذا موضعه، فلجأت العربية إلى غيره عن طريق تقصير الألف فأصبحت فتحة، ويمكنني توضيح ذلك من خلال ما يأتي:

---

[1] - سورة الحج: الآية، ٤١

[2] - سورة المائدة: الآية، ١٣

[3] - الكتاب: ٤/ ١٥٦ ، ١٥٨ ، وشرح ابن عقيل: ٢/ ٥٤٤ ، والتتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١٥٦ - ١٥٧

[4] - الكتاب: ٤/ ١٥٦ ، والتتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١٥٦ - ١٥٧

[5] - انظر مثلاً: التطور النحويّ: برجشتراسر، ٦٥ ، وأبحاث في اللغة العربية: د. داود عبده، ٤٩

[6] - التطور اللغويّ: د. رمضان عبد التواب، ٧١

رَمات = ر ــَ / م ــَ ــَ ت ← رَمَت = ر ــَ / م ــَ ت

وهذه الألف التي تم تقصيرها هي موضع الإعراب في هذه الأفعال، وبالتالي سيكون إعرابها البناء على الفتح المقدَّر على الألف.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةً وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَا﴾[1]، حيث تم تقصير الألف في الفعل (رأى)؛ لاتصاله بتاء التأنيث الساكنة.

٣–في حالة الجزم: يجزم الفعل المعتل الآخر في حالتين هما:

أ – **المضارع المسبوق بأداة جزم:** نحو لم يخشَ، ولم يرمِ، ولم يغزُ، يرى القدماء أن علامة جزم الفعل المضارع المعتل الآخر هي حذف صوت العلة من آخره[2]، بينما يرى المحدثون أن الذي حدث هو تقصير صوت العلة من ألف إلى فتحة في (لم يخشَ)، ومن ياء إلى كسرة في (لم يرمِ)، ومن واو إلى ضمة في (لم يغزُ).

وسواء أكان حذفًا أم تقصيرًا، ما هو أهم، لماذا تم ذلك ؟!

ترى الباحثة أن السبب هو دخول أداة الجزم على الفعل، التي تعوَّد العرب معها على حذف العلامة الإعرابية، نحو: لم يضربْ، حيث حذفت الضمة، وفي الفعل المعتل الآخر لم يستطيعوا حذف العلامة الإعرابية؛ لأنها لا تظهر عليه، فما كان منهم إلا حذف صوت العلة – على حد تعبيرهم – قياسًا على الفعل الصحيح الآخر الذي تحذف منه العلامة الإعرابية في حالة الجزم.

كما أن الأمر عائد إلى ثقل هذه الأفعال، فبدخول أداة الجزم عليها، أصبحت جزءًا منها، فطال العنصر اللغويّ، مما أدى إلى ثقله، وكان لا بد من التخفيف بتقصير صوت العلة.

وبهذا التقصير الكميّ للصائت الطويل تم تركيز الصائت، وبعدم استطالته قلَّ الجهد العضليّ المبذول في أثناء النطق، بالإضافة إلى أنه لم يؤثر في المعنى، ولم يُحدث لبسًا.

ومن الآيات القرآنية لهذه الأفعال قوله تعالى: ﴿وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ﴾[3]، حيث تم تقصير الألف في الفعل (يخشَ)؛ لأنه مسبوق بلام الأمر الجازمة.

---

[1] - سورة النمل: الآية، ٤٤

[2] - التصريف الملوكي: ابن جني، ٤٤ ، وشرح ابن عقيل: ٧٨/١، وشرح المفصل: ابن يعيش، ١٠٤/١٠

[3] - سورة النساء: الآية، ٩

وقوله: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[1]، حيث تم تقصير الياء في الفعل (يعصِ)؛ لأنه مسبوق بأداة الشرط الجازمة (مَنْ).

وقوله: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾[2]، حيث تم تقصير الواو في الفعل (يدع)؛ لأنه مسبوق بأداة الشرط الجازمة (مَنْ).

ب – فعل الأمر: تحذف لام فعل الأمر الناقص، نحو: اغزُ، وارمِ، واخشَ[3]. ويرى المحدثون أن صوت العلة لم يحذف، وإنما تم تقصيره من ألف إلى فتحة في (اخشَ)، ومن ياء إلى كسرة في (ارمِ)، ومن واو إلى ضمة في (اغزُ)[4].

وسواء أكان الأمر حذفًا أم تقصيرًا، فإن سبب ذلك – في نظري – عائدٌ إلى:

١ – ربما قاس العرب فعل الأمر على المضارع في حالة الجزم، فكما أن المضارع الصحيح الآخر تكون علامة جزمه السكون، فكذلك الحال في فعل الأمر الصحيح الآخر، فإنه يُبنى على السكون، نحو: لم يضربْ – اضربْ.

وإذا كان الفعل المضارع مسندًا إلى ألف الاثنين أو واو الجماعة، أو ياء المخاطبة، فإنه يجزم بحذف النون، وكذلك الحال في فعل الأمر المسند إلى ألف الاثنين أو واو الجماعة، أو ياء المخاطبة، فإنه تحذف منه النون، نحو: لم يضربا – اضربا، ولم يضربوا – اضربوا، ولم تضربي – اضربي.

وبناءً على ذلك قاس العرب فعل الأمر المعتل الآخر، على الفعل المضارع المعتل الآخر في حالة الجزم، فكما حذفوا صوت العلة من المضارع، فعلوا الأمر ذاته في فعل الأمر، نحو: لم يخشَ – اخشَ، ولم يقضِ – اقضِ، ولم يغزُ – اغزُ.

٢ – فعل الأمر فيه " بتٌّ وتشدُّدٌ وقطعٌ، فهو ثقل معنوي يناسبه الحذف "[5]، كما أن هذا البتُّ لا يتناسب مع استطالة صوت العلة في نهايته، لذلك تم تقصير الصائت الطويل، وتحويله إلى صائت قصير؛ لنشعر بالحزم المطلوب من فعل الأمر.

ومنه قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[6]، حيث تم تقصير الألف في فعل الأمر (انهَ).

---

[1] - سورة الجن: الآية، ٢٣
[2] - سورة المؤمنون: الآية، ١١٧
[3] - التصريف الملوكي: ابن جني، ٤٤ ، ونزهة الطرف في علم الصرف: الميداني، ٢٩
[4] - انظر مثلاً: أثر الحركة المزدوجة في بنية الكلمة العربية: د. عبدالله الكناعنة، ٩١
[5] - ظاهرة التخفيف في النحو العربيّ: د. أحمد عفيفي، ٢٧١
[6] - سورة لقمان: الآية، ١٧

وقوله: ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾[1]، حيث تم تقصير الياء في فعل الأمر (ابنِ).

وقوله: ﴿فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾[2]، حيث تم تقصير الواو في فعل الأمر (ادعُ).

٤ – **إذا وليه ساكن:** إذا جاء بعد الفعل المعتل الآخر كلمة مبدوءة بساكن، فإن صوت العلة يحذف لفظًا فقط، وذلك – كما فسَّره القدماء – لالتقاء الساكنين، نحو: يرمي الرجل، ويغزو الجيش، ويخشى القوم[3].

فإذا حركنا الألف في رمى الرجل فإنها ستصبح رَمَيَ الرجل، وفي دَعَا الرجل، ستصبح دَعَوَ الرجل، واضح أن انقلاب الألف واوًا أو ياءً يثقل الكلمة، ويبعدها عن الانسجام مع بقية الأصوات المحيطة بها، لذلك كان من الأفضل حذفها – تقصيرها – لاسيما أن ذلك لا يؤثر في المعنى.

وقد أشار سيبويه إلى ذلك بقوله: " وإنما كرهوا تحريكها لأنها إذا حُرِّكت صارت ياءً أو واوًا فكرهوا أن تصير إلى ما يستثقلون فحذفوا الألف حيث لم يخافوا التباسًا "[4].

أما عن حذف الياء من الفعل الناقص إذا وليه ساكن، فالسبب هو كراهية تحريك الياء، ففي تحريكها ثقل مستكره، قد فرت منه العربية عندما جعلت إعراب المضارع الناقص في حالة الرفع إعرابًا تقديريًّا، وفرت من تحريك المنقوص بالكسرة إلى حذف الياء عندما يكون نكرة، فلم يبق سوى الفتح، والفتح سيؤدي إلى الالتباس بالمضارع المنصوب، وسيعتقد السامع في مثل: يخشيَ القوم، أن المتحدث قال: لن يخشيَ القوم، وأنه قد فاته سماع أداة النفي الناصبة للفعل.

وقد أشار سيبويه إلى ذلك بقوله: " كرهوا الكسر كما كرهوا الجر في قاضٍ، والضم فيه كما كرهوا الرفع فيه، ولم يكونوا ليفتحوا فيلتبس بالنصب، لأن سبيل هذا أن يكسر، فحذفوا حيث لم يخافوا التباسًا "[5].

أما عن الأفعال المنتهية بالواو، عند التقائها بالساكن، فإنها إذا حرِّكت بالضم فإن ذلك سيؤدي إلى ثقل مستكره، قد فرت منه العربية عندما جعلت إعراب الفعل المضارع المعتل

---

[1] - سورة التحريم: الآية، ١١

[2] - سورة الشورى: الآية، ١٥

[3] - الكتاب: سيبويه، ١٥٦/٤ – ١٥٧، والتتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١٥٨، وشرح المفصل: ابن يعيش، ١٢٠/٩ ، ويقاس عليها الأفعال المنتهية بألف الاثنين، وواو الجماعة وياء المخاطبة – إن كانتا مدتين – انظر شرح الفصل: ابن يعيش، ١٢٠/٩ - ١٢٣

[4] - الكتاب: ١٥٦/٤

[5] - السابق: ١٥٧/٤

الآخر بالواو في حالة الرفع إعرابًا تقديريًا، وإذا حركت الواو بالكسر، فإن ذلك سيكون أيضًا مستكرهًا؛ لثقل التنافر من اجتماع الواو بالكسرة، وإذا حركت الواو بالفتحة، فإن ذلك سيلتبس بالفعل المضارع في حالة النصب.

وقد أشار سيبويه إلى ذلك بقوله: " كرهوا الكسر كما كرهوا الضم هناك[1]، وكرهوا الضم هنا كما كرهوا الكسر في يرمي "[2].

ويرى المحدثون أن الذي حدث ليس حذفًا، وإنما هو تقصير الصائت الطويل، فأصبح صائتًا قصيرًا، وتحولت الألف إلى فتحة، والياء إلى كسرة، والواو إلى ضمة[3].

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[4]، حيث تم تقصير الألف لفظًا، في الفعل (يخشى)؛ لأنه قد وليها ساكن.

وقوله: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[5]، حيث تم تقصير الياء لفظًا، في الفعل (يلقي)؛ لأنه قد وليها ساكن.

وقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[6]، حيث تم تقصير الواو لفظًا في الفعل (يرجو)؛ لأنه قد وليها ساكن.

ثانيًا: المنقوص

عندما يكون الاسم المنقوص نكرةً، فإن لامه – التي هي موضع العلامة الإعرابية – تحذف في حالتي الرفع والجر، نحو: هذا قاضٍ، ومررت بقاضٍ[7]، وبالتالي تكون علامة الرفع (الضمة) مقدرة على الياء المحذوفة، وعلامة الجر (الكسرة) مقدرة على الياء المحذوفة، بينما في حالة النصب، فإن الياء لا تحذف، وتظهر عليها الفتحة لخفتها، نحو: رأيت قاضيًا.

وقد علل سيبويه سبب حذف الياء في الاسم المنقوص بأن العرب قد استثقلوا تحريك الياء بالضم أو الكسر مع تنوين التنكير نتيجة لخلوها من الألف واللام[8].

بينما يرى ابن القبيصي ت (٦١٠ هـ) أن السبب في حذف الياء هنا هو أنها ساكنة وقد

---

[1] - يريد: يرمي الرجل
[2] - الكتاب: ١٥٧/٤
[3] - انظر مثلاً: ظاهرة الحذف في الدرس اللغويّ: د. طاهر سليمان حمودة، ١٥٧
[4] - سورة فاطر: الآية، ٢٨
[5] - سورة غافر: الآية، ١٥
[6] - سورة الأحزاب: الآية، ٢١
[7] - شرح ابن عقيل: ٢٧٨/٢
[8] - الكتاب: ١٨٣/٤

التقت بالتنوين وهو ساكن، فتم حذف الياء[1].

" أما التفسير الحديث لهذه الظاهرة، فهو أن العربية تحاول التخلص ما أمكنها ذلك من المقطع المديد لأنها تكره النطق بمصوت طويل في المقطع المقفل، وتحويله إلى مقطع قصير"[2].

فبعد التخلص من ضمة الياء وكسرتها في حالتي الرفع والجر، سينتج في نهاية الاسم المنقوص مقطع مرفوض مُكوَّن من: صامت + صائت طويل + صامت، والعربية لا ترغب فيه، فلجأت إلى تقصير الياء فأصبحت كسرة، ويمكنني توضيح ذلك من خلال ما يأتي:

قاضين = ق ـــَ ـــَ / ض ـــِ ـــِ ن ← قاضن (قاضٍ) = ق ـــَ ـــَ / ض ـــِ ن

قد يتساءل متسائل لماذا نُوِّنَ الاسم المنقوص بالكسر ولم ينون بالضم أو الفتح ؟

ترى الباحثة أن السبب هو وجود الكسرة اللازمة بعد عين الكلمة، التي كانت ياءً ثم تم تقصيرها، فهذه الكسرة لازمة لا تتغير مطلقًا، وعند اتصالها بالتنوين وهو عبارة عن نون ساكنة، فإنه لا ينطق إلا بالكسرة.

ومن الآيات القرآنية على الاسم المنقوص، قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾[3]، حيث قصرت الياء في (ناجٍ)، وبالتالي الضمة مقدرة على الياء.

وقوله: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾[4]، حيث قصرت الياء، في (تراضٍ)، والكسرة مقدرة على الياء.

ثالثًا: المقصور

عندما يكون الاسم المقصور نكرة، فإنه ينوَّن بتنوين التنكير، فتلتقي الألف الساكنة – على حد تعبير القدماء – بالتنوين، وهو لفظًا عبارة عن نون ساكنة، أي أنه قد التقى ساكنان، مما يؤدي إلى حذف الألف، رفعًا ونصبًا وجرًّا، فنقول: هذا فتًى، ورأيت فتًى، ومررت بفتًى[5].

والألف الموجودة هنا ليست الألف الأصلية في الاسم المقصور، بل هي الألف التي تُزاد في تنوين الفتح، وبالتالي يكون إعراب المقصور بالحركات المقدرة على الألف.

---

[1] - التتمة في التصريف: ١٥٧

[2] - الدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جني: د. حسام سعيد النعيمي، ١٠٢

[3] - سورة يوسف: الآية، ٤٢

[4] - سورة البقرة: الآية، ٢٣٣

[5] - سر صناعة الإعراب: ابن جني، ٢٣٩/٢ ، والخصائص: ابن جني، ٨٢/٢ ، والتتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١٥٧ ، ورصف المباني في شرح حروف المعاني: المالقي، ٣٤

وفي نظري أن السبب في الحذف ليس لالتقاء الساكنين، كما علل النحاة القدماء، بل السبب هو ظهور مقطع مديد مكوَّن من: صامت + صائت طويل + صامت، ليس هذا موضعه، فحاولت العربية التخلص منه، فقامت بتقصير الصائت الطويل (الألف) فأصبحت فتحةً، ويمكنني توضيح التغيير في التركيب المقطعيّ من خلال ما يأتي:
فتان = ف ــَ / ت ــَ ــَ ن ← فتَن (فتًى) = ف ــَ / ت ــَ ن

وإذا تساءل متسائل، لماذا نُوِّنَ الاسم المقصور بالفتح فقط في الحالات الثلاث ؟

يبدو لي أن السبب هو وجود الفتحة اللازمة بعد عين الكلمة، التي كانت ألفًا ثم تم تقصيرها، فعند التقائها بالتنوين، وهي عبارة عن نون ساكنة، صبغته بهذه الصبغة، وأجبرته على أن يكون بالفتح دومًا.

ومن الآيات القرآنية على الاسم المقصور قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى ﴾[1]، حيث قصرت الألف في الاسم المقصور (مفترى)، ونون بالفتح، وبالتالي الضمة مقدرة على الألف.

وقوله: ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا﴾[2]، حيث قصرت الألف في الاسم المقصور (غزًّى)، ونُوِّن بالفتح، وبالتالي الفتحة مقدرة على الألف.

وقوله: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾[3]، حيث قصرت الألف في الاسم المقصور (طوًى)، ونُوِّنَ بالفتح، وبالتالي الكسرة مقدرة على الألف.

* * *

يتضح مما سبق أن العربية تلجأ إلى حذف أصوات العلة باعتباره من أنجع الوسائل للتخلص من ثقل مستكره، وهذا الثقل قد يكون ناجمًا عن التقاء الساكنين، أو تنافر اجتماع أصوات العلة، أو تكوِّن مقطع غير مرغوب فيه، لذا تلجأ العربية إلى الحذف – أو التقصير – للتخلص من هذا الثقل؛ سعيًا وراء الخفة والانسجام الصوتيّ في الجملة العربية.

ورغم اعتماد العربية على الحذف – بشكل عام – بصورة كبيرة على المستوى النحويّ، إلا أنها تلجأ في بعض الأحيان إلى الزيادة، ولكنه بصورة أقل من الحذف، ويمكن التمثيل على

---

[1] - سورة القصص: الآية، ٣٦
[2] - سورة آل عمران: الآية، ١٥٦
[3] - سورة طه: الآية، ١٢

الزيادة فيما يأتي:

١ – عند إلحاق ياء المتكلم بالفعل، فإنه تزاد نون الوقاية؛ لتقي الفعل من الكسر، نحو: أكرمَني، ويكرمني، وأكرمْني[١]، وقد تزاد في مواضع أخرى زيادة غير لازمة، إلا أنها في هذا الموضع زيادتها واجبة.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[٢]، حيث زيدت نون الوقاية في الفعلين (جعلني، وأوصاني) لاتصالهما بياء المتكلم.

٢ – عند اتصال نون التوكيد بالفعل المضارع وفعل الأمر المسندين إلى نون النسوة، فإنه تزاد ألف؛ لتفصل بين نون النسوة ونون التوكيد؛ منعًا لتوالي الأمثال الذي لا ترغب فيه العربية وتفرُّ منه، نحو: يضربنانِّ، واضربنانِّ[٣].

٣ – عند نداء المعرف بأل، فإن العربية تزيد (أيُّ + ها)؛ للتوصل إلى ندائه، نحو: يا أيُّها الرجل[٤]، ويرى ابن جني أن السبب في زيادة (أيها) " لئلا يجمعوا بين (يا) وهي للإشارة، وبين اللام، وهي للتعريف، فكرهوا أن يجمعوا بين حرفين متقاربي المعنيين "[٥].

وترى الباحثة أن ما قاله ابن جني ليس هو السبب الحقيقيّ وراء زيادة (أيُّها)، وإنما السبب يعود إلى التركيب المقطعيّ المرفوض لهذه الظاهرة[٦]، ويمكنني توضيح ذلك من خلال المثال الآتي:

يا الرجل = ي ـــَ ـــَ ر/ ر ـــَ / ج ـــُ / ل ـــُ

نلاحظ أنه قد تكوَّن في بداية الكلمة مقطع مديد مكوَّن من صامت + صائت طويل + صامت، وهو مقطع غير مرغوبٍ فيه، وليس هذا موضعه، ففرت العربية منه عن طريق زيادة (أيُّ)، ليس هذا فحسب بل زادت (ها) التنبيه، التي يتناسب الإطلاق فيها مع مد النفس، فيلائم جو النداء، كما أن هذه الزيادة أعطت (يا) النداء الفرصة لتأخذ مداها كاملاً في مد الألف، لأنه لولا الزيادة لقصرت الألف لفظًا، لالتقائها بالساكن بعدها، وتكوُّن مقطع مديد ليس هذا موضعه، ويمكنني توضيح التركيب المقطعيّ الجديد بعد إضافة (أيُّها) كالتالي:

يا أيُّها الرجل = ي ـــَ ـــَ / أ ـــَ ي / ي ـــُ / هـــ ـــَ ر/ ر ـــَ / ج ـــُ / ل ـــُ

---

[١]- سر صناعة الإعراب: ابن جني، ١٠٥/٢ ، وشرح ابن عقيل: ٩٧/١ ، ورصف المباني في شرح حروف المعاني: المالقي، ٣٦٠، وانظر ظاهرة الإعراب في النحو وتطبيقها في القرآن الكريم: د. أحمد سليمان ياقوت، ٦٧

[٢]- سورة مريم: الآية، ٣١

[٣]- سر صناعة الإعراب: ابن جني، ٢٥٤/٢ ، وشرح ابن عقيل: ٢٦٨/٢ ، ورصف المباني في شرح حروف المعاني: المالقي، ٢٥

[٤]- رصف المباني في شرح حروف المعاني: المالقي، ٤٠٥

[٥]- سر صناعة الإعراب: ٣٣/٢

[٦]- دراسات في فقه اللغة والفنولوجيا العربية: د. يحيى عبابنة، ٣٠ - ٣١

ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ﴾[1].

٤ – يُزاد في نهاية المنادى المندوب ألف وهاء، نحو: وازيداه[2]، ويرى المالقي أن هذه الألف زيدت " لمد الصوت، والهاء لبسط الألف وتمكن مدها والوقف، فإذا وصلت حذفتها "[3].

بمعنى أن هذه الألف زيدت لتنسجم مع جو الندبة، الذي يحتاج إلى مدِّ الصوت، والهاء زيدت لتتناسب مع إخراج ما في الجوف من آهات.

٥ – زيادة هاء التنبيه في بداية أسماء الإشارة ذا، وذي، وذان، وتان، وأولاء، فتصبح: هذا، وهذه، وهذان، وهاتان، وهؤلاء[4]، ويبدو لي أن السبب في زيادة الهاء هنا لمد الصوت، مما يبرز اسم الإشارة بعدها، ويجعله أكثر وضوحًا، ومن الآيات القرآنية عليها قوله تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾[5].

على أية حال، سواء أكان الأمر حذفًا أم زيادةً، فإن هدف العربية الأول والأخير، هو التخلص من ثقل مستكره، وتقليل الجهد العضليّ، وتحقيق الانسجام الصوتيّ في الجملة العربية.

---

[1] - سورة الانفطار: الآية، ٦
[2] - شرح ابن عقيل: ٢٤٠/٢ ، ورصف المباني في شرح حروف المعاني: المالقي، ٢٧
[3] - رصف المباني في شرح حروف المعاني: المالقي، ٢٧
[4] - السابق: ٤٠٤ - ٤٠٥
[5] - سورة آل عمران: الآية، ١٣٨

الفصل الرابع

التوافق الحركيّ في القرآن الكريم

❖ المبحث الأول: الحذف، وهو نوعان:

١-حذف صامت

٢-حذف صائت

❖ المبحث الثاني: الزيادة، وهو نوعان:

١-زيادة صامت

٢-زيادة صائت

❖ المبحث الثالث: الجر بالمجاورة

رأينا في الباب الثاني سعي العربية نحو التوافق الحركي في البنية الصرفية، ورفضها كل ما من شأنه أن يحدث ثقلاً أو تنافرًا في بنية الكلمة، وذلك عن طريق الحذف أو الإبدال...؛ لتصبح الأصوات المكوِّنة للكلمة متوافقةً منسجمةً فيما بينها.

وهذا ما حدث أيضًا على المستوى النحوي، فإذا وجد صائت لا يتناسب مع محيطه الصوتيّ، فإن العربية سرعان ما تتخلص منه، تحقيقًا للانسجام الصوتيّ في الجملة العربية.

وفي هذا الفصل، لن أتطرق إلى التوافق الحركيّ الذي حدث في تركيب الجملة، من مثل (ضربُوا) التي أصبح البناء فيها على الضم بدلاً من البناء على الفتح لمناسبة الواو، أو من مثل (كتابِي) التي حركت نهاية الكلمة بالكسرة لمناسبة ياء المتكلم، فهذه المسائل تعرضنا لها من خلال الفصول السابقة لهذا الباب، وهنا سوف أخصص الحديث عن التوافق الحركيّ في القرآن الكريم، الذي لجأ إليه تحقيقًا لخصوصية معينة، وليس وفقًا لقاعدة نحوية مطردة.

وأعني بذلك ميل القرآن الكريم – في بعض الأحيان – إلى إيثار موسيقى الفواصل، " ولا شك أن القرآن راعى المناسبة بين الفواصل، وهو أمر مألوف في اللغة، ومحمود في الأسلوب، ومؤثر في جمال العبارة "[١].

يقول د. عبد الفتاح لاشين: " الفاصلة لها أثر في نسق الكلام، واعتدال المقاطع، وتجعل موقعه حسنًا في النفوس، وتؤثر فيه تأثيرًا لا ينكر، وتناسب الأطراف، وتماثل الحروف، مما يريح السامع، ويجذب انتباهه "[٢].

ويقول الإمام محمد أبو زهرة: " وإن النظم القرآني في تأليفه كله له رنين الموسيقى، لقد جرى العرب كتَّابًا وشعراء وخطباء على أن يجدوا النغم في فاصلة سجع أو قافية شعر، لكن نظم القرآن ونغمه ينبعث من كلماته وحروفه وأسلوبه، فحروفه متآخية في كلماته لها موسيقى ونغم تهتز لها المشاعر، وتسكن عندها تطمئن النفوس، والكلمات في تآخيها في العبارات تنتج موسيقى ونغمًا يختص به القرآن وحده وإنَّ أي كلام مهما يكن علو صاحبه في البيان لا بد أن يكون متخلفًا عن القرآن لا يمكن أن يلحق به، لأنه كلام الله تعالى وفوق طاقة البشر "[٣].

وحتى يحافظ القرآن الكريم على الانسجام الصوتي في نهايات الآيات القرآنية الكريمة، عمل على حذف صامت معين؛ لتنتهي الآية الكريمة بصائت طويل يتوافق مع بقية الآيات المجاورة، أو قصر صائتًا طويلاً، أو قام بإشباع الحركة لتنتهي الآية الكريمة بصائت طويل يتناسب مع الآيات المجاورة، أو لتتناسب كلمتان متجاورتان، أو قد يتبع جر كلمة لمجاورتها

---

[١] - مقدمة في الدراسات القرآنية: د. محمد فاروق النبهان، ١٨٢
[٢] - الفاصلة القرآنية: ٢٢
[٣] - المعجزة الكبرى (القرآن): ٢٨٦

كلمة مجرورة، وكل ذلك ليس لمقتضًى نحوي، أو وفق قاعدة معينة، وإنما يتم لإحداث التوازن الموسيقيّ، والانسجام الصوتيّ في نهاية الآيات الكريمة، أو بين كلمتين متجاورتين.

ولجأ القرآن الكريم إلى مثل هذا؛ لأنه خاطب العرب بالسلاح الذي يتقنونه، وتحدى عشقهم لموسيقى السجع، فأتى لهم بمثل ما يفتخرون أنهم أبدعوا فيه، بل وتفوَّق عليهم، فجاء معجزًا لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا.

وقد أدرك العرب منذ أول وهلة ما في القرآن الكريم من جمال، " وما في تأليف القول من نسق وانسجام، وما في جرسها من نغم، ولمَّا تورط بعضٌ منهم في أن يحاكوا القرآن، لم يكن اتجاههم إلا إلى النغم أرادوا محاكاته في نغمه، فجاء كلامهم غثًا، ليس فيه نغم ولكن فيه ما يدل على إدراك سقيم "[1].

وإذا ما تتبعنا الوسائل التي اتخذها القرآن الكريم لإحداث التوافق الحركيّ، والانسجام الصوتيّ في نهاية الآيات الكريمة، أو بين كلمتين متجاورتين، فإننا سنجدها كثيرة، ويمكن أن نجمل أهمها في النقاط الآتية:

١ – الحذف، وهو نوعان: أ – حذف صامت ب – حذف صائت

٢ – الزيادة، وهو نوعان: أ – زيادة صامت ب – زيادة صائت

٣ – الجر بالمجاورة

أولاً: الحذف

ورد في القرآن الكريم نوعان من الحذف، هما:

١ – **حذف صامت**[2]: يحذف ضمير المخاطب (الكاف) الذي جاء في موقع مفعول به؛ للحفاظ على تناسب الفواصل، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَى(١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى(٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى(٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى(٤)﴾[3]، حيث حُذف ضمير المخاطب (الكاف) من الفعل (قلى)، والأصل أن يكون (قلاك)[4]، إلا أن الكاف حذفت، وذلك لإحداث التوازن الموسيقيّ، والانسجام الصوتيّ في نهاية الآيات الكريمة المجاورة، والتي انتهت بالألف.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى(١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى(٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى(٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى(٤) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى(٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى(٦) فَسَنُيَسِّرُهُ

[1] - المعجزة الكبرى (القرآن): الإمام محمد أبو زهرة، ٢٩١
[2] - المحذوف هنا ليس صامتًا فحسب، بل هو صامت مع الصائت الذي يليه، ولكن ذكرت ذلك لمجرد الاختصار
[3] - سورة الضحى: الآية، ١ - ٤
[4] - من وظائف الصوت اللغوي: د. أحمد كشك، ١٧

لِلْيُسْرَى(٧)﴾[1]، حيث حُذف ضمير المخاطب (الكاف) من الفعل (اتقى)[2]، والأصل أن يكون (اتقاك)، إلا أن الضمير حُذف لإحداث التوازن الموسيقيّ، والانسجام الصوتيّ في نهاية الآيات الكريمة التي انتهت بالألف.

على الرغم من أن الهدف من هذا الحذف هو الحفاظ على التوازن الموسيقي، وإحداث الانسجام الصوتي بين فواصل الآيات الكريمة، ولا يوجد داعٍ يقتضي الحذف هنا سوى ذلك، إلا أن الحذف لم يؤثر في المعنى، ولم يُحدث لبسًا، فالمعنى مفهوم من خلال السياق، ولا ضير من الحذف مراعاة لموسيقى الفواصل.

٢ – **حذف صائت:** وهذا كثير في القرآن الكريم، وخاصةً في الياء، ويمكن توضيح ذلك في المواضع الآتية:

أ – **الفعل الناقص:** يتم تقصير الياء في الفعل الناقص، ليس لمقتضًى نحوي، وإنما حفاظًا على موسيقى الفواصل، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ(١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ(٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ(٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ(٤)﴾[3].

يرى القدماء أن الياء قد حذفت من الفعل الناقص (يسري)[4]، إلا أنها لم تحذف بل تم تقصيرها من ياء إلى كسرة؛ وذلك حتى تنتهي الآية الكريمة بالراء؛ توافقاً مع الآيات المجاورة.

قد يكون تقصير الياء في الفعل الناقص ليس لمراعاة موسيقى الفواصل، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾[5]، حيث تم تقصير الياء في الفعل الناقص (نبغِ) والأصل (نبغي)، ولا يوجد ما يقتضي هذا الحذف لا نحويًّا ولا موسيقيًّا، فالكلمة ليست في نهاية الآية الكريمة، حتى يكون سبب الحذف لمراعاة الفواصل، فما السبب يا ترى ؟

ترى الباحثة أن تقصير الياء حدث ليتم تقصير المقطع الأخير من الفعل، فبدلاً من أن يكون مكوناً من صامت + صائت طويل، سيصبح مكوناً من صامت + صائت قصير، وبتقليل بنية الكلمة سيقلل من الجهد العضليّ، فتخف الكلمة ويصبح النطق بها أسهل

---

[1] - سورة الليل: الآية، ١ – ٧
[2] - من وظائف الصوت اللغوي: د. أحمد كشك، ١٧
[3] - سورة الفجر: الآية، ١ – ٤
[4] - الكتاب: سيبويه، ١٨٥/٤ ، وسر صناعة الإعراب: ابن جني، ٢/ ٣٩ ، والتتمة في التصريف: ابن القبيصي، ١٦٠ – ١٦١
[5] - سورة الكهف: الآية، ٦٤

وأسرع، مما ينبئ عن سرعة سيدنا موسى وتلهفه " فكأن الآية تسهم بهذا الحذف في تصوير شوق موسى لسرعة اللقاء بسرعة الارتداد نحو المكان "[1].

ب – **المنقوص:** يتم تقصير الياء في الاسم المنقوص، للحفاظ على موسيقى الفواصل، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ(٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ(٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ(٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ(٩)﴾[2].

حيث تم تقصير الياء في الاسم المنقوص (الوادِ) والأصل أن يكون (الوادي)، وذلك حتى تنتهي الآية الكريمة بالدال، توافقًا مع بقية الآيات المجاورة لها.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ(٨) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ(٩) سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ(١٠) لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ(١١)﴾[3].

حيث تم تقصير ياء الاسم المنقوص (المتعال) والأصل (المتعالي)، ولا يوجد ما يقتضي هذا التقصير نحويًّا، فالاسم معرف بـــ (أل)، والسبب في التقصير هنا؛ حتى تنتهي الآية الكريمة باللام؛ توافقاً مع الآيات الكريمة المجاورة لها، صحيح أن الآيتين: التي قبلها والتي بعدها انتهتا بالراء، إلا أن الراء واللام كلاهما من مخرج واحد، وكلاهما من الأصوات المائعة، ثم بعد ذلك انتهت الآيات الكريمة من ١١ – ١٥ باللام.

ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ(٣١) وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ(٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ(٣٣)﴾ [4].

حيث تم تقصير الياء في الاسم المنقوص (التناد)، والأصل أن يكون (التنادي)، رغم أنه معرف بأل، فلا يوجد ما يقتضي الحذف سوى المحافظة على التوازن الموسيقيّ، فتنتهي الآية الكريمة بالدال، كما انتهت الآيات الكريمة المجاورة لها.

[1] - الدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جني: د. حسام سعيد النعيمي، ٢٠٩
[2] - سورة الفجر: الآية، ٦ - ٩
[3] - سورة الرعد: الآية، ٨ - ١١
[4] - سورة غافر: الآية، ٣١ - ٣٣

ج – ياء المتكلم: وياء المتكلم التي تقصر في القرآن الكريم لغرض المحافظة على موسيقى الفواصل تكون متصلة بواحد مما يأتي:

١ – متصلة باسم: ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ(١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ(٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ(٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ(٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ(٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ(٦)﴾ [1].

حيث تم تقصير ياء المتكلم المتصلة بالاسم (دين) والأصل أن يكون (ديني)، وذلك حتى تنتهي الآية الكريمة بالنون؛ توافقًا مع بداية الآيات الكريمة.

ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ(٨) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ(٩) أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ(١٠)﴾ [2].

فقد تم تقصير ياء المتكلم المتصلة بالاسم (عذاب)، والأصل (عذابي)، حتى تنتهي الآية الكريمة بالباء؛ توافقًا مع الآيات المجاورة لها.

وقد ورد تقصير ياء المتكلم المتصلة بالاسم وخاصة في المنادى، ولكن لم يكن التقصير لإحداث التوافق في موسيقى الفواصل، فقد ورد في درج الآية الكريمة، وهو كثير في القرآن الكريم، منه قوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾[3]، حيث وردت (عبادِ) بتقصير ياء المتكلم في القرآن الكريم ٤ مرات[4]، كما وردت (يا قومِ) في القرآن الكريم بتقصير ياء المتكلم ٤٧ مرة، ولم ترد ولا مرة واحدة مثبتة الياء[5]، ومنه قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾[6].

ترى الباحثة أن تقصير الياء هنا مجرد تقصير المقطع الأخير من الكلمة، فيتحول من مقطع مكوَّن من صامت + صائت طويل إلى مقطع مكون من صامت + صائت قصير، وذلك لتقليل الجهد العضليّ وللاختصار والتخفيف.

٢ – متصلة بفعل: يتم تقصيــر ياء المتكلم المتصلة بالفعل لمراعاة موسيقى الفواصـــل في

---

[1] - سورة الكافرون: الآية، ١ - ٦
[2] - سورة ص: الآية ٨ - ١٠
[3] - سورة الزخرف: الآية، ٦٨
[4] - انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، ٤٤٣
[5] - انظر السابق: ٥٨٥
[6] - سورة الصف: الآية، ٥

القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ(١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ(١٦)﴾[١].

حيث قصرت ياء المتكلم المتصلة بالفعلين (أكرمن، وأهانن) والأصل أن يكونا (أكرمني، وأهانني)؛ وذلك للمحافظة على موسيقى الفواصل.

وفي نظري أنه لو لم يتم التقصير وبقيت ياء المتكلم في كلا الفعلين مثبتة، فإنه سيكون هناك أيضًا توازن موسيقيّ، لا سيما أنه لا يوجد آيات قبل هاتين الآيتين أو بعدهما تنتهي بالنون المكسورة، فالتقصير هنا ليس لمجرد المحافظة على التوازن الموسيقي، وإلا لتم أيضًا في نهاية السورة في قوله تعالى: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي(٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي(٣٠)﴾[٢]، فقد ثبتت الياء هنا ولم تقصر، فما السبب في تقصيرها هناك ؟

ترى الباحثة أن تقصير ياء المتكلم في (أكرمني) عائد إلى سياق الحال في الآية الكريمة، فتقصير الياء يوحي بتقصير النفس البشرية عن بلوغ مستوى الشكر المطلوب منها تجاه ما وهبها الله عز وجل من نِعَم لا تعد ولا تحصى، فيقول الإنسان: ربي أكرمن، ونفسه صاغرة لم تستطع أن تفي بما هو لازم عليها من الشكر، وعندما قصرت الياء في (أكرمن) تم تقصيرها في (أهانن) لإحداث التوازن الموسيقي بين الفواصل.

ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ(٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ(٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ(٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ(٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ(٨٢)﴾[٣].

حيث تم تقصير ياء المتكلم المتصلة بالأفعال (يهدينِ، ويسقينِ، ويشفينِ، ويحيينِ)، والأصل أن تكون (يهديني، ويسقيني، ويشفيني، ويحييني)، وذلك حتى تنتهي الآيات الكريمة بالنون؛ توافقًا مع الآيات المجاورة لها.

ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ(٣٨) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ(٣٩) قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ(٤٠)﴾[٤]، حيث تم تقصير ياء المتكلم المتصلة بالفعل (كذبون)، والأصل (كذبوني) ولا يوجد ما يقتضي تقصيرها من الناحية

---

[١] - سورة الفجر: الآية، ١٥ ـ ١٦
[٢] - سورة الفجر: الآية، ٢٩ ـ ٣٠
[٣] - سورة الشعراء: الآية، ٧٨ ـ ٨٢
[٤] - سورة المؤمنون: الآية، ٣٨ ـ ٤٠

النحوية، والدليل على ذلك وجودها في الفعل السابق (انصرني)، فالسبب في التقصير هو مراعاة موسيقى الفواصل.

ثانيًا: الزيادة

ورد في القرآن الكريم نوعان من الزيادة، هما:

١ – زيادة صامت: حدث ذلك عند زيادة هاء الوقف التي تزاد لـــ " بيان الحركة في كل مبنيٍّ متحركٍ، نحو قولك في غلامي في الوقف: غلاميَهْ، وفي هو: هُوَهْ وفي هي: هِيَهْ "[1].

ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ(١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ(٢٠)﴾ [2]، كما زيدت هاء الوقف في السورة نفسها في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ(٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ(٢٦)﴾ [3]، وزيدت في موضع ثالث من السورة ذاتها في قوله تعالى: ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ(٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ(٢٩)﴾[4].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ(٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ(٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ(١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ(١١)﴾ [5]، حيث زيدت الهاء في (هيه) لتنتهي الآية الكريمة بالهاء؛ توافقًا مع بقية الآيات المجاورة لها.

٢ – زيادة صائت: ورد في القرآن الكريم إشباع الفتحة، وتحويلها إلى ألف، وهو ما يشبه إطلاق الفتحة في القوافي الشعرية، وذلك كما في قول جرير[6]:

أَقِلِّي اللَّوْمَ عَاذِلَ وَالعِتَابَا   وَقُولِي إِنْ أَصَبْتُ لَقَدْ أَصَابَا

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها إشباع الفتحة، قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا(١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا(١١)﴾ [7].

---

[1] - رصف المباني في شرح حروف المعاني: المالقي، ٣٩٩
[2] - سورة الحاقة: الآية، ١٩ - ٢٠
[3] - سورة الحاقة: الآية، ٢٥ - ٢٦
[4] - سورة الحاقة: الآية، ٢٨ - ٢٩
[5] - سورة القارعة: الآية، ٨ - ١١
[6] - ديوان جرير: ٨٩ ، وانظر الكتاب: سيبويه، ٢٠٥/٤ ، وسر صناعة الإعراب: ابن جني، ٣٩/٢ ، وشرح المفصل: ابن يعيش، ١١٥/٤
[7] - سورة الأحزاب: الآية، ١٠ - ١١

فقد تم إشباع الفتحة في (الظنونا) والأصل أن تكون (الظنونَ)، ولا يوجد داعٍ لذلك سوى المحافظة على الجرس الموسيقي لنهاية الآيات الكريمة، فأشبعت الفتحة لتصبح ألفًا، فتوافق الآيات المجاورة لها.

وفي السورة نفسها حدثت الظاهرة ذاتها مرةً أخرى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا(٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا(٦٥) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا(٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا(٦٧)﴾ [1].

حيث تم إشباع الفتحة في (الرسولا) و(السبيلا)، والأصل (الرسولَ) و(السبيلَ)، ولا يوجد ما يقتضي ذلك سوى المحافظة على موسيقى الفواصل، فأشبعت الفتحة لتتحول ألفًا، فتوافق الآيات المجاورة لها.

ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ [2]، حيث تم إشباع الفتحة في (سلاسلا) والأصل أن تكون (سلاسلَ)، ولا يوجد داعٍ نحوي لهذه الألف فالكلمة ممنوعة من الصرف، ولا تنون، إلا أن الفتحة أشبعت فتحولت ألفًا لتوافق كلمة (أغلالاً) وتنسجم معها، ونلاحظ أن التوافق تم هنا بين كلمتين متجاورتين وليس في نهاية الآيات الكريمة.

وقد ورد إشباع الفتحة في السورة نفسها في قوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا(١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا(١٥) قَوَارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا(١٦)﴾ [3].

حيث تم إشباع الفتحة في (قواريرا)، والأصل أن تكون (قواريرَ)، ولا يوجد ما يقتضي وجود هذه الألف، فالكلمة ممنوعة من الصرف، ولا تحتاج إلى الألف الدالة على تنوين الفتح، ولا يوجد ما يفسر إشباع الفتحة وتحولها ألفًا، إلا لإحداث التوازن الموسيقيّ بين نهايات الآيات الكريمة.

وكُرِّرت الكلمة نفسها في بداية الآية الكريمة التي تليها، رغم أن الحاجة لا تستدعي الإشباع هنا، ولكنها بقيت على الصيغة نفسها – في نظري – لتحافظ على الجرس الموسيقيّ

---

[1] - سورة الأحزاب: الآية، ٦٤ - ٦٧
[2] - سورة الإنسان: الآية، ٤
[3] - سورة الإنسان: الآية، ١٤ - ١٦

للكلمة، فتبقى على وتيرة واحدة.

ثالثًا: الجر بالمجاورة

ورد عن بعض العرب قولهم: " هَذَا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ "[1]، فقد جُرَّتْ (خربٍ) إتباعًا لجر (ضبٍّ) المجاورة لها، رغم أنها صفة للجحر الذي جاء في موقع رفع، فيجب أن تكون (خربٌ) مرفوعةً تبعًا لموصوفها.

ذكر د. تمام حسان أن " الداعي إلى ذلك داعيًا موسيقيًّا جماليًّا هو المناسبة بين المتجاورين "[2]، ويؤكد د. أحمد كشك على أن الأمر مجرد تناسب صوتيّ، فيقول: " وحين تحرص اللغة على التناسب الصوتي؛ فإنها تضحي بقضايا لغوية أخرى فقد ضحت بقيمة التبعية الإعرابية في النعت، فيما سُمي الجر بالمجاورة "[3].

وقد وردت ظاهرة الجر بالمجاورة في قول الشاعر[4]:

يَا صَاحِ بَلِّغْ ذَوِي الزَّوْجَاتِ كُلِّهِمُ   أَنْ لَيْسَ وَصْلٌ إِذَا انْحَلَّتْ عُرَى الذَّنَبِ

حيث جر (كلهم) إتباعًا لجر (الزوجات)، والأصل أن تنصب لأنها توكيد لكلمة (ذوي)[5].

وقد ورد الجر بالمجاورة في القراءات القرآنية بشكل واسع[6]، وتأوّل فيها النحاة بما فيه الكفاية، إلا أنني لن أتطرق لهذه القراءات، وإنما سأعرض بعضًا من الآيات من المصحف العثماني الذي بين أيدينا، والتي من الممكن أن يكون الجر فيها إيثارًا لإحداث الانسجام الصوتيّ بينها وبين المجرور المجاور لها.

فقد ورد الجر بالمجاورة في قوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[7].

حيث جاءت (المقيمين) مجرورة، وعلامة جرها الياء إتباعًا لجر الكلمة المجاورة لها (قبلِك)، والأصل أن تكون مرفوعةً، فنقول: المقيمون الصلاة، ويعلق د. تمام حسان على ذلك فيقول: " أن قرينة التبعية التي تحققت بوضوح التعاطف قد أغنت عن العلامة الإعرابية "[8].

---

[1] - الكتاب: سيبويه، ٤٣٦/١
[2] - اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٣٤
[3] - من وظائف الصوت اللغويّ: ١٦
[4] - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: البغدادي، ٩٠/٥ ، ٩٣ ، ٩٤ ، وانظر مغني اللبيب: ابن هشام، ٨٩٥
[5] - خزانة الأدب: البغدادي، ٩٣/٥ ، ومغني اللبيب: ابن هشام، ٨٩٥
[6] - انظر مثلاً: مغني اللبيب: ابن هشام، ٨٩٥، وأثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية: د. عبد العال سالم مكرم، ٦٩ - ٧٣
[7] - سورة النساء: الآية، ١٦٢
[8] - اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٣٥

ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾[1]، حيث جاءت (محيطٍ) مجرورة، إتباعًا لجر (يوم) المجاورة لها، رغم أنها صفة للعذاب، " واليوم ليس بمحيط وإنما المحيط العذاب "[2]، فالأصل في (محيط) أن تكون منصوبة إتباعاً لموصوفها.

ومنه قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [3]، حيث جُرَّتْ (عاصفٍ) لمجاورتها (يومٍ) المجرورة، والأصل أن تكون مرفوعة؛ إتباعًا لرفع (الريح)، " لأن عاصف من صفة الريح لا من صفات اليوم "[4].

ومنه قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾[5]، حيث جُرَّتْ (المشركين) لمجاورتها (الكتابِ) المجرورة، والأصل أن تكون مرفوعة[6].

* * *

نلاحظ من خلال ما تقدم، أن مراعاة موسيقى نهاية الآيات الكريمة، ظاهرة منتشرة في القرآن الكريم، وخاصة في قصار السور، ومن أكثر الوسائل المستخدمة لإحداث هذا التوازن الموسيقى، الحذف، والزيادة، والجر بالمجاورة، والذي يساند ذلك ويدعمه، أنها لا تُحدث لبسًا، فلا ضرر منها، أضف إلى ذلك أنها تحقق الموسيقى المرغوب فيها عند العرب.

ونلاحظ أن السورة التي جاء فيها الحذف أو الزيادة، فإن الظاهرة تتكرر أكثر من مرة في السورة ذاتها، فمثلاً في سورة الفجر جاء فيها تقصير الياء في ثلاثة مواضع متفرقة، وكذلك في سورة الشعراء ورد فيها تقصير الياء في أربع آيات متلاحقات، وفي سورة الحاقة ورد فيها زيادة هاء الوقف في ثلاثة مواضع، مما يشير إلى حرص القرآن الكريم على موسيقى الفواصل، وحتى يسلط الضوء عليه، فهو ليس مجرد مثال عابر لا يُعبأ به.

وفي سورة الأحزاب ورد فيها إشباع الفتحة ثلاث مرات، وهذه السورة من أول آية إلى آخرها، المكونة من (٧٣) آية جميعها تنتهي بالألف ما عدا الآية رقم (٤) انتهت بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾، رغم أنه من الممكن أن تشبع الفتحة وتتحول ألفًا؛ لتتوافق

---

[1] ـ سورة هود: الآية، ٨٤
[2] ـ أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية: د. عبد العال سالم مكرم، ٧٢
[3] ـ سورة إبراهيم: الآية، ١٨
[4] ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: البغدادي، ٩٢/٥
[5] ـ سورة البينة: الآية، ١
[6] ـ انظر خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: البغدادي، ٩٥/٥

مع بقية الآيات الكريمة، وفعلاً قد أشبعت كلمة (السبيل) في الآية رقم (٦٧)، في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ ، فما الذي أدى إلى إشباع الفتحة مرة في (السبيل) وعدم إشباعها مرة أخرى ؟

ترى الباحثة أن كلمة (السبيلَ) لم تشبع فيها الفتحة في الآية رقم (٤) لتكون الكلمة مميزة عن (السبيلا) في الآية رقم (٦٧)، وليلفت النظر إليها، ويقول: أن السبيل هنا مختلفة عن تلك السبيل، فهي هداية من الله عز وجل، وليست كتلك السبيل التي هي ضلال من سادتهم وكبرائهم.

أضف إلى ذلك أن قصر الفتحة في (السبيلَ) وعدم إشباعها، يوحي بقصر النفس عن الشهوات وحب الملذات ومتاع الدنيا، يضبطها منهج العفة والطهارة، المتأتي من هداية الله لعباده المؤمنين، بينما إشباع الفتحة في (السبيلا)، يوحي بإطلاق العنان للنفس أن تجري وراء شهواتها دون ضابط يحكمها فتستمع إلى مغريات شياطين الإنس والجن، وتسير وراءها دون هداية أو رشد.

وليس الحذف أو الزيادة أو الجر بالمجاورة هي وحدها الوسائل المتبعة للمحافظة على موسيقى الفواصل في القرآن الكريم، فهناك وسائل أخرى[1]، ولكن بصورة أقل، منها على سبيل المثال:

١ – تأخير ما حقه التقديم، كقوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى(٦٦) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى(٦٧) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى(٦٨)﴾[2]، حيث أخر الفاعل (موسى) حتى تنتهي الآية الكريمة بالألف المقصورة؛ توافقًا مع الآيات الكريمة المجاورة لها.

٢ – إفراد ما أصله أن يجمع، كقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ(٥٣) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ(٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ(٥٥)﴾ [3]، ذكر (نهر) والأصل (أنهار)، وذلك لتتوافق مع موسيقى نهاية الآيات المجاورة لها.

٣ – جمع ما أصله أن يفرد، كقوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾[4]، ذكر (خلال)، والأصل (خلة) وذلك لتتوافق مع الآيات المجـاورة التي جاءت منتهية بصامـت

---

[1] - انظر مقدمة في الدراسات القرآنية: د. محمد فاروق النبهان، ١٨٣ – ١٨٤ ، والفاصلة القرآنية: د. عبد الفتاح لاشين، ٢٢ - ٣٧

[2] - سورة طه: الآية، ٦٦ - ٦٨

[3] - سورة القمر: الآية، ٥٣ - ٥٥

[4] - سورة إبراهيم: الآية، ٣١

يسبقه صوت الألف.

وهكذا نرى حرص القرآن الكريم – في بعض الأحيان – على إحداث التوازن الموسيقيّ، والانسجام الصوتيّ في نهايات الآيات الكريمة، أو بين كلمتين متجاورتين؛ ليجذب إليها انتباه العرب، الذين شغفوا بالشعر وموسيقى السجع؛ وليثبت من خلالها إعجاز القرآن الكريم الذي تحدَّاهم بأن يأتوا بمثله.

الخاتمـــة

لقد كشفت هذه الدراسة عن جانب من جوانب العظمة في نظام اللغة العربية، فقد وضحت ما تتمتع به العربية من انسجام صوامتها، وتآلف صوائتها، وربما يتم العدول عن الأصل إلى الفرع لتحقيق هذا الانسجام الصوتي، ولم يكن ذلك ناشئًا من فراغ، أو مخالفاً للقواعد التي تعارف عليها العرب، بل جاء متسقاً مع الذوق الاستعمالي ومع بقية القواعد المنظمة لجوهر العربية.

وبعد الغوص في أعماق العربية استطاع البحث التوصل إلى النتائج الآتية:

١ – تحدَّث علماء العربية القدماء عن مخارج الأصوات اللغوية، واستطاعوا تحديد صفاتها من الشدة والرخاوة، والجهر والهمس، والترقيق والتفخيم... وكانت مواضع الاتفاق بينهم وبين المحدثين أوسع من مواضع الاختلاف، وربما يكون الاختلاف عائدًا إلى شدة التقارب والتداخل بين مخارج بعض الأصوات، أو ربما حدث تطور للأصوات التي كانوا ينطقونها، فاختلفت عمَّا ننطقه نحن اليوم، أو ربما أخطؤوا في تحديد المخرج أو الصفة، خاصة وأنهم في ذلك الزمن السحيق لا يمتلكون سوى ذوقهم وحسهم المرهف.

٢ – تتأثر بعض الأصوات اللغوية المتجاورة في الكلمة الواحدة، مما يؤدي إلى جذب أحد الصوتين إلى الآخر فيقلبه صوتًا آخر؛ ليحدث التقارب في الصفة أو المخرج أو كليهما، تحقيقًا للانسجام الصوتيّ، وتيسيرًا في عملية النطق، واقتصادًا في الجهد العضليّ.

٣ – لا ينسجم صوت مجهور مع نظيره المهموس إذا تجاورا مجاورة مباشرة، بل يقلب أحدهما ليصبحا إمَّا مهموسين وإمَّا مجهورين، لذلك تقلب التاء المهموسة في (افتعل) إلى نظيرها المجهور (الدال) عندما يكون فاؤه صوتًا مجهورًا مثل (الدال، والذال، والزاي).

٤ – في بعض الأحيان يُحدِث تجاور صوتين متماثلين ثقلاً مستكرهًا، فتلجأ العربية إلى قلب أحد المتماثلين صوتًا آخر غالبًا ما يكون من الأصوات الصائتة الطويلة أو أحد الأصوات المائعة (اللام، والميم، والنون، والراء) وذلك تيسيرًا للنطق، وتحقيقًا للانسجام الصوتيّ في الكلمة.

واشتراك الأصوات المائعة مع الصوائت الطويلة في هذه الظاهرة يؤكد قربهما من بعضهما البعض من ناحية "الوضوح السمعي".

٥ – الصوامت الحلقية تكاد لا تجتمع في كلمة واحدة؛ وذلك لقرب مخرجها، مما يسبب جهدًا عضليًّا كبيرًا في أثناء النطق بها، كما أن الصوامت إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على

اللسان منها إذا تباعدت، لذلك استبعدت من العربية الكلمات التي بها صوامت متقاربة المخارج.

٦ – تستحسن العربية وجود بعض الصوامت في كلامها دون غيرها، كالصوامت اللثوية، وهي: اللام، والراء، والنون، كما تستحسن الصوامت الشفوية، وهي: الباء، والميم، والواو، وربما يعود ذلك إلى سهولة التلفظ بها مقارنة بالصوامت الحلقية.

٧ – قد تعدل العربية من الأصل إلى الفرع لوجود ثقل مستكره، أو لتعذر النطق بالأصل، باحثة عن الاقتصاد في الجهد المبذول في أثناء النطق، عن طريق اللجوء إلى الفرع وفق قاعدة تصريفية معينة، قد تكون الإعلال، أو الإبدال، أو الإدغام، أو الحذف...

٨ – الابتداء بالساكن متعذر في العربية؛ لذا تلجأ إلى إضافة همزة وصل في بداية الكلمة، وغالبًا ما تكون هذه الهمزة مكسورة، إلا أنها تحرك بالضم إذا كان الصامت الثالث من الكلمة مضمومًا، توافقًا وانسجامًا معه، ولكراهية الخروج من الكسر إلى الضم، شرط ألا يكون بعد الصامت الثالث واو جماعة، ففي هذه الحال تعود همزة الوصل إلى الأصل فتكسر؛ حتى لا يجتمع في الكلمة الواحدة ثلاثة صوائت من المخرج نفسه.

فنلاحظ هنا أن العربية عدلت عن الأصل – وهو كسر همزة الوصل – إلى الفرع – وهو ضم همزة الوصل – لتحقيق الانسجام الصوتيّ في بنية الكلمة، وعندما ولي الصامت الثالث واو الجماعة واجتمعت في الكلمة ثلاثة صوائت من المخرج نفسه، عدلت عن الفرع، وعادت إلى الأصل، وذلك أيضاً لتحقيق الانسجام الصوتيّ في بنية الكلمة.

٩ – للصوائت القصيرة دور كبير في قلب أصوات العلة بعضها من بعض، فإذا لم يكن هناك تجانس بين أصوات العلة وهذه الصوائت، كأن تجتمع الكسرة مع الواو أو الألف، أو تجتمع الضمة مع الياء أو الألف، أو تجتمع الفتحة مع الواو أو الياء، فإن ذلك سيؤدي إلى ثقل مستكره، وتنافر واضح، يتم التخلص منه عن طريق قلب صوت العلة إلى آخر ليتجانس مع الصائت القصير قبله وينسجم معه.

١٠ – اجتماع الواو والياء مستكره في بعض الصيغ الصرفية، لذا تقلب – غالبًا – الواو ياءً، ولم يحدث العكس؛ لأن الياء أخف من الواو، ومما يؤكد ذلك أن الأمثلة الواردة على قلب الواو ياءً أضعاف الأمثلة الواردة على قلب الياء واوًا.

١١ – اجتماع صوتي علة متماثلين أو مختلفين ويفصل بينهما ألف مستكرهٌ، فيقلب أحد صوتي العلة إلى صوت محايد هو الهمزة؛ حتى لا يجتمع ثلاثة أصوات علة متوالية.

١٢ – بعض مسائل الإعلال كان تفسير القدماء لها فيه تعسف واضح، وخاصة في مسألة (خطايا، وقضايا، ومطايا) وما شابهها، وكذلك كلمة "هراوى" والتي جمعها القدماء على "فعايل" أو فعائل"، قدمت هذه الدراسة تفسيرًا آخر مفاده أن هذه الكلمات جمعت على "فعايا" وما حدث فيها إعلال بالحذف وليس إعلالاً بالقلب، أما "هراوى" فقد جمعت على "فعالى"، ولم يحدث فيها تغيير.

١٣ – إن المادة المجموعة في مبحث الإعلال ضخمة إذا ما قورنت بغيرها من المباحث الصرفية، مما يشير إلى أن أصوات العلة ملحقة بها الهمزة، إذا وجدت في صيغة صرفية ضمن تركيب معين، فإنها تكون مستثقلة أو متعذرة النطق، وبالتالي تحتاج هذه الصيغة إلى تعديل؛ من أجل الوصول إلى الانسجام والتآلف بين صوامت الكلمة وصوائتها.

١٤ – عند تجاور التاء – وهي صوت مرقق – بصوت من الأصوات المفخمة، فإنه يحدث تنافر للانتقال من الاستفال إلى الاستعلاء، لذا تؤثر الأصوات المفخمة على التاء تأثيرًا تراجعيًّا، فتقلبها إلى نظيرها المفخم وهو الطاء، شرط أن يكون الصوت المفخم فاء الكلمة، فإن كان عينها فإن التاء تفخم لفظًا لا كتابةً.

١٥ – تكره العربية توالي الأمثال، فتلجأ أحيانًا إلى تسكين أحدهما حتى يتم إدغامهما، ففي الإدغام تخفيف من وطأة التلفظ بصوتين متماثلين، وهذا التخفيف جزء لا يتجزأ من الانسجام الصوتيّ، وفي حال حدوث لبس عند الإدغام أو الحصول على صيغة أخرى ليست هي المطلوبة، أو حدوث اختراق لقاعدة صرفية أخرى، فإن العربية تعدل عن الإدغام وتبقي الصيغة على حالها، فالعربية لا تستغني عن المعنى مقابل التخفيف.

١٦ – أغلب الأبنية الصرفية الواردة في القرآن الكريم ثلاثية، وذلك لخفتها وانتشارها، ثم تليها الأبنية الرباعية، ويندر وجود الأبنية الخماسية والسداسية، كما أنني لاحظت على أبنية الألفاظ الواردة في القرآن الكريم ما يأتي:

أ – قلة استخدام الاسم المنسوب إليه.

ب – قلة استخدام الاسم المصغر.

ج – قلة استخدام الكلمات التي حدث فيها قلب مكاني.

د – الميل إلى استخدام الكلمات التي حدث فيها حذف أكثر من الكلمات التي لم يحدث فيها حذف، نحو: استخدام الأفعال التي حذفت منها تاء (تتفعَّل) و(تتفاعل) أكثر من إثباتها، واستخدام إنَّ وأنَّ ولكنَّ وكأنَّ، التي حذفت منها نون الوقاية؛ نتيجة لاتصالها بياء المتكلم، أو حذفت منها النون لاتصالها بـــ (نا) المتكلمين، أكثر من إثباتها، مما يشير إلى ميل القرآن الكريم إلى استخدام الألفاظ الأخف والأسهل في النطق.

١٧ – الصوائت لها دور كبير في الثقل والخفة، فإذا وجدت في صيغة صرفية لا تتوافق مع محيطها الصوتي، فإنها سرعان ما تقلب إلى صائت آخر لينسجم مع محيطه الصوتيّ، أو للتخلص من المقاطع غير المرغوب فيها، والحصول على مقاطع أخف وأفضل من سابقتها، وفي بعض الأحيان تكون الصوائت متماثلة فيُحدث ذلك ثقلاً مستكرهًا، تلجأ العربية إلى تخفيفه عن طريق المخالفة الصوتية، فما تسعى إليه العربية في المقام الأول هو الانسجام الصوتيّ في بنية الكلمة، سواء اتبعت التوافق الحركيّ أم اتبعت التخالف الحركيّ، شرط ألا يكون ذلك قد أخلَّ بقاعدة معينة، أو أحدث لبسًا، فالمماثلة الصوتية والمخالفة الصوتية ما هما إلا وجهين لعملة واحدة.

١٨ – العلامة الإعرابية أو البنائية مهمة في العربية، فهي تزيل الإبهام، وتوضح الوظيفة النحوية للكلمة، إلا أنه في بعض الأحيان تستغني العربية عن العلامة الإعرابية أو البنائية، وذلك إما لتعذر النطق بها، وإما لحدوث ثقل مستكره، وتلجأ إلى الإعراب التقديري، وقد لوحظ أنه يتعذر النطق بالعلامة الإعرابية في الأفعال أو الأسماء المنتهية بالألف، أو الأسماء المضافة إلى ياء المتكلم، في حين يثقل نطق العلامة الإعرابية عند اجتماع الضمة والكسرة – كعلامتين إعرابيتين – بالواو أو الياء في نهاية الأفعال أو الأسماء، أو عند اجتماع الواو أو الألف – كعلامتين إعرابيتين – بالياء، وذلك في جمع المذكر السالم والأسماء الستة المعتلة الآخر المضافة إلى ياء المتكلم.

١٩ – قد تعدل العربية عن العلامة الإعرابية إلى أخرى وربما يكون ذلك عائداً إلى توالي أربعة متحركات، وهذا مستكره، فتبدل العلامة الإعرابية لإحداث تغيير في التركيب المقطعيّ، مما يخفف من وطأة توالي المقاطع القصيرة، أو قد تبدل العلامة الإعرابية بأخرى لإحداث المناسبة الصوتية بينها وبين اللاحقة الصرفية الجديدة، أو ربما يجتمع في الكلمة ثلاثة مصوتات من المخرج نفسه، فيتم استبدال العلامة الإعرابية للتخفيف من حدة المماثلات الصوتية، وقد تستبدل العلامة الإعرابية لأمن اللبس، أو لالتقائها بالساكن.

٢٠ – يوجد توازن وتعادل في تبادل الصوائت، فلا تجتمع الفتحات في كلمة أو الكسرات في كلمة أخرى، أو الضمات في كلمة ثالثة، فمثلاً في المثنى وجمع المذكر السالم في حالتي النصب والجر تكون نون المثنى مكسورةً، وما قبل الياء مفتوحًا، في حين نون جمع المذكر السالم مفتوحة وما قبل الياء مكسور.

٢١ – الأصل في الإعراب أن يكون بالحركات، إلا أن العربية عدلت عن الإعراب بالحركات إلى الإعراب بالحروف عندما تعذر ذلك، والحروف البديلة عن الحركات هي: أصوات العلة في المثنى وجمع المذكر السالم والأسماء الستة، والنون في الأفعال الخمسة.

٢٢ – التقاء الساكنين في العربية مرفوض، لذا تتخلص منه بعدة وسائل من بينها تحريك الساكن الأول – غالبًا – بالكسر، وفي بعض الأحيان يحرك بالفتح أو الضم، حسب ما تمليه طبيعة الأصوات المحيطة بالساكن، وإذا تعذر تحريك الساكن الأول فإنها تحرك الساكن الثاني، لا سيما إن كان الساكنان في كلمة واحدة.

٢٣ – عند إضافة الاسم النكرة المنون إلى اسم آخر أو تركيبه معه، فإنه يجتمع في الكلمة زائدتان هما التنوين وما أضيف إلى الكلمة، أو ما تركبت معه، مما يطيل العنصر اللغويّ ويسبب لها الثقل، فيتم التخلص منه عن طريق حذف التنوين.

٢٤ – قد تلجأ العربية إلى حذف النون الزائدة على بنية الكلمة؛ وذلك لناحية نحوية كما في الأفعال الخمسة في حالتي النصب والجزم وفعل الأمر، أو لناحية صوتية نتيجة لتوالي الأمثال، أو لالتقاء الساكنين، أو لوجود زائدتين أو أكثر في الكلمة.

٢٥ – كثير من مسائل الحذف التي فسَّرها القدماء على أساس التقاء الساكنين، وضحت الدراسة أن سببها هو تكون مقاطع غير مرغوب فيها، وما تم ليس حذفًا وإنما تقصير للصائت الطويل، نحو الفعل المعتل الآخر بالألف المتصل بتاء التأنيث الساكنة، أو المسند إلى واو الجماعة، أو الاسم المنقوص في حالتي الرفع والجر.

٢٦ – اعتنى القرآن الكريم بموسيقى الفواصل، ولتحقيق ذلك لجأ إلى وسائل عدة منها: الحذف، والزيادة، والتقديم والتأخير... ولاحظنا أن السورة التي جاء فيها استخدام وسيلة من تلك الوسائل، فإنها تتكرر في السورة نفسها عدة مرات، كما في سورة الفجر التي تكرر فيها تقصير الياء في ثلاثة مواضع، وسورة الأحزاب التي ورد فيها إشباع الفتحة في ثلاثة مواضع، وسورة الحاقَّة التي زيدت فيها هاء الوقف في ثلاثة مواضع، مما يشير إلى الحرص الشديد على موسيقى الفواصل، وحتى يلفت النظر إلى هذه الظاهرة التي شغف بها العرب، ويثبت لهم قدرته على الإتيان بما لا يستطيعون الإتيان به، رغم تفوقهم في هذا المجال.

ABSTRACT

The researcher highlights the phonetics sound aspects in Arabic language where is harmony between vowels and constants. Sometimes *an* original sound is modified to a branch sound to realize harmony among speech sounds. This process of harmonization doesn't come from void but it is based on the aesthetics of Arabic language and its unique style.

The researcher concludes that ancient Arab linguists describe Arabic sounds in terms of place and manner of articulation Jhcy examine the relationships between adjacent sounds. However modern Arab linguists describe language sounds in amore easy way. Than their counterparts who depcnd on common language sense, It is noticed that adjacent sounds influence each other to achieve harmony. Thus they help to ease pronounceability in terms of voice and voiceiess speech sounds. thus . It / sound may change told! sound.

Sometimes two adjacent similar sounds may cause dissonance. Thus, Arabic language aften modifies similar sounds to long vowels or lateral sounds such as /L/, lm/ , /N/ /r/ for the ease of pronunciation and to achieve audition harmony in aword, Lateral sound and long vowel in combination emphasize the existence of this phenomena such as their adjacency in terms of audition c)arity , guttural sounds arc not found in award great that need muscular efforts during pronunciation - consonants when have adjacent articulation they may cause dissonance when they fall apart. Thus, they are rejected from Arabic words that contain adjacent place of articulation.

Arabic language approves the existence of bifabiaf sounds such as , /b/, /m/, /w/. this is due to easy pronounceability other than guttural consonants . The combination of /w/, /j/, sounds is desired in Arabic . Thus , /w/ is often modified to /j/ but not the other way round.

When /t/ sound is voiceless and adjacent to dark vowel; dissonance occurs in terms of high vowel and low vowel Dark sounds affect on *It!* sound and modify /t! sound to its similar dark sounds /t/. Arabic morphological pattern that stated in Koran arc three- radical verb, four-radical verb. It is hardy to be five radical verb or six radical verb . Koran pays a special attention to music of separations to achieve a number of aesthetics such as elision, increase, forwarding and back warding - Koran style uses this means many times in the same “Suret . This shows that Koran stresses the music of separations to pay attention to the phenomena that interest the Arabs and would like to prove to them that they cant major in this field.

What the researcher might add is that Arabic language may omit In! sound from aword due to grammatical function such as in five radical verb due to consonant clusters or there could be two extra sounds or more in a word.

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأشعار

(الميم)

(النون)

(الهاء)

(الياء)

فهرس الأرجاز

قائمة المصادر والمراجع

١ – **أبحاث في أصوات العربية**: د. حسام سعيد النعيمي، الطبعة الأولى، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٨م

٢ – **أبحاث في اللغة العربية**: د. داود عبده، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٧٣م

٣ – **الإبدال والمعاقبة والنظائر**: الزجاجي، ت (٣٧٧ هـ)، تحقيق: عز الدين التنوخي، الطبعة الثانية، بيروت: دار صادر، ١٩٩٣م

٤ – **أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب دراسات لسانية ولغوية**: د. عصام نور الدين، الطبعة الأولى، بيروت: دار الفكر اللبناني، ١٩٩٧م

٥ – **أبو علي النحوي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية**: د. علي جابر المنصوري، بغداد: مطبعة الجامعة، ١٩٨٧م

٦ – **أثر الحركة المزدوجة في بنية الكلمة العربية دراسة لغوية**: د. عبد الله محمد الكناعنة، الطبعة الأولى، عمَّان: وزارة الثقافة، ١٩٩٧م

٧ – **أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية**: د. عبد العال سالم مكرم، الطبعة الثانية، الكويت: مؤسسة علي جرَّاح الصباح، ١٩٧٨م

٨ – **أسرار العربية**: أبو البركات بن الأنباري، ت (٥٧٧ هـ)، تحقيق: محمد بهجة البيطار، دمشق: مطبعة الدقي، ١٩٥٧م

٩ – **أسرار النحو**: شمس الدين أحمد بن سليمان المعروف بابن كمال باشا، ت (٩٤٠ هـ)، تحقيق: د. أحمد حسن حامد، عمَّان: منشورات دار الفكر

١٠ – **أسس علم اللغة**: ماريوباي، ترجمة: د. أحمد مختار عمر، الطبعة الثانية، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٣م

١١ – **الأشباه والنظائر في النحو**: جلال الدين السيوطي، ت (٩١١ هـ)، تحقيق: عبد الإله نبهان، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية

١٢ – **الأصمعيات**: اختيار الأصمعي أبي سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك ت (٢١٦ هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، الطبعة الخامسة، القاهرة: دار المعارف

١٣ – **أصوات اللغة العربية:** د. عبد الغفار حامد هلال، الطبعة الثانية، القاهرة: مطبعة الجبلاوي، ١٩٨٨م

١٤ – **الأصوات اللغوية:** د. إبراهيم أنيس، الطبعة الرابعة، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٧١م

١٥ – **الأصوات اللغوية:** د. عبد القادر عبد الجليل، الطبعة الأولى، عمَّان: دار صفاء للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م

١٦ – **الأصوات اللغوية:** د. محمد علي الخولي، الطبعة الأولى، الرياض: مكتبة الخريجي، ١٩٨٧م

١٧ – **الأصول دراسة ايبستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي:** د. تمام حسان، الدار البيضاء: دار الثقافة، ١٩٩١م

١٨ – **أصول تراثية في علم اللغة:** د. كريم زكي حسام الدين، الطبعة الثانية، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٨٥م

١٩ – **إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم:** أبو عبد الله الحسين بن أحمد ابن خالويه، ت (٣٧٠ هـ)، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٥م

٢٠ – **الأعلام:** خير الدين الزركلي، الطبعة السابعة، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٦م

٢١ – **أمالي الزجاجي**، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، بيروت: دار الجيل، ١٩٨٧م

٢٢ – **الإنصاف في مسائل الخلاف:** أبو البركات بن الأنباري، ت (٥٧٧ هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الأولى، القاهرة: مطبعة الاستقامة، ١٩٤٥م

٢٣ – **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك:** ابن هشام الأنصاري، ت (٧٦١ هـ)، الطبعة الأولى، بيروت: دار إحياء العلوم، ١٩٨١م

٢٤ – **الإيضاح في علوم البلاغة:** الإمام الخطيب القزويني، ت (٧٣٩ هـ)، تعليق: د. محمد عبد النعيم خفاجي، الطبعة الخامسة، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٣م

٢٥ – **بحوث ومقالات في اللغة:** د. رمضان عبد التواب، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٢م

٢٦ – **بنية الفعل قراءة في التصريف العربي:** عبد الحميد عبد الواحد، صفاقس: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٩٦م

٢٧ – **البيان والتبين:** أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ت (٢٥٥ هـ)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٨م

٢٨ – **التتمة في التصريف:** أبو عبد الله محمد بن أبي الوفاء الموصلي المعروف بابن القبيصي، ت (٦١٠ هـ)، تحقيق ودراسة: د. محسن بن سالم العميري، الطبعة الأولى، مكة المكرمة: نادي مكة الثقافي الأدبي، ١٩٩٣م

٢٩ – **تراكب الأصوات في الفعل الثلاثي الصحيح(دراسة استقرائية في القاموس المحيط):** د. وفاء كامل فايد، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩١م

٣٠ – **الترخيم اللغويّ في ضوء علم اللغة الحديث:** د. صلاح الدين محمد قناوي، القاهرة: كويك حمادة الجريسي للكمبيوتر والتصوير والطباعة

٣١ – **التشكيل الصوتيّ في اللغة العربية (فنولوجيا العربية):** د. سلمان العاني، ترجمة: د. ياسر الملاح، مراجعة: د. محمد محمود غالي، الطبعة الأولى، جدة: النادي الأدبي الثقافي، ١٩٨٣م

٣٢ – **تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات:** د. صالح سليم الفاخري، القاهرة: عصمى للنشر والتوزيع، ١٩٩٦م

٣٣ – **التصريف العربيّ من خلال علم الأصوات الحديث:** الطيب البكوش، الطبعة الثانية، تونس: مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، ١٩٨٧م

٣٤ – **التصريف الملوكيّ:** أبو الفتح عثمان بن جني، ت (٣٩٢ هـ)، تحقيق: د. ديزيرة سقال، بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٩٨م

٣٥ – **التطبيق الصرفيّ:** د. عبده الراجحي، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٤م

٣٦ – **التطور اللغويّ مظاهره وعلله وقوانينه:** د. رمضان عبد التواب، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٣م

٣٧ – **التطور النحويّ للغة العربية:** براجشتراسر، ترجمة د. رمضان عبد التواب، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٢م

٣٨ – **تقويم اللسان:** ابن الجزري، ت (٨٣٣ هــ)، تحقيق: د. عبد العزيز مطر، الطبعة الأولى، بغداد: دار المعرفة، ١٩٦٦م

٣٩ – **الجامع الصحيح:** الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، ت (٢٦١ هــ)، بيروت: دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع

٤٠ – **جمهرة اللغة:** ابن دريد، ت (٣٢١ هــ)، بيروت: دار صادر

٤١ – **حذف تاء تتفعَّل وتتفاعل في القرآن الكريم دراسة صوتية صرفية:** د. أحمد عبدالمجيد هريدي، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٩م

٤٢ – **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب:** عبد القادر بن عمر البغدادي، ت (١٠٩٣ هــ)، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، بيروت: مكتبة الخانجي

٤٣ – **الخصائص:** أبو الفتح عثمان بن جني، ت (٣٩٢ هــ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، الطبعة الثانية، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م

٤٤ – **الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث:** د. حسام البهنساوي، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٥م

٤٥ – **الدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جني:** د. حسام سعيد النعيمي، بغداد: منشورات وزارة الثقافة والإعلام – دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠م

٤٦ – **دراسات في علم أصوات العربية:** د. داود عبده، الكويت: مؤسسة الصباح

٤٧ – **دراسات في علم اللغة:** د. كمال بشر، الطبعة الأولى، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨م

٤٨ – **دراسات في فقه اللغة والفنولوجيا العربية:** د. يحيى عبابنة، الطبعة الأولى، عمَّان: دار الشروق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م

٤٩ – **دراسات نحوية في إعراب الفعل المضارع:** د. عبد النعيم علي محمد، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الطباعة المحمدية، ١٩٨٩م

٥٠ – **دراسات نقدية في النحو العربي:** د. عبد الرحمن أيوب، الكويت: مؤسسة الصباح

٥١ – **دراسة الصوت اللغوي:** د. أحمد مختار عمر، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩١م

٥٢ – **دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها:** لطيفة إبراهيم النجار، الطبعة الأولى، عمَّان: دار البشير، ١٩٩٤م

٥٣ – **ديوان الأحوص الأنصاري**، تحقيق وشرح: د. سعدي ضنَّاوي، الطبعة الأولى، بيروت: دار صادر، ١٩٩٨م

٥٤ – **ديوان امرئ القيس**، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر – دار صادر للطباعة والنشر، ١٩٥٨م

٥٥ – **ديوان رؤبة بن العجَّاج**، اعتنى بتصحيحه وترتيبه وليم بن الورد البروسي، الطبعة الثانية، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٠م

٥٦ – **ديوان زهير بن أبي سلمى**، بيروت: دار صادر، ١٩٦٤م

٥٧ – **ديوان العباس بن مرداس السلميّ**، جمعه وحققه: د. يحيى الجبُّوري، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩١م

٥٨ – **ديوان العجَّاج**، رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي، شرح وتحقيق: د. عزة حسن، بيروت: مكتبة دار الشرق

٥٩ – **ديوان الفرزدق**، شرحه وضبطه: علي خريس، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٩٦م

٦٠ – **ديوان كثير عزة**، شرح: عدنان زكي درويش، الطبعة الأولى، بيروت: دار صادر ١٩٩٤م

٦١ – **ديوان كعب بن مالك الأنصاري**، تحقيق وشرح: مجيد طراد، الطبعة الأولى، بيروت: دار صادر، ١٩٩٧م

٦٢ – **ديوان ليلى الأخيلية**، تحقيق وشرح: د. واضح الصمد، الطبعة الأولى، بيروت: دار صادر، ١٩٩٨م

٦٣ – **ديوان المثقب العبدي**، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، جامعة الدول العربية – معهد المخطوطات العربية

٦٤ – **ديوان مهلهل بن ربيعة**، شرح وتقديم: طلال حرب، بيروت: الدار العالمية، ١٩٩٣م

٦٥ – **ذيل الأمالي والنوادر**: أبو علي القالي، ت (٣٥٦ هـ)، بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة

٦٦ – **رصف المباني في شرح حروف المعاني**: أحمد بن عبد النور المالقي، ت (٧٠٢ هـ)، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية

٦٧ – **سر صناعة الإعراب:** أبو الفتح عثمان بن جني، ت (٣٩٢ هـ)، قدم له: د. فتحي عبدالرحمن حجازي، حققه وعلق عليه: أحمد فريد أحمد، القاهرة: المكتبة التوفيقية

٦٨ – **سر الفصاحة:** ابن سنان الخفاجي، ت (٤٦٦ هـ)، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٢م

٦٩ – **شذا العرف في فن الصرف:** الشيخ أحمد الحملاوي، مكة المكرمة: المكتبة التجارية

٧٠ – **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك:** الأشموني، ت (٩٢٩ هـ)، الطبعة الثالثة، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية

٧١ – **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك:** بهاء الدين بن عقيل، ت (٧٦٩ هـ)، الطبعة الأولى، بيروت: دار الخير، ١٩٩٠م

٧٢ – **شرح التصريح على التوضيح:** الشيخ خالد الأزهري، ت (٩٠٥ هـ)، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه

٧٣ – **شرح ديوان جرير**، ضبط معانيه وشرحه: إيليا الحاوي، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م

٧٤ – **شرح شافية ابن الحاجب:** رضي الدين الإستراباذي، ت (٦٨٦هـ)، تحقيق: محمد نور الحسن وآخرون، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٥م

٧٥ – **شرح المفصل: ابن يعيش**، ت (٦٤٣ هـ)، بيروت: عالم الكتب

٧٦ – **الصرف وعلم الأصوات:** د. ديزيرة سقال، الطبعة الأولى، بيروت: منشورات ميريم، ١٩٩١م

٧٧ – **ظاهرة الإعراب في النحو وتطبيقها في القرآن الكريم:** د. أحمد سليمان ياقوت، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٨٣م

٧٨ – **ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي:** د. طاهر سليمان حمودة، الإسكندرية: الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٢م

٧٩ – **ظاهرة التخفيف في النحو العربي:** د. أحمد عفيفي، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٥م

٨٠ – **ظاهرة التغليب في العربية ظاهرة لغوية اجتماعية:** د. عبد الفتاح الحموز، الطبعة الأولى، الكرك: منشورات جامعة مؤتة – عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، ١٩٩٣م

٨١ – **العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد:** هنري فليش، تعريب وتحقيق: د. عبد الصبور شاهين، الطبعة الثانية، بيروت: دار المشرق، ١٩٨٣م

٨٢ – **علم الأصوات:** د. كمال محمد بشر، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م

٨٣ – **علم الأصوات اللغوية:** د. مناف مهدي محمد، الطبعة الأولى، بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٨م

٨٤ – **علم الصرف الصوتي:** د. عبد القادر عبد الجليل، الطبعة الأولى، عمَّان: أزمنة للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م

٨٥ – **علم اللغة العام (الأصوات):** د. كمال محمد بشر، القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٩٠م

٨٦ – **علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي):** د. محمود السعران، بيروت: دار النهضة العربية

٨٧ – **العين:** الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت (١٧٥ هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، الطبعة الثانية، إيران: مؤسسة دار الهجرة، ١٤٠٩هـ

٨٨ – **الفاصلة القرآنية:** د. عبد الفتاح لاشين، الرياض: دار المريخ للنشر، ١٩٨٢م

٨٩ – **الفعل زمانه وأبنيته:** د. إبراهيم السامرائي، الطبعة الثالثة، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣م

٩٠ – **في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية:** د. غالب فاضل المطلبي، الطبعة الأولى، بغداد: منشورات وزارة الثقافة والإعلام – دائرة الشؤون الثقافية والنشر، ١٩٨٤م

٩١ – **في علم الصرف:** د. أمين علي السيد، الطبعة الثالثة، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٥م

٩٢ – **في اللهجات العربية:** د. إبراهيم أنيس، الطبعة السادسة، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٨٤م

٩٣ – **في النحو العربيّ قواعد وتطبيق على المنهج العلميّ الحديث:** د. مهدي المخزومي، الطبعة الأولى، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي، ١٩٦٦م

٩٤ – **قضايا نحوية:** د. مهدي المخزومي، الطبعة الأولى، أبوظبي: المجمع الثقافي، ٢٠٠٢م

٩٥ – **القلب والإبدال:** ابن السكيت، ت (٢٤٤ هـ)، بيروت: نشر هفنر، ١٩٠٣م

٩٦ – **الكتاب:** سيبويه، ت (١٨٠ هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الأولى، بيروت: دار الجيل

٩٧ – **لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة:** د. عبد العزيز مطر، الطبعة الثانية، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١م

٩٨ – **لحن العوام:** أبو بكر محمد بن حسن بن مذحج الزبيدي، ت (٣٧٩ هـ)، تحقيق: د. رمضان عبد التواب، الطبعة الأولى، القاهرة: دار العروبة، ١٩٦٤م

٩٩ – **لسان العرب:** ابن منظور، ت (٧١١ هـ)، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، الطبعة الثانية، بيروت: دار إحياء التراث العربي – مؤسسة التاريخ العربي، ١٩٩٧م

١٠٠ – **اللغة العربية معناها ومبناها:** د. تمام حسان، الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٩٤م

١٠١ – **اللهجات العربية في التراث:** د. أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣م

١٠٢ – **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها:** أبو الفتح عثمان بن جني، ت (٣٩٢ هـ)، تحقيق: علي النجدي ناصف ود. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة: ١٩٦٩م

١٠٣ – **المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها:** محمد الأنطاكي، الطبعة الثالثة، بيروت: دار الشرق العربي

١٠٤ – **المخصص:** ابن سيده الأندلسي، ت (٤٥٨ هـ)، تقديم: د. خليل إبراهيم جفّال، الطبعة الأولى، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٦م

١٠٥ – **مدخل إلى دراسة الصرف العربي على ضوء الدراسات اللغوية المعاصرة:** د. مصطفى النحاس، الطبعة الأولى، الكويت: مكتبة الفلاح، ١٩٨١م

١٠٦ – **المدخل إلى علم الأصوات دراسة مقارنة:** د. صلاح الدين صالح حسنين، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الاتحاد العربي للطباعة، ١٩٨١م

١٠٧ - **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**: د. رمضان عبد التواب، الطبعة الثالثة، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٧م

١٠٨ - **المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر**: د. عبد القادر مرعي الخليل، الطبعة الأولى، عمَّان: المكتبة الوطنية، ١٩٩٣م

١٠٩ - **المعجزة الكبرى القرآن**: الإمام محمد أبو زهرة، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٠م

١١٠ - **معجم الأدوات النحوية وإعرابها في القرآن الكريم**: جلال الدين السيوطي، ت (٩١١ هـ)، تحقيق: الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان ويوسف علي بديوي، الطبعة الأولى، دمشق: دار ابن هانئ للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٨م

١١١ - **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي

١١٢ - **المغني في علم الصرف**: د. عبد الحميد مصطفى السيد، الطبعة الأولى، عمَّان: دار صفاء للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م

١١٣ - **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**: ابن هشام الأنصاري، ت (٧٦١ هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، راجعه: سعيد الأفغاني، الطبعة السادسة، بيروت: دار الفكر، ١٩٨٥م

١١٤ - **المقتضب**: المبرد، ت (٢٨٥ هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، بيروت: عالم الكتب

١١٥ - **مقدمتان في علوم القرآن وهما مقدمة كتاب المباني ومقدمة ابن عطية**: تحقيق: د. عبد الله إسماعيل الصاوي، الطبعة الثانية، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٧٢م

١١٦ - **مقدمة في الدراسات القرآنية**: د. محمد فاروق النبهان، المغرب: مطبعة فضالة، ١٩٩٥م

١١٧ - **مناهج البحث في اللغة**: د. تمام حسان، الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع ١٩٨٦م

١١٨ - **المنصف شرح ابن جني لكتاب التصريف للمازني**: ابن جني ت (٣٩٢ هـ)، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، الطبعة الأولى، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٦٠م

١١٩ – **من وظائف الصوت اللغوي محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي:** د. أحمد كشك، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م

١٢٠ – **موسيقى الشعر:** د. إبراهيم أنيس، الطبعة الخامسة، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٨١م

١٢١ – **النحو العربي نقد وبناء:** د. إبراهيم السامرائي، الطبعة الأولى، عمَّان: دار عمار، ١٩٩٧م

١٢٢ – **النحو الوافي:** الأستاذ عباس حسن، الطبعة الثالثة عشر، القاهرة: دار المعارف

١٢٣ – **نزهة الطرف في علم الصرف:** أحمد بن محمد الميداني، ت (٥١٨ هأ)، ويليه الأنموذج في النحو للزمخشري وفي آخره الإعراب في قواعد الإعراب لابن هشام، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨١م

١٢٤ – **نزهة الطرف في علم الصرف:** ابن هشام الأنصاري، ت (٧٦١ هـ)، تحقيق ودراسة: د. أحمد عبد المجيد هريدي، القاهرة: مكتبة الزهراء، ١٩٩٠م

١٢٥ – **النشر في القراءات العشر:** ابن الجزري، ت (٨٣٣ هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع، بيروت: دار الكتب العلمية

١٢٦ – **نظرة وصفية في تصريف الأسماء:** د. محمد أبو الفتوح شريف، المنيرة: مكتبة الشباب، ١٩٨٥م

١٢٧ – **الهمزة في اللغة العربية دراسة لغوية:** د.مصطفى التوني، الطبعة الأولى، القاهرة: دار شمس المعرفة للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٩٠م

١٢٨ – **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع:** جلال الدين السيوطي، ت (٩١١ هـ)، تحقيق وشرح: الأستاذ عبد السلام محمد هارون، ود. عبد العال سالم مكرم، الكويت: دار البحوث العلمية، ١٩٧٥م

١٢٩ – **الوجيز في علم التصريف:** أبو البركات بن الأنباري ت (٥٧٧ هـ)، تحقيق: د. علي حسين البواب، الطبعة الأولى، الرياض: دار العلوم، ١٩٨٢م

فهرس المحتوى

الباب الأول

أصوات اللغة العربية

الباب الثاني

الانسجام الصوتيّ على المستوى الصرفيّ

الباب الثالث

الانسجام الصوتيّ على المستوى النحويّ